العلاقات بين الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة
447-590 هجريـة / 1055- 1193ميلادية

رسالة مقدمة إلى مجلس كلية التربية/ جامعة تكريت
جزءً من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

من قبل الطالب

حمد أسود خلف علو الجبوري

بكالوريوس تاريخ/ جامعة الموصل

1993-1994

إشراف

الدكتور خالد محمود عبدالله ألدليمي

15ذو الحجة 1425 هجرية   25 كانون الثاني2005ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

" لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ".

(صدق الله العظيم)

سورة البقرة

الآية 286

الإهـــــــداء

- **إلى والدي الكريم... إيماناً وعرفاناً بتربيته الإسلامية الصحيحة ويد العون لي في حياتي.**
- **إلى والدتي الكريمة... رمز الحنان والوفاء.**
- **إلى إخوتي... أحمد - محمد - خالد - عمر - طارق شكرا وعرفانا لما قدموا لي من عون.**
- **إلى زوجتي... لما تحملت من أعباء وهموم في حياتها من أجلي.**
- **إلى أبنائي... وئام - أحمد - محمد**
- **إلى بناتي... تيماء - نور - سندس - فاطمة - نسيبة**

أُهدي ثمرة جهدي هــذا

حمـــــد

شـــكر وتقديـــر

بعد أن انتهيت من إعداد هذا البحث لا يســعني إلاّ أن أقدم شــكري وامتناني إلى أُســتاذي الفاضـل الدكتور خالد محمود عبد الله الذي اشـرف على هذه الرسـالة ولما أبداه من توجيهات قيمة وإرشادات كان لها الأثر البالغ في إتمام هذا البحث.فجزاه الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء.

أقدم شكري إلى السيد رئيس قسم التاريخ الدكتور محمود القيسي.

كما أقدم شكري إلى أستاذي الفاضـل الدكتور حسـين حديس لما أبداه من إرشـادات واقتراحات في توجيه هذا البحث نحو الأفضـــل كما أقدم شـــكري وامتناني إلى الدكتور محمود عباد لتوجيهاته القيمة.

ومن العرفان أن أشـكر الدكتور طلب صـبار محل لما قدمه من إرشـادات ونصـائح في مواضيع هذه الرسالة.

كما أنني اشكر أستاذي الدكتور غامس خضر الدوري لما اسعفنى به من مصادر.

ومن الجميل أن اشـــكر الدكتور جزيل عبد الجبار الجومرد / كلية التربية – جامعة الموصل والأستاذ الفاضل الدكتور ناصر عبد الرزاق أمين عام المكتبة المركزية – جامعة الموصل والدكتور سلطان جبر كلية الآداب – جامعة الموصل لتوجيههم ومساعدتهم لي في توفير المصادر .

كذلك أقدم شـكري إلى الأخ الدكتور احمد عطية علو لما أبداه من نصـائح وإرشـادات لغوية.

وأشـــكر طالب الدكتوراه عطا الله برجس دخيل لما أبداه من تشـــجيع وعزم في مراحل الدراسة .

كما يطيب لي أن اشـــكر الإخوان والأخوات القائمين على المكتبات في كل من مكتبة كلية التربية / تكريت، والمكتبة العامة/ تكريت ومكتبة الآداب/ الموصل ومكتبة الأوقاف/ الموصل والمكتبة العامة/ الموصل.

وختاما أشكر جميع أساتذتي وزملائي الأفاضل وزميلاتي الذين غمروني بمواقفهم النبيلة ولم يبخلوا علي بمشورة أو عون.

ومن الله تعالى التوفيق

حمد اسود

المحتويـــات

الموضـــوع		الصفحـة
دمـــــة		أ – هـ
سل الاول : قيام دولة السلاجقة		**1- 28**
هيد	اوضاع العالم الاسلامي اثناء اندفاع السلاجقة الى العراق	2 – 10
حث الاول	اصل السلاجقة	11 – 13
حث الثاني	موطن السلاجقة وهجرتهم	14- 17
حث الثالث	علاقة السلاجقة بالدولة الغزنوية	18-20
حث الرابع	قيام دولة السلاجقة	21-24
حث الخامس	اتصال السلاجقة بالخلافة العباسية	25-28
سل الثاني : الخلافة العباسية في ظل النفوذ السلجوقي		**29-54**
حث الاول	الجانب السياسي	30-35
حث الثاني	الجانب الاداري	36-42
	1.ظاهرة الفساد وبذخ الحكام	36-38
	2.تعسف السلاطين السلاجقة	38-42
حث الثالث	الجانب الاقتصادي	43-51
	1.الاثار السلبية لنظام الاقطاع السلجوقي	43-48
	2.الغلاء والمجاعات والكوارث الطبيعية	48-50
حث الرابع	الجانب الاجتماعي	51-54
	ظاهرة السلب والنهب	51-54
سل الثالث : علاقات الخلفاء العباسيين مع السلاطين السلاجقة الأقوياء		55-100
حث الأول	البوادر الأولى للعلاقات بين الخلافة العباسية والسلاجقة قبل دخولهم بغداد	56-59
حث الثاني	العلاقات بين الخليفة القائم بأمر الله والسلطان طغرلبك	60-80
حث الثالث	العلاقة بين الخليفة القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان	81-87
حث الرابع	العلاقة بين الخليفة القائم بأمر الله والسلطان ملكشاه	88-89
حث الخامس	العلاقة بين الخليفة المقتدي بأمر الله والسلطان ملكشاه	90-96
حث السادس	البوادر الأولى لضعف السلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاه وعلاقتهم بالخليفة المقتدي بأمر الله	97-100

صل الرابع : علاقات الخلفاء العباسيين مع بقية السلاطين السلاجقة		**160-101**
بحث الأول	الخليفة العباسي المستظهر بالله وعلاقته مع السلطان السلجوقي بركياروق والسلطان محمد وطموحاتهم السياسية	107-102
بحث الثاني	سياسة الخليفة المسترشد بالله الداخلية وعلاقته بالسلطان محمود والسلطان سنجر	119-108
حث الثالث	الخليفة المسترشد بالله وعلاقته بالسلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان محمود	125-120
حث الرابع	الخليفة الراشد بالله وعلاقته مع السلطان مسعود	130-126
حث الخامس	الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله وعلاقته بالسلاطين السلاجقة	136-131
حث السادس	الخليفة العباسي المقتفي بأمر الله وعلاقته بالسلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان مسعود	138-137
حث السابع	محاولة السلطان محمد دخول بغداد وحربه مع الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله	142-139
حث الثامن	الخليفة العباسي المستنجد بالله وعلاقته مع السلاطين السلاجقة	146-143
حث التاسع	الخليفة العباسي المستضيء وعلاقته بالسلاطين السلاجقة	149-147
حث العاشر	الخليفة العباسي الناصر لدين الله وعلاقته مع السلاطين السلاجقة	157-150
اتمة		159-158
صادر والمراجع		176-160

المقدمـــة

ظهر الإســـلام في جزيرة العرب ونجح المســـلمون الأوائل في تحقيق وحدة الأمة العربية بقوة الدين الإسـلامي ورفع راية لا إله إلاّ الله إلى عنان السماء، فبنوا دولة الإسـلام وتقدموا شرقاً وغرباً وعملوا على إنقاذ الشعوب من الضـلالة والعبودية والاستعمار والاستغلال والتخلف والظلم والاضطهاد، فنشروا مباديء الإسلام في جميع الأراضي التي وطأتها أقدامهم لتنعم هذه الشعوب بالحياة الإســـلامية الصـــحيحة من حرية وعدل ومســـاواة وحســـن إدارة في ظل الدولة العربية الإسلامية وفي ظل الحضارة العربية الإسلامية، لتنهل منها البشرية على مر العصور، وهذا مما غاض العناصـر الدخيلة على الإسـلام والحاقدة على الأمة العربية والإسـلامية، وخاصـة الفرس المجوس الذين اسـتغلوا الروح الإنسـانية لدى العرب المسـلمين وقيام الخلفاء المسـلمين في لجميع المســـلمين في حكم وإدارة دولتهم، فعمل الفرس على تحطيم وحدتها وزرع التفرقة بين المســـلمين وبث روح العداء بين الأخوة المســـلمين وتشـــتيتهم وهذا ما نراه منذ بداية الدعوة الإســـلامية حتى عصرنا هذا. فقد استطاع البويهيون الفرس أن يؤسسوا دولتهم سنة 320هـ/ 932م واستولوا على بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية بالقوة. ونتيجة لإدارتهم السيئة لشؤون الدولة العربية الإسلامية وسوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتردّيها في الدولة العربية الإسلامية أدى إلى سـقوط الدولة البويهية ثم ما لبثت أن واجهت الدولة العربية الإسـلامية تحديا آخر وهو التسـلط السلجوقي، وظهور دولة السلاجقة التي ظهرت على مسرح أحداث التاريخ الإسلامي وأدت دوراً مهماً في توجيه سـير الأحداث في عدد من البلدان الإسـلامية خلال مدة تزيد على قرن ونصـف من الزمان.

ظهرت دولة السلاجقة في المشرق في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد. وبدا هؤلاء بتكوين قوتهم ثم التوسع والاتجاه نحو تكوين علاقاتهم مع الخلافة العباسية والتطلع للاستيلاء عليها وقد تم لهم ذلك في سنة 447هـ/ 1055م.

وقد شهدت الخلافة الإسلامية في العصر العباسي في العراق خصوصاً خلال تلك المدة أحداثاً كبيرة، اتسـمت فيها الأوضـــاع العامة بالفوضـــى والاضـــطراب، نتيجة اسـتبداد السـلاجقة بالحكم ومنع الخلافة العباسـية من القيام بدورها في الإشـراف على إدارة شـؤون الدولة، مما أدى إلى فساد الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وترديها بسبب انشغال سلاطين السلاجقة بالصـــراع والتنافس على الحكم وتحول البلاد العربية وخصـــوصـــاً العراق إلى ســـاحات معارك

وحروب وأعمال نهب وسلب ودمار مما أدى إلى استنزاف امكانات الأمة الإسلامية وإضعاف قدراتها على التصدي لهذه الأخطار الخارجية والداخلية.

وفي هذه المدة برز دور الخلافة العباسية في التصدي لفساد واستبداد المتسلطين الأجانب وأعوانهم على الرغم من قوة القيود لمنعها من التدخل في الشؤون السياسية فقد ظهر عدد من الخلفاء الذين تمكنوا من قيادة حركة المقاومة الباسلة وضعوا حداً للنفوذ السلجوقي في العراق وإيجاد بعض العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بين الخلفاء والسلاطين السلاجقة وبعض التعاون الذي فرضته الظروف المتعلقة بمصلحة الخلافة العربية الإسلامية.

اخترت هذا الموضوع بعد أن لاحظت ان الدراسات التي كتبت عن تاريخ السلاجقة والخلفاء العباسيين قد ألقت الضوء على الشخصيات ومظاهر الحضارة في الدولة والمقاومة والتصدي للتسلط السلجوقي. فحاولت ان ابحث عن دور العلاقات التي تبنتها الخلافة العباسية مع السلاطين السلاجقة وكيف كانت هذه العلاقات بين حقبة وأخرى، وبين خليفة وآخر، ومنها العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وما هو دور الشعب في تلك العلاقات في أوقات الحروب أو أوقات السلم واحترام الخليفة بصفته رمز الخلافة والمسلمين وينتهي هذا البحث بالدور الكبير الذي أبدته الخلافة في طرد السلاجقة وإخراجهم من العراق بعد أنْ جعلتهم قوى تتصارع فيما بينها وأضعفتهم وأنهكتهم بالحروب والأزمات. وهذه هي نهاية كل محتل.

جعلت هذا البحث في أربعة فصول تناول الفصل الأول منها قيام دولة السلاجقة، ضم التمهيد أوضاع العالم الإسلامي اثناء اندفاع السلاجقة إلى العراق, واصل السلاجقة وموطن السلاجقة وهجرتهم وعلاقة السلاجقة بالدولة الغزنوية وتكوين دولة السلاجقة ثم اتصال السلاجقة بالدولة العباسية.

أمّا الفصل الثاني فقد تناولت فيه أوضاع الخلافة العباسية في ظل النفوذ السلجوقي وقد قسمته الى عدة مباحث بينت فيها الأوضاع السياسية والإدارية وظاهرة الفساد وبذخ الحكام وتعسف السلاطين السلاجقة والأوضاع الاقتصادية والآثار السلبية للنظام الإقطاع والغلاء والمجاعات والأوضاع الاجتماعية ومنها ظاهرة السلب والنهب.

واختص الفصل الثالث بعلاقات الخلفاء العباسيين مع السلاطين السلاجقة الأقوياء وقسمته إلى عدة مباحث فكان المبحث الأول البوادر الأولى للعلاقات بين الخلافة العباسية والسلاجقة قبل دخولهم بغداد (431-447هـ/ 1039 - 1055م).

والمبحث الثاني تناولت فيه العلاقات بين الخليفة القائم بأمر الله والسلطان السلجوقي طغرلبك (447-455هـ/1055- 1063م)، والمبحث الثالث بيّنتُ فيه العلاقات بين الخليفة القائم

بأمر الله والسلطان السلجوقي ألب أرسلان من 455- 465هـ/ 1063-1073م. والمبحث الرابع العلاقات بين الخليفة القائم بأمر الله والسلطان السلجوقي ملكشاه من 465-467هـ/ 1072-1074م ، أما المبحث الخامس وكان عن العلاقات بين الخليفة المقتدي بامر الله والسلطان ملكشاه 467-487هـ/ 1074- 1094م ، أما المبحث السادس فقد تناولت فيه الأوضاع السياسية للسلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاه وعلاقاتهم بالخليفة المقتدي بامر الله.

وكان الفصل الرابع فقد تناولت فيه علاقات الخلفاء العباسيين مع بقية السلاطين السلاجقة من 487- 590هـ وقسمته إلى عدة مباحث كان المبحث الأول منها عن الخليفة العباسي المستظهر بالله وعلاقته مع السلطان السلجوقي بركياروق والسلطان محمد وطموحاتهما السياسية.

والمبحث الثاني عن سياسة الخليفة العباسي المسترشد بالله وعلاقته مع السلطان محمود والسلطان سنجر والمبحث الثالث عن الخليفة العباسي المسترشد بالله وعلاقته بالسلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/ 1130م ، أما المبحث الرابع فكان عن الخليفة العباسي الراشد بالله وعلاقته مع السلطان مسعود، والمبحث الخامس عن الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله وعلاقته بالسلطان مسعود، والمبحث السادس فكان عن الخليفة العباسي المقتفي بأمر الله وعلاقته بالسلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان مسعود، والمبحث السابع عن محاولة السلطان السلجوقي محمد لدخول بغداد وحربه مع الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله والمبحث الثامن عن الخليفة العباسي المستنجد بالله وعلاقته بالسلاطين السلاجقة من (555-566هـ/ 1160-1170م) والمبحث التاسع عن الخليفة العباسي المستضي بامر الله وعلاقته مع السلاطين السلاجقة من 566- 575هـ/ 1170-1179م والمبحث العاشر عن الخليفة الناصر لدين الله وعلاقته مع السلاطين السلاجقة من575-590ه/ 1179- 1193م.

وقد اعتمدت على عدد من المصادر والمراجع المختلفة والمتنوعة في هذه الدراسة ومن أهم هذه المصادر هي : المصادر التاريخية والتراجم والمصادر الأدبية والمقالات والدوريات إلى جانب بعض الكتب الفارسية والإنكليزية وامتازت بعض هذه المصادر بمعاصرتها للحقبة التي تناولتها هذه الدراسة أو قريبة منها وسوف أتناول في هذه المقدمة بعض الكتب التي كانت ذات قيمة أساسية في هذه الدراسة ومنها " الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت 630هـ / 1232م) فقد كان من الكتب التي اعتمدت عليه في مواضيع كثيرة في هذا البحث لما امتاز به من الدقة والموضوعية والتفصيل في المراسلات والعلاقات والمعارك

والحروب بين السلاجقة والخلافة العباسية والسلاطين السلاجقة فيما بينهم وحتى عن أصل السلاجقة وتكوين دولتهم واحتلالهم للعراق وإساءتهم للخلفاء وأبناء الشعب .

أمّا كتاب "المنتظم" لابن الجوزي (597هـ/ 1200م) فقد فصل القول في احتلال السلاجقة لبغداد وما ترتب عليه من آثار سلبية وعلاقات السلاجقة بالخلافة العباسية وكتاب "تاريخ دولة آل سلجوق" للبنداري (ت643هـ/1245م) عن علاقات الخلافة العباسية بالسلاجقة وكيف بدات هذه العلاقة واحتلالهم للعراق وكيف تصرف معهم الخلفاء العباسيين المقاومين للاحتلال السلجوقي.

وكان كتاب "راحة الصدور وآية السرور" للراوندي (ت599هـ/ 1202م) فقد اعتمدت عليه في اصل السلاجقة ورحيلهم واتصالهم وعلاقاتهم بالخلافة العباسية .

وجاء في كتاب "أخبار الدول واثار الأوَل في التاريخ" للقرماني فقد اعتمدت عليه في اصل السلاجقة وسلاطينهم وحكمهم ، وكتاب " الآداب السلطانية والدول الاسلامية" لابن طباطبا (ت709هـ/ 1309م) فقد اعتمدت عليه في معرفة العلاقات بين الخلافة العباسية والسلاطين السلاجقة والخلع والهدايا فيما بينهم ومراسيم السلطنة ، وكتاب "البداية والنهاية" لابن كثير (ت 774هـ/ 1372م) في معرفة أصل السلاجقة وتكوين دولتهم وتوجهاتهم نحو العراق ودخولهم بغداد وعلاقاتهم مع الخلفاء العباسيين.

أمّا كتاب "مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي (654هـ/ 1256م) فقد اعتمدت عليه في الاتصال والعلاقات بين السلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين.

وكتاب " زبدة الحلب" لابن العديم (ت660هـ/ 1262م) من المصادر المهمة التي اعتمد عليها في العلاقات بين السلاجقة والخلفاء العباسيين والمقاومة التي أبداها الخلفاء العباسيين للسلاجقة والتصدي لهم.

وكتاب "ذيل تاريخ دمشق" لابن القلانسي (ت555هـ/ 1160م) حيث ورد فيه معلومات واسعة عن احتلال السلاجقة للعراق والحروب بين السلاطين السلاجقة من اجل السلطنة.

وهناك مصادر لها مكانة متفاوتة في الاهمية فيفي المعلومات الاساسية افاد منها البحث منها كتاب "مآثر الانافة في معالم الخلافة" للقلقشندي (ت 821هـ/ 1418م) وكتاب "النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس" لابن دحية (ت 633هـ) وكتاب "تاريخ الاسلام" للذهبي (ت748هـ/ 1230م) وكتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية" للبيروني (ت 440هـ/ 1048م)، وكتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزي (ت845هـ/ 1441م) وكتاب "العراضة في الحكاية

السلجوقية" لليزدي (ت 743هـ/ 1342م)، وكتاب "تاريخ البيهيقي" للبيهيقي (470هـ/ 1078م)، وكتاب "النجوم الزاهرة" لابن تغري بردي (ت 874هـ/ 1410م).

واعتمدتُ على مصـــادر ومراجع كثيرة أخرى قديمة وحديثة يمكن الإطلاع عليها في قائمة المصادر والمراجع.

وقد بذلت ما في وسعي من جهد ووقت لاعطاء هذا البحث الصورة الحقيقية ولم آل جهداً في دراسة العلاقات بين الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة في العصر العباسي الثاني.

ولا ادعي لعملي هذا الكمال فالكمال لله وحده فان أصـبت في ما كتبت فلله الشـكر والمنة وان أخطأت فلي من سـلامة القصـد خير ما اعتذر به، وما أردت إلا السـلامة في القول والعمل (أن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) وما توفيقي إلا بالله .

الباحث

حمد أسود

الفصل الأول
قيام دولـة السلاجقة

- أوضاع العالم الإسلامي أثناء اندفاع السلاجقة إلى العراق
- المبحث الاول: اصل السلاجقة
- المبحث الثاني: موطن السلاجقة وهجرتهم
- المبحث الثالث: علاقة السلاجقة بالدولة الغزنوية
- المبحث الرابع: قيام دولة السلاجقة
- المبحث الخامس: اتصال السلاجقة بالدولة العباسية

الفصل الاول
قيام دولـة السلاجقة

التمهيد

أوضاع العالم الإسلامي أثناء اندفاع السلاجقة إلى العراق

شهد التاريخ الإسلامي حركة تمثلت بظهور جماعات تركية وتوجهها من مواطنها الأصلية في أواسط آسيا وانتشارها أحياناً واندفاعها أحياناً أخرى إلى غربي آسيا وشرق أوربا ووسطها، وهي حركة ظهرت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي/ إلى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي[1] وكانت هذه الجماعات المهاجرة مدربة على القتال للهجوم أو للدفاع عن نفسها أثناء انتقالها من مكان إلى آخر وهي شبيهة بالجيوش النظامية[2].

---

(1) ابن الأثير: ابو الحسن علي ابن ابي الكرم ،محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، ج8، دار الفكر، (بيروت-1398هـ / 1978م)، ص5.للتفاصيل ينظر، حسنين: عبد المنعم محمد، دولة السلاجقة، مكتبة الانجلو المصرية(مصر- 1975)، ص7 وما بعدها . أمين: حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، جامعة بغداد، مطبعة الإرشاد، (بغداد ، 1385هـ/ 1965م)، ص47-48.

(2) بارتولد: فاسلي ويج، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: احمد السعيد، مطبعة الانجلو المصرية، (مصر-1958)، ص107. للتفاصيل ينظر، حسنين، دولة السلاجقة، ص7 فما بعدها .

وكان خروج هذه الجماعات من مواطنها الأصلية يرجع إمّا إلى ظروف اقتصادية ملحة لكثرة أفرادها فتبحث عن مكان آخر أكثر اتساعا وأوفر خيرا أو إلى ضغط قبائل أكثر قوة تجبرها على الرحيل إلى موطن آخر[3]، وكانت نقطة التحول المهمة في تاريخ هذه الجماعات التركية هو اعتناقها الدين الإسلامي[4]. لأنّ اعتناقهم للدين الإسلامي أزال الحواجز التي كانت تقف بينهم وبين المسلمين، بالإضافة إلى انه أزال الحواجز التي كانت تقف بينهم وبين التاريخ العالمي فاخذوا يتسربون إلى ممالك المسلمين ودولهم ويدخلون في خدمة ملوكها وأمرائها وقوادها ويمدون هذه الممالك بقوة جديدة، ثم واتتهم الظروف فأقاموا لهم دولاً، وهذا يعني إن الإسلام رفع من قدر الترك، وأدخلهم في نطاق التاريخ العالمي، كما مهد لأنفسهم مكاناً علياً حين ألتفّو حول راية الإسلام، مكّنوا قوته وحملوا رايته، وساروا بها في البر والبحر حتى بلغوا بها وسط أوربا[1].

إنّ السلاجقة من الجماعات التركية التي تحركت غرباً إلى أراضي الدول الإسلامية، واستقرت في هذه الأراضي واستغلت أحوال البلاد التي نزلتها وتصدت لها وتمكنت من إقامة دولة، كان هدفها البعيد توحيد العالم الإسلامي تحت زعامة سنية[2].

وحينما قامت دولة السلاجقة كان العالم الإسلامي تتنازعه أكثر من خلافة فقد كان هناك: الخلافة العباسية في بغداد والفاطمية في القاهرة. والخلافة الأموية في قرطبة وتتقاسمه دول ودويلات متعددة سنية وشيعية يجب التعريف بها كي تتضح العوامل التي ساعدت على ازدياد قوة السلاجقة وسيطرتهم على الخلافة الإسلامية واندماج تاريخهم بتاريخها[3].

ومن أهم هذه العوامل المساعدة هي:

1.ضعف الخلافة العباسية

كانت الخلافة العباسية حين ظهور السلاجقة ضعيفة واهنة إذ ازداد نفوذ الأتراك في الدولة العباسية، حتى سلبوا سلطة الخلفاء، وتدخّلوا في شؤون الدولة، وتحكموا في تولية الخلفاء وعزلهم أحياناً ، أو سمل عيونهم أو قتلهم، يضاف إلى ذلك أن النساء تدخلت في السياسة، فكن أحياناً يوجهن دَفّة الدولة، وكثرت تولية الوزراء وعزلهم وتولية العهد لأكثر من واحد مما أشعل المنافسة والفتنة بين أمراء البيت الواحد[4]، وان الدولة العباسية أخذت في الضعف والتخاذل منذ عهد الخليفة المتوكل بالله (232-247هـ/847-861م) حين أخذ نفوذ الأتراك في الازدياد حتى سيطروا على المناصب الإدارية المدنية والعسكرية وقبضوا بأيديهم على زمام الأمور في الدولة[5].

وقد ازدادت شوكة القادة الأتراك منذ أوائل القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، وتفاقم خطر الدول المستقلة، فغلب نفوذ البويهيين في فارس والري وأصفهان وبلاد الجبل، واستقر بنو

---

[3] الراوندي: محمد بن علي بن سليمان،(ت599هـ/ 1202م)، راحة الصدور وآية السرور، نقله الى العربية إبراهيم الشواربي وآخرون، (مصر- 1960)، ص145،للتفاصيل ينظر، الشلبي: احمد، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، ط3، (القاهرة- 1969) ج4، ص56.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص22، للتفاصيل ينظر، إدريس: محمد محمود، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، المطبعة التجارية الحديثة، (القاهرة- 1985)، ص61.

[1] حسنين، دولة السلاجقة، ص8.

[2] إدريس، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، ص60، حسنين ، دولة السلاجقة، ص8.

[3] ستانلي لين: بول، الدولة الإسلامية، يبحث عن 181 دولة إسلامية، ترجمة: محمد صبحي مروان، القسم الثامن، السلاجقة، (مصر 1393هـ- 1973م)، ص311، للتفاصيل ينظر، حسنين: عبد المنعم محمد، سلاجقة إيران والعراق، ط2، مطبعة السعادة، (القاهرة، 1380هـ- 1970م)، ص5.

[4] البيروني: أبو الريحان محمد بن احمد، الآثار الباقية عن القرون الخالية مطبعة ليبريج (سنة - 1878م)، ص132، للتفاصيل ينظر، حسنين، دولة السلاجقة، ص9، سلاجقة إيران العراق، ص5-6.

[5] حسنين، دولة السلاجقة، ص13 ؛ سلاجقة إيران والعراق ، ص9-10.

حمدان في الموصل وديار بكر وديار ربيعة ومظر، وسيطر الأخديشيون على مصر والشام ثم خلفهم الفاطميون، وظفر السامانيون بحكم خراسان[*]، ثم خلفهم الغزنويون فحلوا محلهم، ثم وسعوا رقعة دولتهم حتى اشتملت أكثر بلاد الهند[1]، وأعلن عبد الرحمن الثالث الأموي (316هـ- 350هـ) نفسه خليفة على بلاد الأندلس، إذ انه أيقن أنّ سلطة الخليفة العباسي في بغداد قد ضعفت من جراء خضوعه لنفوذ الأتراك والخدم والنساء[2]، وأدت هذه الأحوال المضطربة إلى تقلبات في الأوضاع السياسية، وسقوط دول ودويلات وحلول اخرى محلها[3]، وكان للناحية الدينية في ذلك الوقت أثر في تكييف الأحداث وتوجيه دَفّة سيرها، فقد أوجدت الخلافات المذهبية كثيرا من المنازعات تمثل قسم منها في الخطاب السياسي والآخر بالحروب، وأوجدت انعدام الطمأنينة والثقة في نفوس الناس ورواج التصوف، وارتفاع قدر علماء الصوفية[4]، فكثرت البدع في العهد العباسي وانقسم المسلمون شيعا وطوائف فظهرت فرق كثيرة كالإسماعيلية والزنادقة والمعتزلة [*].

تناهض بعضها بعضا[1]، ويحاول البعض منها اغتنام الفرصة للقضاء على الدولة العباسية[2]، وهكذا لم يكن للخلفاء العباسيين قوة مادية وعسكرية ملحوظة حينما ظهر السلاجقة في ما وراء النهر[*]، وخراسان، فلم يكن خلفاء العباسيين قادرين على القيام بادوار سياسية مهمة في ذلك الوقت غير انهم كانوا يتمتعون بقوة معنوية عظيمة[3]، يستمدونها من كونهم خلفاء المسلمين، وأمراء المؤمنين الذين تهفو إليهم قلوب المسلمين في جميع أرجاء العالم الاسلامي، مما جعل الحكام والسلاطين يحرصون على الظفر بموافقتهم على توليتهم السلطة حتى تكتسب سلطتهم صفة شرعيه[4].

---

[*] خراسان: مدينة واسعة تشمل على الكثير من المدن المهمة في بلاد فارس،منها نيسابور وهورات ومورو، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص350- 354.

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص4، للتفاصيل ينظر، حسن: حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج3، (القاهرة- 1967)، ص1.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص4، للتفاصيل ينظر، حسنين، دولة السلاجقة، ص10.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص63-67 . للتفاصيل ينظر، حسنين، دولة السلاجقة، ص10.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص56-59.

[*]الإسماعيلية: حركة دينية ظهرت في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي في بلاد فارس ولها عدة فروع، فاطمية (عبيدية) وقرامطية او نزارية وحشيشية، ومن ابرز قادتها الحسن الصباح وإنّ اصحابها تفرقوا في العقيدة وانحرفوا عن الإسلام الصحيح وادعوا ان النبوة لن تنتهي بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ودانوا بالحلول والتناسخ والقدسية والباطن والظاهر وعملت الخلافة العباسية على حث العلماء والفقهاء بالرد على مزاعم الإسماعيلية. د. حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج4، ص382. اليوزبكي:د. توفيق سلطان، دراسات في النظم العربية الإسلامية، (بغداد- 1979م)، ص89- 91.

الزنادقة: من الحركات الأعجمية المتحدية للإسلام وعقائده ومكانته وكانت تطلق على المتمسكين بتعاليم المانوية، ثم أصبحت زنديق تطلق أيضا على الملحدين والمستهزئين بالدين. ويرتبطون الزنادقة بالمانوية وهي دين دعا اليه ايام الدولة الساسانية رجل فارسي ظهر في جنوب العراق وساح في البلاد يدعى(ماني) دعا الى دين فيه معتقدات كانت قائمة آنذاك، ثم أصبحت كلمة زنديق، مجموعة مؤلفين، العراق في التاريخ، (بغداد- 1983)، ص392. (والزنديق) من الثنوية وهو فارسي معرب وجمعه زنادقة وقد تزندق والاسم الزندقة الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ت 666هـ ، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي (بيروت، 1406هـ) ، ص276.

المعتزلة: هي اول مدرسة كلامية في الإسلام وإنها استطاعت أن تثبت الأصول العقلية للعقيدة الإسلامية . صدقي مهدي، النزاع بين الأمين والمأمون، رسالة ماجستير، (لندن، ب ت)، ص183. وأبدت المعتزلة دورا كبيرا في تاريخ الفكر الإسلامي منذ نشأتها على يد واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد في نهاية القرن الأول الهجري، وهناك نظريات عديدة في اصل المعتزلة وأهدافهم. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص125.

[1] الدينوري: احمد بن داؤد، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال ، دار احياء الكتب المصرية (القاهرة- 1960) ص290-291.للتفاصيل ينظر، اليوزبكي: دراسات في النظم العربية الإسلامية، ص84-86، د. حسن، إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج3، ص1.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص53 ،للتفاصيل ينظر، حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص13.

[*] بلاد ما وراء النهر: يراد بها ماوراء نهر جيحون بخراسان. ياقوت الحموي: شهاب الدين، معجم البلدان، ج5، دار صادر (بيروت-1957)، ص45- 47.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص71. البيروني، الآثار الباقية، ص132.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص71.

وقد كان الخليفة العباسي القائم بأمر الله (423هـ- 467هـ) قد زامن حكمه قيام دولة السلاجقة في عام 429 هـ/1037م، وطلبوا منه الاعتراف بقيام دولتهم في عام 432هـ/1040م، ولم يتردد في إعلان اعترافه في دولة "طغرلبك" أول سلاطين السلاجقة ودعوته لزيارة بغداد[5].

2. الخلافة الفاطمية

اتخذت الخلافة الفاطمية " القاهرة " عاصمة لها في الوقت الذي كانت فيه دولة السلاجقة تبسط يدها على بلاد الشام[1]، ولم تكن الخلافة الفاطمية احسن حالا من الخلافة العباسية من حيث القوة المادية، فقد كانت مصر تعاني من الضعف والفقر لما أصابها من أضرار من جراء انخفاض نهر النيل مدة ثلاث سنوات متتالية 398-401هـ/1008-1011م)[2]، إضافة إلى سياسة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (386-411هـ/996-1020م) رعاياه التي اتسمت بالعنف والفوضى والاضطراب والتذبذب[3]، وحينما اعلن عن قيام دولة السلاجقة في عام (429هـ/1037) من قبل السلطان طغرل بك الأول، كان المستنصر بالله حفيد الحاكم بامر الله هو الخليفة الفاطمي وكان في التاسعة من عمره، فتدخلت أمُّهُ في إدارة شؤون الدولة وعظم نفوذ الوزراء، واخذ مركز الخلافة يتزعزع إلى حد كبير وبدأ نفوذ الفاطميين يتقلص وأخذت رقعة دولتهم تتكمش، وكان ضعف الدولة الفاطمية من العوامل التي يسرت على السلاجقة- بعد تأسيس دولتهم وبسط سيطرتها على فارس والعراق والأناضول- فتح بلاد الشام ومهاجمة مصر نفسها[4].

3. السامانيون

عند ظهور السلاجقة في أواخر القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد في ما وراء النهر[5] كانوا يجاورون السامانيين الذين كانت دولتهم في مرحلة الهرم والاحتضار مما يسر للسلاجقة تثبيت اقدامهم في تلك المنطقة. والسامانيون ينتسبون إلى اسر فارسية عريقة الأصل، وقد بدأ نجم دولتهم يرتفع في القرن (الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) فصاروا ولاة على ما وراء النهر ثم امتد نفوذهم فشمل طبرستان والري وقزوين وأقاموا علاقاتهم مع الخلفاء العباسيين على أساس المودة، والمصالح المتبادلة. فكان الخلفاء يعتمدون عليهم في

---

[5] الراوندي، راحة الصدور، ص105.
[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص31-37.
[2] حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص153.
[3] ابن خلكان، شمس الدين ابو العباسي احمد بن إبراهيم بن ابي بكر الشامي، ت(681هـ-1271م) وفيات الاعيان، ج2مطبعة الوطن (القاهرة- 1299هـ)، ص126.
[4] حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص155، حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص15.
[5] حسنين، دولة السلاجقة، ص12، نقلا عن اقبال: تاريخ إيران ازاء ظهور اسلام تاحمله مغول، ص121.

إقرار سلطانهم في بلاد المشرق[1] ثم بدأ الصراع بين السامانيين والبويهيين، وقامت بينهما الحروب وتبادلا الهزيمة والنصر[2]، قد شق عصا الطاعة بعض قواد السامانيين فاخذ الضعف يدب في البيت الساماني وبدأ شبح الانهيار يظهر في دولتهم منذ منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وفي اواخر هذا القرن طمع فيهم جيرانهم من الخانيين, والغزنونين, فتقدم الخانيون بقيادة ايلك خان المعروف ببغراخان التركي للاستيلاء على سمرقند، وانتهز السلطان محمود الغزنوي فرصة ضعف السامانيين فاستولى على مدينتي بخارى ونيسابور واستقر بخراسان، فازال نفوذ السامانيين عنها، فوقعت بلاد ما وراء النهر في يد بغرخان الذي قصد مدينة بخارى فسيطر عليها وقسمت البلاد التي كانت تحت سيطرة دولة السامانيين بين الغزنونيين والخانيين[3]، وبذلك اختفى السامانيين من المسرح السياسي في خراسان وما وراء النهر, بينما أصبح السلاجقة يظهرون فوق هذا المسرح ليمثلوا دوراً أطول مدة وأعظم أثراً من الدور الذي شغله أولئك السامانيون[4].

4. الغزنويون

كان الغزنويون في أواخر القرن الرابع للهجرة وأوائل القرن العاشر للميلاد في أوج قوتهم في الوقت الذي ظهر فيه السلاجقة فقد كان زعيمهم السلطان محمود الغزنوي الذي غزا الهند اثنتي عشرة مرة، وضم الى مملكته البنجاب واخضع بلاد الغور وبلاد ما وراء النهر[5] وازال الدولة السامانية من خراسان، وحقق عدة ضربات ناجحة ضد البويهيين وتمكّن من الاستيلاء على اصفهان[6]، وقد أدت حروب محمود الغزنوي من تحقيق هدف سامي وكبير وهو نشر الإسلام مرة ثانية وتعزيز موقف المسلمين الأوائل في البنجاب وفي الهند بالذات، وتوسيع رقعة دولته وبسط نفوذه فيها، فاكتسب مكانه كبيرة حسده معاصروه عليها، وأصبح

من أبطال الإسلام الذين أحرزوا لقب (الفاتح)[1]، وقد امتزجت حملات محمود الغزنوي في بلاد الهند بصبغة الجهاد الديني، بالإضافة إلى انه غنم منها غنائم كثيرة، واتسعت ممتلكاته حتى ضمت الهند شرقاً والعراق غرباً وطخارستان وخراسان وجزء من بلاد ما وراء النهر شمالاً وسجستان جنوباً[2]، ان ظهور الدولة الغزنوية بهذا الشكل يعد انتصار الأتراك على الفرس في ميدان الزعامة في العالم الإسلامي[3]، غير أنَّ هذه الدولة لم تختلف في سياستها عن الدولة السامانية فقد كانت تستند إلى السيف فلما وهنت وضعفت واهتز كيانها واختلت قوتها بعد موت محمود الغزنوي في عام 421هـ/1030م إذ أخذت الأمصار الشرقية تنفصل عنها تدريجيا، من جانب اخر ازدياد قوة السلاجقة الذين لم يلبثوا أن أقاموا دولة صارت أكبر قوة في العالم الإسلامي[4].

---

(1) ابن الأثير، ج7، ص361، للتفاصيل ينظر، حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص8.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، راجعه محمد بن يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط3 ، لبنان (بيروت- 1418هـ/ 1998م)، ص371.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8 ، ص22.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص23.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص23، للتفاصيل ينظر، حسنين، دولة السلاجقة، ص13.

(6) حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص، نقلا عن

.Browne: Aliterary Hestory of persio Vol 1, P376

(1) المستوفي: حمد الله بن احمد القزويني، تاريخ كزيدة بنشر بروان، (ليدن، 1328هـ/ 1910م)، ص296.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص26.

(3) حتي ، فيليب وآخرون ، تاريخ العرب، ج2، (بيروت-1950)، ص559.

(4) الراوندي، راحة الصدور، ص54.

كان الغزنويين في أوج قوتهم حين بدأ ظهور السلاجقة على المسرح السياسي ، لأنهم ظهروا في عصر محمود الغزنوي الذي كان أقوى حاكم في العالم الإسلامي في ذلك الوقت فلم يستطيعوا الوقوف بوجهه، ولم يفكروا في مناوأته، فلما توفي محمود عجز ابنه مسعود عن ملء الفراغ الذي تركه والده. لأنَّ الفتن وصلت إلى خراسان والهند، فلما ظهرت دولة السلاجقة، لم يستطيع مسعود التفرغ للقضاء عليهم، فازدادت قوتهم وطمعوا في إجلاء الغزنويين، وتمكنوا من الاستيلاء على معظم بلاد خراسان، وأعلنوا قيام دولة لهم، ورسخت اقدام دولتهم بعد انتصارهم على مسعود انتصاراً ساحقاً في موقعة داندانقان في عام 431هـ/ 1039م، ولم يفكر الغزنويون بعدها في مناوءة السلاجقة فاستقر نفوذهم في بلاد فارس[5] .

5. البويهيون

ظهر البويهيون في أوائل القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد [1]. في قوة كبيرة تستطيع ان تؤدي دورا كبيرا في التاريخ، ثم تمكن مُعِزُّ الدولة احمد بن بويه من دخول بغداد في عام 334هـ/945م وبسط نفوذ البويهيين عليها[2]، فقد كان البويهيون يتعصبون للمذهب الشيعي فلم يتورعوا من التعدي على الخلفاء العباسيين، والانتقاص من حقوقهم، والتفكير في إزالة الخلافة العباسية وإقامة خلافة علوية مكانها. وكانت سياسة البويهيين في العراق قد اتخذت خطواتها نحو اثر سيء إذ أدت إلى قيام الفتن الطائفية بين أبناء الشعب وكثرت الثورات بين الجند[3]، فلم يبق إلا الاسم منها، ولم يكن للخليفة العباسي من الأمر من شيء سوى ذكر اسمه في الخطبة ونقش اسمه على السكه[4]، ولم يقتصر نفوذ البويهيين على العراق، بل امتد إلى جهات أخرى كانت تابعة للعباسيين فسيطر على اجزاء من بلاد فارس وبسطوا نفوذهم على الري وهمدان وفارس واصفهان وعُمان، فذهبت هيبة الخلافة العباسية في عهد البويهيين[5]، غير أن نفوذ البويهيين أصيب بضعف شديد في أواخر القرن الرابع واوائل القرن الخامس الهجريين، وتزامن هذا الضعف مع ظهور السلاجقة، فضعف سلاطين البويهيين، وتنازع الأمراء فيما بينهم، فازداد نفوذ الجند الأتراك فاخذوا يوجهون سير الأمور في الدولة العباسية وكان لهم حق التدخل في تولية ملوك بني بويه وعزلهم، وقسرهم على أن يقسم لهم بالطاعة والوفاء، أما الخليفة العباسي القائم بأمر الله فلم يلتفت فما كان له إلا تنفيذ رغباتهم[6]، ولما أصبح سلطان البويهيين ضعيفا ، اخذ السلاجقة يثبتون دعائم دولتهم في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وخاصة في المناطق والبلاد التابعة للبوبهيين التي أصابتها الفتن وألإضطرابات والقلاقل[7].

---

[5] الراوندي، راحة الصدور، ص56.للتفاصيل ينظر، حسنين، دولة السلاجقة، ص14.

[1] مسكويه: احمد بن محمد (ت421 هـ/ 1030 م) ، تجارب الامم، ج1، امدروز، مطبعة شركة التمدن الصناعية، (مصر- 1914)، ص278-279.
[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص74.
[3] حسن، تاريخ الإسلام، ج3، ص44.
[4] الراوندي، راحة الصدور، ص156.
[5] البيروني، الآثار الباقية، ص132.
[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص253.
[7] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص261. للتفاصيل ينظر، حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص12.

وكانت الحروب التي قامت بين الملك الرحيم آخر الحكام البويهيين وبين إخوته من أهم عوامل ضعف دولتهم، فبدلا أن يتحد الملك الرحيم وإخوته ويقفوا صفا واحدا في وجه السلاجقة، تناحروا فيما بينهم، مما هيأ للسلاجقة الأقوياء فرص الاستيلاء على بغداد ودخولهم لها في عام 447هـ/ 1055م وبذلك انتهت قوة البويهيين بانتهاء دولتهم مما أتاح للسلاجقة بان يكونوا اكبر قوة في العالم الإسلامي[1] . بعد ان ساعد على توجههم نحو املاك الدولة العباسية الحركات الدينية والفكرية والقوى الاسلامية ومنها القرامطة والاسماعيلية.

المبحث الاول
اصل السلاجقة

" السلاجقة " أسرة من الأمراء الترك حكمت أقاليم مترامية الأطراف في آسيا الوسطى والدنيا من القرن الخامس إلى السادس الهجري/ الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي ومن أهم فروعها[1]:

1. السلاجقة الكبار (الأقوياء)
2. سلاجقة العراق
3. سلاجقة كرمان
4. سلاجقة الشام
5. سلاجقة آسيا الصغرى (الروم)

وينتسب السلاجقة إلى إحدى القبائل التركية التي عرفت باسم (القنق) وكانت قد اندفعت من موطنها الأصلي في سهول تركستان التي كانت تسكن فيها إلى بلاد ما وراء النهر خلال القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة[2].

السلاجقة ذو عدة وعدد لا يدينون لأحد، ويذكر القرماني إنهم ينتسبون إلى نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام[3]، وكان جد هؤلاء الأمراء سلجوق بن دقاق (تقاق) وقد عرف

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص39-40- 71.
[1] دائرة المعارف الإسلامية، تعريب محمد ثابت الفندي واخرون ، (ب ت) ، مادة سلجوق، ص24.
[2] الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص3، للتفاصيل ينظر، حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص16.
[3] القرماني: العالم الفاضل ابي العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي، اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ، (القاهرة، ب ت) ، ص270.
[4] دائرة المعارف الإسلامية، المجلد12، مادة سلجوق، ص24.
[5] القرماني، المصدر السابق، ص270.

بـ(تيموربلغ) أي (ذي القوس الحديدي)[4] وتقاق القوس الحديد لقمان بن أيوب بن داود[5] وقد عرفوا بـ(السلاجقة) نسبة إلى جدهم سلجوق بن دقاق ينظر قائمة النسب في الصفحة اللاحقة[6][*] وكان والد سلجوق (دقاق) رجلا شهمـــاً

صاحب رأي وتدبير وبعد وفاته انتقل الأمر إلى والده سلجوق، ففوض إليه ملك الترك (بيغو) أمارة الجيش، وانعم عليه بلقب سوباشي[1]، أي قائد الجيش .

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص16، للتفاصيل ينظر الجميلي: رشيد عبد الله، امارة الموصل في العصر السلجوقي، 489هـ- 521هـ، (جامعة بغداد- 1980)، ص34.

(ورود اسم دقاق على عدة صور، ففي اخبار الدولة السلجوقية للحسيني، ص1-2.ورد اسم "يقاق " وفي الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ج8، ص16. " تقاق " ، و" بقاق " و"دقماق " برايس: تافاراتالبوت، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري، إبراهيم الداقوقي، (بغداد- 1968)،ص19وهناك من قال ان :" دقاق " و"بقاق"و" تقاق ". كلمة تركية معنى القوس من الحديد، انظر: الحسين، اخبار الدولة السلجوقية، ص1.

[1] الراوندي، راحة الصدور، ص147. ويذكر: ابن الأثير، ان اسمه سباشي ومعناها في اللغة التركية قائد الجيش، الكامل في التاريخ، ج8، ص23.

المبحث الثاني
موطن السلاجقة وهجرتهم

اتسمت الحقبة الزمنية الاولى من حياة السلاجقة بالتنقل بين سهول التركستان وبلاد البلغار بحثا عن الكلأ[1]، وقد اضطرتهم ظروفهم المعيشية الصعبة، وتنازعهم فيما بينهم إلى النزوح من موطنهم الأصلي إلى بلاد ما وراء النهر ما بين القرنين الثاني والرابع الهجريين وانتقلوا بين بخاري، وسمرقند[*]وقد أودت بهم تلك الظروف الى الجهل وعدم الاهتمام بالعلم لانهم يعيشون حياة البداوة. ومع ذلك فقد حاولوا الاستقرار في إقليم ما وراء النهر وإقليم خراسان[3].

ولم تكن هذه القبائل موحده القيادة في أول أمرها إلى أنْ ظهر سلجوق في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري إذ جمع شمل هذه القبائل ووحدها تحت زعامته، فنسبت إليه وخضعت له أبنائه وأحفاده من بعده[4].

وان أسباب هجرة السلاجقة (الجماعات التركية) بسبب نمط حياتها الاقتصادية القائمة على التنقل وراء الماء والكلأ وتعرضها إلى الضغط والمنافسة من قبل القبائل الرعوية في مناطق تجوالها الأصلية، وقد أشار الراوندي إلى ذلك بقوله: ((وقد اضطر هؤلاء السلاجقة إلى الهجرة))[5] .

وذكر بعض المؤرخين أنّ هجرتهم كانت، لأسباب سياسية واقتصادية فقد أخذت أفواج من قبائل الأتراك (الغز) تهاجر من أقصى تركستان إلى إقليم ما وراء النهر[1] وهناك سبب آخر في رحيل السلاجقة إلى بلاد ما وراء النهر هو أنّ زوجة ملك الترك لما رأت طاعة الناس

---

[1] المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك صححه وضبط حواشيه محمد مصطفى زيادة، ج1، دار الكتب المصرية (القاهرة- 1956 م)، ص30، ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، العبر وديوان المبتدا والخبر، ج ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر(بيروت- 1958م)، ص3.

[*] بخارى: من أعظم مند ما وراء النهر. ابن حوقل: محمد النصيبي (ت367هـ/ 977م) صورة الأرض، مكتبة الحياة، (بيروت، ب ت)، ص398.

سمرقند: مدينة ما وراء النهر، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص133، ابن حوقل، صورة الأرض، ص406.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص23.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص5، للتفاصيل ينظر، شلبي: احمد، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط3، ص4، ص56. الخضري بك: محمد، محاضرات تاريخ الامم الإسلامية، الدولة العباسية، المكتبة التجارية الكبرى (القاهرة - 1970)، ص410.

[5] الراوندي، راحة الصدور، ص53.

لسلجوق وانقيادهم إليه قالت لزوجها ((إني أتوسم في سلجوق تغلبا عليك والرأي عندي أن تقتله فقد كثر ميل الناس إليه)) [2] فقال لها: ((سوف أبصر ما أصنع في أمره)) ثم جلس سلجوق فيه عزم على ذلك الأمر، وظهر له تغير ملك الترك فجمع عشيرته ومن تبعه أو حالفه واستجلب من أطاعه وأصبح قائداً ذو كفاءة للغزو، ثم خرج بهم من بلاد الترك إلى بلاد ما وراء النهر[3]، فقد بدأت هجرة السلاجقة في حدود عام345هـ/ 956م[4]، إذ رحل سلجوق من قبيلته إلى أراضي الإسلام ونزلوا بالقرب من السامانيين والغزنويين في نواحي جند[5](*) ويذكر ابن الأثير إن إسلام سلجوق وقبيلته بعد هجرتهم إلى بلاد ما وراء النهر واستقرارهم فيها[6]. وان اعتناقهم الإسلام جاء نتيجة احتكاكهم بالحضارة العربية الإسلامية المتفوقة في المنطقة وتأثرهم بها إلى جانب تأثير الهجرات التركية السابقة ودخول البعض منهم في الإسلام.

هذا زيادة على العوامل السياسية والاقتصادية اتي دفعت السلاجقة لإعلان إسلامهم[7].

ومكنتهم من مطاردة الأتراك الوثنيين وصد هجماتهم[1]. ويذكر ابن طباطبا ((انه لما دخلها [بلاد ما وراء النهر] اظهر الإسلام ليكون المسلمون عونا له وليمكنوه من المراعي والمساكن))[2] ولكن الصحيح هو إن اعتناقهم الإسلام جاء عن رغبتهم الكبيرة في ذلك ونتيجة إيمانهم بالمباديء الإسلامية السمحة لأنه من الصعب تغير معتقد شخص دون رغبته، ويبدو أنّ إسلام السلاجقة قد فتح أمامهم أبواب البلاد الإسلامية، وبذلك هيأ لطموح سلجوق وتطلعه إلى السلطة فرصة استغلال الظروف السياسية في المنطقة المتمثلة بالنزاع القائم بين القوى المحلية وخاصة الغزنويين والخانيين واستمرارهم بغزو بلاد الترك الوثنيين[3]، وان مطاردتهم للأتراك الوثنيين قد أوضحت حجم قوتهم عند السامانيين، فاستعانوا بهم على الخانيين الذين كانوا في نزاع مستمر معهم من اجل السيادة على منطقة ما وراء النهر[4]، ومن اجل حماية الثغور الشرقية والعمل على نشر الإسلام بين الأتراك الوثنيين فيما وراءها[5].

---

[1] حمدي: حافظ احمد، الشرق الإسلامي قبل الغزو المغولي، مطبعة الاعتماد، (القاهرة- 1950)، ، ص32. شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط3، ج4، ص56.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص176.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص176، ابن طباطبا: محمد ابن على ابن الطقطقي، (ت709هـ/ 1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، (بيروت- 1966)، ص213.

[4] امين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص45، د. خليل إبراهيم السامرائي ، د. جزيل عبد الجبار الجامرد، د. طارق فتحي سلطان، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، 132-656هـ، (الموصل- 1988)، ص204.

[5] شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج4، ص56، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص2، سليمان: أحمد السعيد، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج1، دار المعارف، (القاهرة- 1969)، ص314.

(*) جند: مدينة في بلاد فارس وهي مدينة في عربستان (الاحواز) في نشر من الأرض حسنة حصينة منيعة، تميز بمن جاورها بخيراتها وبها نخيل كثيرة وزرع، ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، معجم البلدان، ج2، دار إحياء التراث العربي، لبنان (بيروت- ب ت) ص 170.

[6] الكامل في التاريخ، ج7، ص474.

[7] سليمان، تاريخ الدولة الإسلامية، ص314، حسن: صالح رمضان، مقاومة الخلافة العباسية للنفوذ السلجوقي في العراق (512هـ- 555هـ/ 1118م- 1160م) رسالة ماجستير، جامعة الموصل (الموصل- 1978). العبادي: احمد المختار، في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة (بيروت- 1972)، ص18.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص22، للتفاصيل ينظر، محمد كريمة سليمان، المقاومة العربية للاحتلال السلجوقي، (447-590هـ/ 1055- 1193م)، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد- 1989م)، ص29.

[2] ابن طباطبا: فخر الدين محمد بن علي بن الطقطقي (ت709هـ/ 1309م) الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، (بيروت- 1966)، ص292-293.

[3] بارتولد: تاريخ الترك في اسيا، ص104، ابن طباطبا: الفخر في الاداب السلطانية، ص293، للتفاصيل ينظر، حسن، مقاومة الخلافة العباسية، ص29. الخالدي: فاضل عبد اللطيف، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، (القاهرة- 1388هـ/ 1969م)، ص147.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص22.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص474، بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه امين ومنير البعلبكي، ج2، دار الملايين (بيروت- 1949)، ص125.

وقد وقف السلاجقة بجانب السامانيين، في الحروب الدائرة بينهم وبين الايلخانين والدولة الغزنوية[6]، كما ان تحالفهم مع السامانيين ساعدهم على تثبيت أقدامهم في الارض التي منحتهم إياها الدولة السامانية لقاء هذه المساعدات، ويلاحظ أن إسلام السلاجقة جعلهم يتشاركون في الأحداث، ومهد لظهورهم سياسيا. ويعلل جرجي زيدان ذلك تعليلاً بعيداُ إذ يقول: ان سبب توجه السلاجقة نحو بلاد المسلمين نتيجة علمهم باختلال الأوضاع في الدولة العباسية فطمعوا فيها، ودخلوا الدين الإسلامي من اجل تحقيق هدف سياسي[7] وهذا التعليل غير وارد ولا يمكن أن يكون لأنّهم دخلوا الإسلام بإرادتهم وأنّ صلة السلاجقة بالدولة السامانية في موطنهم الأول كانت نتيجة نزاع حدث بين احد ملوك السامانية. وهرون بن ايلك خان امير الدولة الالخانية وقد استولى على بعض بلاد السامانية، فرأى الساماني أن يضرب الحديد بالحديد فاستنجد سلجوق فأنجده بابنه أرسلان في جمع من أصحابه فقوي بهم الساماني واستردَّ من خصمه فأخذوه وهذه أول صلة بين السلاجقة والسامانية[1].

ثم توفي سلجوق وله ثلاثة أبناء هم أرسلان وميكائيل وموسى واسرائيل[2] ، أما ميكائيل فقد غزا غزوه في بلاد الترك فاستشهد بها وبقي أبنـاءه وهم بيغو وطغرلبك محمد وجغري بك داود فاطاعتهم عشيرتهم وتسلموا زعامة السلاجقة بعد ابيهم وميكائيل[3])، إلاّ أنّ انتقال السلاجقة من مكان لاخر بعد وفاة سلجوق كان قد فرضته الظروف عليهم نظرا لتوتر علاقتهم مع الحكام المحليين فقصدوا نواحي بخارى فتحالفوا مع حاكمها[4])، ووقع القتال بين الطرفين فاتجهوا الى جند، وأقاموا هناك حتى سقوط الدولة السامانية عام 389هـ/998م[5]) فقد اصبح للسلاجقة دورٌ مهمٌ في تقرير الاوضاع في بلاد ما وراء النهر وذلك بعد اعترف ايلك خان بنفوذ تكين وأرسلان بن سلجوق في بخارى[6].

المبحث الثالث
علاقة السلاجقة بالدولة الغزنوية

---

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص22. للتفاصيل ينظر، زيدان: جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج4، (بيروت-1967)، ص417.

[7] جرجي: زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ص471.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص22، للتفاصيل ينظر: بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج2 ، ص125. الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ص410-411.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص22، للتفاصيل ينظر، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص2.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص22، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1 ق1، دار الكتب المصرية، (القاهرة- 1956)، ص57، ابن الوردي: زين الدين عمر، (ت749هـ/ 1348م) تاريخ ابن الوريدي المسمى تتمة المختصر في احوال البشر (النجف-1969)، ج1، ص481، الخضري بك، مخاطرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ص413.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص23، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1 ق1، ص32.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص23، ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج1، ص481، المقريزي، السلوك، لمعرفة دول الملوك، ج1 ق1، ص32.

[6]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق1، ص32، ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج1، ص481.

كان لتحالف السلاجقة مع السامانيين اثرٌ واضحٌ في معـاداة الدولـة الغرنويـة لهم فقد دفـع محمود الغزنوي إلى شن حرب على السلاجقة اضطرتهم إلى الهرب أمامه[1] ، على الرغم من ضعفهم وسوء العلاقـة بين السـلاجقة والغرنـويين فقد كـانت النهايـة لصـالحهم إذ أصـبحوا سـادة الموقف والمسيطرين الحقيقيين على شؤون الدولـة العباسـية ولاسيما الأقسـام الشـرقية منهـا ممـا قادت الدولة الغزنوية إلى طريق الضـعف والاضـمحلال[2]، وقد اخذ السلطان محمود الغزنـوي يظهر الاهتمام الحقيقي بالسلاجقة بعد أن حذره ايلك خـان من خطرهم[3] فقام محمود الغزنـوي باعتقـال زعيمهم أرسـلان بن سـلجوق فسـجنه[4] ثم نقلهم إلى نـواحي خراسـان وأجـرى عليهم الخراج[5]، وكان هدفه من عمله هذا هو لتشتيتهم وتفريقهم، لكن نتائج هذه الأعمـال كـانت بمثابـة نقطة تحول في تاريخ السلاجقة ومستقبلهم السياسي لأنها فتحت أمامهم أقاليم الدولة العباسـية بعـد أن كانوا محجوزين عنها بنهر جيحون[6] وبعد زوال الدولة السامانيـــــة.

سـنة (389هـ/998م)[1]، تقسـمت ممتلكاتهـا بين الخـانيين والغزنـويين[2]، وعنـدما تنـامت قـوة السلاجقة وازداد خطرهم تنبه السلطان محمود الغزنوي فتوجه على راس جيش قاصـدا السـلاجقة الذين هربوا من أمامـه[3]، وفي الـوقت نفسـه تم عقد معاهده صـلح سـنة (415هـ/1034م) بين قدرخان ملك الخانيين ومحمود الغزنوي[4]، وخلال لقائهما اقترح قدرخان على محمود الغزنـوي أسلوب التقرب إلى السـلاجقة ومن ثم القضـاء عليهم[5] وقد اتبـع محمـود الغزنـوي هذا الأسـلوب فكاتبهم قائلا: ((إنّي لفي عجب من تدبيركم وعقلكم، ولكنكم حتى الآن بحكم الجوار لم تطلبـوا منـا طلبا أو تلتمسوا ملتمسا، واني لشديد الرغبة في مصادقتكم واستمداد المعونة منكم ولست في غنـى على الإطلاق من معاونتكم فـإذا لم يسـتطيع جميـع الإخـوة الحضـور فليختـاروا واحـداً منهم يغـدو إلي... فإذا جاء منكم عقدت معه العقد ووثقت معه المواثيق)) [6].

فلما وصت هذه الرسالة إلى السلاجقة سار زعيمهم إسرائيل بن سلجوق على راس جيش كبير للقاء السلطان محمود الغزنوي، فلما اقترب منه بدأ محمود بتنفيذ خطتـه فأرسـل إليـه قـائلا: ((لسـنا الآن بحاجـة إلى الاسـتمداد بجيشـك ومقصـودنا أنْ ننعم برؤيتـك والاسـتظهار بـك فـاترك الجيش مكانه وتعال أنت وخواصك واعيان رجالك))[7].

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص23.المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1 ق1، ص32.

[2] سيد امير علي، مختصر تاريخ العرب، ترجمة: عفيف البعلبكي، مطابع دار العلم للملايين، (بيروت- 1967)، ط2، ص270. المعاضيدي، خاشع، الحياة السياسية في بلاد الشام، دائرة الحرية للطباعة، (بغداد- 1975)، ص82.

[3] اليزدي: محمد بن محمد، النظام الحسيني، (ت743هـ/ 1342م)، العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتعليق: عبد المنعم محمد حسنين وحسين أمين، مطبعة الجامعة، (بغداد- 1979)، ص22-23، الراوندي، راحة الصدور، ص148.

[4] البنداري : الشيخ الإمام ، الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني (ت القرن السابع الهجري) تاريخ دولة ال سلجوق، وهو مختصر كتاب، نصرة الفترة وعصر الفطرة لعماد الدين الاصفهاني، الكاتب، (ت597هـ/ 1200م)، تحقيق: لجنة إحياء دار التراث العربي، (بيروت-1980)، ص9.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص23.

[6] حسن ، مقاومة الخلافة العباسية , ص32.

[1] الكامل في التاريخ، ج8، ص22. الكرديزي: ابن سعيد عبد الحي (توفي أواسط القرن الخامس الهجري)، زين الأخبار،ج1، تعريب: محمد بن تاويت،(ب ت)، ص66.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص22.الكرديزي، زين الأخبار، ج1، ص71.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص22.الكرديزي، زين الأخبار،ج3، ص93.

[4] الراوندي، راحة الصدور، هامش، ص147. الكرديزي، زين الأخبار، ج2، ص92-93.

[5] الراوندي، راحة الصدور، ص147.

[6] الراوندي، راحة الصدور، ص147-148. اليزدي، العراضة في الحكاية السلجوقية، ص23.

[7] الراوندي، راحة الصدور، ص148.

فامتثل إسرائيل لطلب السلطان وسار إليه مع نخبة من رجاله، فلما وصل إليه غدر به حيث حبسه في قلعة كاليجار، وبقي فيها إلى أن توفي[8]، وبعد هذه الحادثة عبر السلاجقة نهر جيحون واستقروا بنواحي خراسان ويذكر ابن الأثير، أنّ محمود الغزنوي هو الذي قرر أن يستقروا هناك[9]، بينما يذكر المؤرخون أنَّ السلاجقة التمسوا من محمود السماح لهم بالإقامة في خراسان بين نسا، وباردوا[*] فاستجاب لهم[10]، وبعد أنْ استقر السلاجقة في إقليم خراسان، عزموا على القضاء على الغزنويين فاشتبكوا معهم في معارك عدة تبادل الطرفان النصر والهزيمة[1]، وأخيرا تمكنوا من الانتصار على الغزنويين في معركة فاصلة سنه(429هـ/1037م)[2]، سار على أثرها طغرلبك إذْ آلت إليه قيادة السلاجقة إلى نبسابور[*] واعلن قيام دولتهم وخطب له فيها وسمي بالسلطان المعظم[3].

ثم أرسل اخاه داود على راس جيش كبير إلى سرخس[*]، فتمكن داود من السيطرة عليها فأصبحت خراسان بأكملها تحت سيطرة السلاجقة عدا بلخ[*] [4].

المبحث الرابع
قيام دولة السلاجقة

لم يقم السلاجقة بالوقوف بوجه السلطان محمود الغزنوي فضلا عن انه لم يكن هناك خطرٌ على الدولة الغزنوية من السلاجقة في عهد السلطان محمود الغزنوي إلا أنَّه بعد وفاته تولى ابنه السلطان مسعود، وعمل على تحسين علاقته بأرسلان خان وبغراخان، وارسل سفاره اليهما،

---

[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص22. دائرة المعارف الإسلامية، مجلد 12، مادة سلجوق.

[9] الكامل في التاريخ، ج8، ص15.

[*] نسا: مدينة بخراسان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد4، ص766.
اردو: بلدة بخراسان بين سرخس ونسا، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجلد1، ص485.

[10] المستوفي، تاريخ كزيدة، ص435. الراوندي، راحة الصدور، ص153،اليزدي، العراضة، ص31.

[1] البيهيقي: أبو الفضل محمد بن حسين، (ت470هـ/1077م)، تاريخ البيهيقي، ترجمة: يحيى الخشاب، وصادق نشأت، دار الطباعة الحديثة، (مصر- 1956)، ص466-469.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص15-16، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص590 -593، الراوندي، راحة الصدور، ص157-158، البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص8. ابن الأثير، الكامل، ج8، ص15-16.

[*] نيسابور: مدينة غنية ذات فضائل جسيمة ومن مدن الفضلاء ومنبع العلماء في بلاد فارس وقد فتحها المسلمون في عهد الخليفة عثمان بن عفان والبعض الآخر يقول إنها فتحت في أيام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على يد الاحنف بن قيس فانتقضت أيام عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فأرسل إليها عبد الله بن عامر ففتحها ثانيا. ياقوت الحموي معجم البلدان، ج5، ص331- 332.

[3] الحميري: عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص588.

[*] سرخس: إحدى مدن خراسان تقع بين مرو ونيسابور. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد3، ص207.

[*] بلخ: مدينة كبيرة في خراسان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص479.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص17.

لتحسين علاقته بهما من جهة وليوقف اطماع السلاجقة من جهة اخرى ونتج عن هذه السفارة ابرام (معاهدة) يلتزم بها الطرفان باحترام سيادة الآخر[1].

ولكن طغرلبك وجغري بك قاما بالعمل على توسيع رقعة البلاد التي تحت حوزتهم بعد ان تولي السلطة مسعود بن محمود الغزنوي .

وبعد أنْ آلت السيادة إلى الغزنويين بدء السلطان مسعود الغزنوي باختيار الأقاليم الفارسية التي كانت خاضعة للسامبين ، وبعض البلاد التي فتحها الغزنويين في بلاد الهند، فوجه اهتمامه إلى الإحتفاض بسيطرته على تلك البلاد، مما اضعف سلطانه على بلاد خراسان، وسهل للسلاجقة تقدمهم نحوها[2].

انتهز جغري بك وطغرلبك هذه الفرصة لتوحيد صفوف السلاجقة واصطدموا بوالي نيسابور(سوري بن المعتز [3]) الذي وقف أمام السلاجقة سنة 426هـ/1034م ولكنهم انتصروا عليه بالرغم من مساعدات السلطان مسعود الغزنوي، فقد أوقع السلاجقة خسائر فادحة في جيش مسعود واستولوا على ما قيمته عشرة ملايين من النقود ومن الألبسة والأمتعة والدواب[4]، وكانت هذه أوّل هزيمة حقيقية بالغزنويين[5] ومن أسباب تلك الهزيمة، أنَّ جند السلطان مسعود الغزنوي وقتذاك كانوا قد عادوا من غزوهم طبرستان مرهقين[6] إضافة إلى أسلحتهم التي كانت سيئة جدا إذ إنَّ السلطان مسعود الغزنوي رغم الهزيمة التي أحلت بقواته عمد إلى مصالحة السلاجقة بشروط سهلة حتى يستطيع تنفيذ خطط التفرغ لتنفيذ خططه العسكرية في بلاد الهند ، وقد أدت هذه السياسة إلى إفلات الأمور من يد السلطان بعد عودته

من الهند[1]، فوردت عليه كتب من رجاله الذين كانوا يختفون في (نسا) توضح له حال السلاجقة بعد هذا النصر وما هم قادمون عليه، ومما جاء فيها ((ان الكثير من الآلات والنعم والدواب والذهب والفضة والألبسة والسلاح والعدد قد وقع في يد السلاجقة)) حتى انهم تحيروا في أمرهم، وأصابتهم الدهشة مما حدث ولما شعر السلاجقة بالأمن والطمأنينة استقر رأيهم على ايفاد رسول الى السلطان مسعود يحمل رسالة منهم[2]، يلتمسون فيها العفو عنهم ، وعقد الصلح اذ ان ذلك يُقرُّهُم على ما بيدهم من البلاد[3]، فقد كانت هذه الرسالة تنم عن سياسة حكيمة وبعد نظر من السلاجقة رغم انتصارهم ، لكي يركنوا الى الاستقرار والراحة وليكسبوا شيئاً من البلاد فيه اعتراف السلطان بحقهم .

وبعد محادثات ومفاوضات بين رسل السلاجقة والسلطان ومستشاريه تم الاتفاق على شروط الصلح [4]، وقد نصت هذه الشروط في الاتفاقية فكتبت دهستان باسم داود. ونسا باسم طغرل، وفراوه باسم بيغو ، ثم وقعها السلطان ووجهت إليهم رسائل منه، فخوطبوا بلقب الدهقان، وأُعِدَّتْ لهم ثلاث خلع كما هو الرسم في خلع الولاة[5].

لقد كان لهذا الصلح أثرٌ كبيرٌ في بعث القوة والاستقرار للسلاجقة، واصبح يعلو امرهم في نطاق الولاة والدهاقين بمرور الأيّام، واخذوا في توسيع رقعة أراضيهم التي ضاقت بهم، وعاد مسعود الغزنوي من بلاد الهند الى غزنه سنة 429هـ/ 1037م وعلم بارتفاع شأن السلاجقة وقوة شوكتهم، وطلب من أمير خراسان بوجوب محاربة السلاجقة وإبعادهم عن

خراسان[1]، لكن أمير خراسان أجابه برسالة قال فيها: ((إنّ أمر السلاجقة قد علا بحيث لا أستطيع أنا ولا غيري أنْ نقاومهم))[2]، ولكن السلطان مسعود الح على أمير خراسان بضرورة الحرب والقيام لها فانصاع هذا الأمير إلى أمر السلطان واستعد للحرب وما إنْ اصطدم بالسلاجقة كان الفشل لأمير خراسان[3]، الذي انهزم من ميدان المعركة[4]، وحقق السلاجقة النصر في معركة سرخس سنه 429هـ/ 1037م[5]، التي كانت ايذانا باعلان قيام دولتهم، فاندفعوا تحت

---

[1] إدريس، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي، ص73.نقلا عن
Barthold: Four studies on the history of control Asia, Vol 1,P, 99.

[2] الراوندي، راحة الصدور، ص154.

[3] الراوندي، راحة الصدور، ص154، امين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص49.

قيادة طغرلبك نحـو مدينـة نيسـابور ودخلوها سلما وجلس طغرلبـك على عـرش مسـعود في ذي القعدة من سنة429هـ/ 1037م[6] ولقب السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو طـالب[7]، وأمـر أنْ يخطب لـه على المنـابر باسـم السـلطان الأعظم، وان تضـرب النقـود باسـمه، وباشـر مهامـه كسلطان فعلي منذ سنه 429هـ/ 1037م، ولم يبـق لـه سوى الحصـول على اعتراف الخليفـة العباسي ليكسب حكمه صفة شرعية امام المسلمين[8].

كـان دخـول طغرلبـك مدينـة نيسـابور، واعتلاءه العـرش كـأول سـلطان للسـلاجقة سـنة 429هـ/1037م هو بدء السلاجقة كدولة تمتلـك جميـع المقومـات، فقد أصـبح لهم كيـان سياسـي ورقعـة كبـيرة من الأرض وحـاكم لـه الزعامـة الـتي منحهـا ايـاه رعايـاه، فضـلا عن أنَّ وجـود السلاجقة كقوة كبيرة متمركـزة في إقليم خراسـان، بمثابـة خطـراً كبـيراً على الدولـة الغزنويـة[9]، الـتي اخـذ الضـعف يَـدبُّ في جسـمها، وأصـبح جيشـها حليفـا للهـزائم والنكسـات، ولكن مسـعود الغزنوي كان ردُّهُ عنيفاً ضد السلاجقة لأنه كان مذعورا عند سـماعه نبـأ قيـام الدولـة السـلجوقية، واعتلاء طغرلبك عرشه في نيسابور، فاندفع بقواته نحو خراسان لخوض معركـة انتحاريـة ضـد السلاجقة[10].

دارت الحرب بين الطرفين في موضع يعرف باسـم (دانـدانقان) [*]في إقليم خراسـان في اليـوم الثـاني من شـهر رمضـان سـنه 431هـ/ 1039م وانتهى الامـر بهزيمـة السـلطان مسـعود هزيمــة نكــراء، واسـتولى السـلاجقة على الأمـوال المتنوعـة، من الـذهب والفضـة والملابس والدواب[1].

لقد ثبت السلاجقة نفوذهم في خراسان بعد أنْ حققوا النصر في المعركـتين وهمـا معركـة سرخس عام 429هـ/ 1037م، ومعركة داندانقان سنة 431هـ/ 1039م، اللتـان أنهتـا الصـراع بين الطرفين لصالح السـلاجقة ويسـرت امتـدادهم في بقيـة بلاد فـارس[2]، فقد واصـل السـلاجقة انتصاراتهم بعد معركة داندانقان عام 431هـ/ 1039م، واتفقوا على ان يكونوا جبهة واحدة وإلاّ يدعوا للتنازع والفرقة سبيلاً إلى قلوبهم وأكـدوا اتفـاقهم المسبق على تعـيين طغرلبـك قائـداً أعلى للجيوش وسلطاناً على دولتهم وان يدينوا له بـالولاء، نظـرا لمـا يتمتـع بـه من شخصـية وشـجاعة وذكاء حاد ، وشجاعته النادرة وتمسكه بالدين الإسـلامي الحـنيف، وكـان هـذا أهم أسـباب التفـاف الجند والقبائل حوله وانقيادهم إليه، فصمم على تحقيق أهداف السلاجقة، في بناء دولة قوية واسعة الأرجاء، فاستعان في تحقيق هذه الأهداف بأفراد أسرتـه وعمـد إلى تعـيين كـل واحـد منهم حاكمـا على إحـدى الولايـات وسـمح لـه بالتوسـع على حسـاب القـوى المجـاورة لحـدود ولايتـه[3] واتخـذ طغرلبك مدينه الري عاصمة للدولة السلجوقية[4].

المبحث الخامس

اتصال السلاجقة بالخلافة العباسية

بعـد أنْ وطَّد السـلاجقة نفـوذهم واطمـأنوا إلى قـوة مركـزهم ارادوا أنْ يصـبغوا الصـفة الرسمية على دولتهم الفتية وإكساب حكمهم الصفة الشـرعية، فشـرعوا في سـنه 432هـ/1040م بـالاتصال بـالخليفة العباسي القائم بامر الله للحصول على اعترافه بشرعية حكمهم للبلاد الـتي تقـع

تحت سيطرتهم والتي يسيطرون عليها مستقبلا، فاختار السلاجقة أبا اسحاق القفاعي رسولا إلى بغداد يحمل رسالة تتضمن التأكيد على ولائهم للخليفة العباسي ورغبتهم في الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته[1]، وقد تضمنت الرسالة طاعة السلاجقة للخليفة وولاءهم له. كما تضمنت الالتماس من الخليفة للاعتراف بهذه الدولة[2]، فقد ورد فيها: ((إنّنا معشر آل سلجوق قوم أطعنا دائما الحضرة النبوية المقدسة وأحببناها في صميم قلوبنا، ولقد اجتهدنا دائما في غزو الكفار وإعلان كلمة الجهاد، وقمنا على زيارة الكعبة المقدسة، وكان لناعمٌّ مقدَّم علينا ومحترمٌ بيننا اسمه إسرائيل بن سلجوق، فقبض عليه يمين الدولة محمود سبكتكين بغير جرم أو جناية وأرسله إلى قلعة كاليجار ببلاد الهند، فبقي في أسره سبع سنوات حتى مات، واحتجز كذلك في القلاع الأخرى كثيراً من أهلنا وأقاربنا، فلما مات محمود وجلس في مكانه ابنه مسعود لم يقم على مصالح الرعية والتهى بالهول والطرب فلا جرم إذا طلب منا أعيان خراسان ومشاهيرها أنْ نقوم على حمايتهم، ولكن مسعود وجه إلينا جيشه فوقعت بيننا معارك تناوبنا فيها بين كر وفر وهزيمة وظفر حتى تبسمٍ لنا الحظ فانحاز إلينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عزّ وجلّ بفضل إقبالنا على الحضرة النبوية المقدسة وانكر مسعود واصبح ذليلاً، وانكفأ علمه وولى الأدبار تاركاً الدولة والإقبال وشكراً لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر فنشرنا عدلنا وإنصافنا على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد ونحن نرجوا أن نكون في هذا قد نهجنا وفقا لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين)) [3].

وقد مارس السلاجقة هذا النشاط السياسي بجانب النشاط العسكري من اجل التوسع ومد النفوذ قبل دخولهم بغداد في عدة سنوات وتمثل النشاط السياسي بتبادل الرسائل بينهم وبين الخلافة العباسية اضافة الى تبادل الهدايا والوفود وكان هذا بعد أنْ اطمأنوا إلى قوة مركزهم وتوطيد نفوذهم ووجدوا أنفسهم على رأس دولة أصبحت سيدة الموقف شرق الدولة العباسية[1]، وكان لدى السلاجقة الكثير من الإمكانات والقوة، فتحركت أطماعهم السياسية لتحقيق المزيد من التوسع، غربا، لكن قيادتهم كانت تدرك تماما أنَّ تحقيق هذا الطموح يحتاج الى عنصر مهم جداً، وهو الحصول أولاً على الاعتراف والقبول من قبل الخلافة العباسية بقيام كيانهم السياسي، وذلك لاكتساب الصفة الشرعية لدولتهم بحكم نظر ذلك العصر وتقاليده[2]- وقد بدأ السلاجقة الاتصال بالخليفة العباسي القائم بأمر الله منذ عام 432هـ/ 1045م للحصول على اعترافه بشريعة حكمهم على البلاد التي أصبحت بحوزتهم وعلى ما يتوسعون عليه مستقبلا[3].

وقد وجدت رسالة السلاجقة التي حملها أبو اسحاق القفاعي الاستحسان لدى الخليفة العباسي لأنَّ الأمور في ذلك الوقت كانت مضطربة في بغداد، فكثرت حركات الجند والأتراك من جهة وزادت هجمات البدو والشطار والعياريين[*]، على الأسواق والمدن من جهة أخرى، ولم يكن للخليفة القائم بأمر الله ولا الملك البويهي جلال الدولة[*]، أي سلطان، فوجد الخليفة في السلاجقة قوة جديدة يمكن أن يكون أثرها الخطير في مجريات الأمور في حاضرة الخلافة العباسية لو اصطنعها واستجاب لطلبهم، فاظهر رغبته بالتقرب إليهم وبادر، بإيفاد قاضي القضاة أبي الحسن بن علي بن محمود الماوردي، وهبة الله بن محمد المأمون إلى السلطان طغرلبك في سنة 435هـ/1043م فتوجها الى الري بصحبة أبي إسحاق القفاعي مبعوث السلاجقة إلى دار الخلافة[6].

فقد أمر الخليفة رسوله بالتقرب من طغرلبك وإقناعه بالحضور إلى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره، وان ينقل إليه رغبة الخليفة بعقد الصلح بين الزعيم السلجوقي والأمير البويهي الملك الرحيم أبي كاليجار [1]، وتضمنت الرسالة استياء الخليفة وعدم قبوله لما اقترفه أصحاب طغرلبك فساد وأمره بالإحسان إلى الرعية وحمل الماوردي الخلع السلطانية الني منحها الخليفة العباسي لطغرلبك مع كتاب التفويض بحكم البلاد[2].

وكان السلطان مقيماً آنذاك بجرجان وما أنْ علم بوصول رسول الخليفة حتى خرج لاستقباله، فلقيه على بعد أربعة فراسخ إجلالا لرسالة الخليفة[3]، فقد ابتهج السلاجقة كثيرا، فخلعوا على الرسول ثلاث عشرة ضلعة واستبشروا برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة ورفعة[4]،

ثم رحب السلطان بدعوة الخليفة له بزيارة بغداد، ووعد بتلبيتها في اقرب فرصة حيث كان السلطان طغرلبك مشغولا بفتح الأقاليم الغربية والجنوبية في بلاد فارس وأقام رسول الخليفة في ضيافة السلطان إلى أنْ عاد بعدها إلى بغداد[5]، ومعه عشرون ألف دينار هدية من السلطان إلى الخليفة وعشرة آلاف دينار أخرى للحاشية[6].

وفي رمضان سنه 443هـ/ 1051م، وفد إلى بغداد رسل السلطان طغرلبك يحملون رد الرسالة الى الخليفة القائم بامر الله، وفيه يعرب عن شكره لانعام الخليفة عليه بالخلع والألقاب، وحملوا إلى دار الخلافة عشرة آلاف عينا وأعلافا نفيسة من الجواهر والثياب والطيب وغير ذلك هدية من السلطان إلى الخليفة القائم بأمر الله بالإضافة إلى أنهم قدموا خمسة آلاف دينار للحاشية وألفي دينار لرئيس الرؤساء واستقبل رسل السلطان في بغداد استقبالا حافلا إذ أمر الخليفة بإكرامهم وإنزالهم بباب المراتب[7]، وما أنْ اطمأنَّ السلطان طغرلبك على سلامة الموقف في اقليم فارس ونواحي اذربيجان أحكم سيطرته عليه من قبل أعوانه السلاجقة حتى توجه إلى بلاد ارمينه في سنه 446هـ/1054م فاجتاح الأقاليم الواقعة بين بحيرة وان وارزن الروم[*]. ثم قصد ملاذ كرد فحاصرها، وضيق على أهلها، وهنالك أمده نصر الدولة بن مروان صاحب دار بكر بالعساكر والأمتعة، ولكن تعذر على طغرلبك الاستيلاء على هذه ألمدينه نظرا لما كانت تتمتع به من حصانة، فانسحب إلى أذربيجان ومنها إلى الري فأقام بها حتى سنه 447هـ/ 1055م[1] فاعدل رأيه من جديد على إعداد عدته لدخول بغداد بعد ان تم له الاستيلاء على معظم أجزاء بلاد فارس وبعض البلاد المجاورة لها، ورأى أنَّ الوقت قد حان لغرض سيطرته على العراق ووضع حد للنفوذ البويهي في حاضرة الخلافة العباسية[2].

الفصل الثاني
الخلافة العباسية في ظل النفوذ السلجوقي

- **المبحث الأول:** الجانب السياسي
- **المبحث الثاني:** الجانب الإداري
  1. ظاهرة الفساد وبذخ الحكام
  2. تعسف السلاطين السلاجقة
- **المبحث الثالث:** الجانب الاقتصادي
  1. الآثار السلبية لنظام الإقطاع السلجوقي
  2. الغلاء والمجاعات والكوارث الطبيعية
- **المبحث الرابع:** الجانب الاجتماعي

المبحث الأول

الجانب السياسي

كانت الخلافة العباسية في بغداد مضطربة مزعزعة، تتلاعب بها أهواء البويهين وقواد الجند دون أن تكون للخليفة قوة الصمود أمام التيارات ألمناوئه، فضلا عن ذلك فان زمام الأمور كلها كانت بيد قائد جند الأتراك (البساسيري) الذي سيطر على بغداد وما جاورها سيطرة تامة آنذاك[1]، فقد كان الملك الرحيم البويهي يميل إلى الفاطميين في مصر ويتصل بهم بالخفاء ويحاول أن يبسط نفوذه على بغداد في أي فرصة مناسبة[2]، وكان الملك الرحيم البويهي (أبو نصر البويهي) ضعيفا أمام البساسيري على الرغم من ذكره في المحافل الدينية إذ انه لم يكن على وفاق مع البساسيري مما فقد التعاون بينهم، وكذلك الحال بين الخليفة العباسي القائم بأمر الله والبساسيري[3].

ولم يحدث أي تغير جوهري لأوضاع العراق والخلافة في ظل النفوذ السلجوقي عما كان عليه الوضع في السابق، لان السلطنة السلجوقية لم تكن تختلف كثيرا في حقيقة أمرها عن السلطة البويهية إلا في الجوانب الشكلية والمظهرية، الدعائية الإعلامية لاسيما أول أمرها– الذي أعلنت فيه عن احترامها وولائها للخلافة أمام الأمة، لكنها في الواقع كانت كأي سلطة أجنبية طامعة تنطلق من وحي مصالحها السياسية وأطماعها، وارجح أن الخلافة أخطأت حساباتها مرة أخرى، كما حصل ذلك مع البويهيين من قبل، ظانة أنَّ الاعتماد على قوة أجنبية هو الذي يحل مشاكلها وينقذها من مآزقها حيث ان الخلافة العباسية لم يكن لديها أي خيار ومغلوبة على امرها والبساسيري ضاغط على الخليفة ويريد ان يدعو للفاطميين في مصر وتراسلت مع السلاجقة مضطرة للخلاص من مخرج البساسيري[4]، وتباعا على ذلك سار طغرلبك إلى بغداد لبسط نفوذه عليها في محرم عام 447هـ/1045م، وصرح انه يريد الحج، وإصلاح طريق مكة المكرمة، والمسير إلى الشام ومصر لإزالة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، فأمر عماله في المناطق المجاورة للعراق بجمع الجند، ودخل بهم العراق، من جانبه أسرع الملك الرحيم البويهيي إلى بغداد واستقر رأيه مع الخليفة العباسي القائم بأمر الله على التعاون مع طغرلبك[5]، فأمر الخليفة القائم بأمر الله بأنْ يذكر اسم السلطان طغرلبك في الخطبة، وأنْ يكون لقبه السلطان ركن الدولة أبو

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص66.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص66. للتفاصيل ينظر، حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص38، ودولة السلاجقة، ص36

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص66.

[4] ابن الجوزي: "المنتظم في تاريخ الملوك والامم" ج8، ص164– 165.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص67.

طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين، على أنْ يذكر بعد اسمه الملك الرحيم أبو نصــر بن ابي كاليجار سـلطان الدولة البويهي واعترف الخليفة به سـلطانا على جميع المناطق التي تحت يده بعد أنْ دخل طغرلبك بغداد دخول الظافرين، فاسـتقبل أروع اسـتقبال[1] وقد تحقق هدف مهم من أهداف السـلاجقة بدخولهم بغداد، ولم يهدأ بال لطغرلبك إلاّ بعد أن باشــر بتنفيذ الأهداف الأخرى التي جاء من اجلها إلى بغداد، لأنَّ وصوله إلى مركز الشرعية وإعلان الخطبة له في الجوامع كان فرصـة مناسبة دفعته للانفراد بالسلطة بدون شريك أو منافس، وذلك بإزاحة الوجود السياسي للبويهيين كليا[2]، وهذا ما نجده عندما صمم طغرلبك على التخلص من الملك الرحيم، واستغل طغرلبك الحركة التي اندلعت في أعقاب دخول جيش السلاجقة بغداد بين الشعب وجنود الاحتلال، بسـبب ما رافق ذلك من إسـراف في ارتكاب الجرائم والسـلب والنهب لانفلات رجال القبائل السلجوقية وقد أشار إلى ذلك ابن الجوزي بقوله: ((وثارت بين العوام والأتراك فتنه، أدت إلى قتل واســر، فنهب الجانب الشــرقي بأســره وذهبت أموال الناس))[3]، وقد أثارت هذه الأعمال الهمجية ردود فعل وموجة من الغضــب بين أوســاط الشــعب [4]، وهاجموا عســكر السلاجقة[5]، لذلك أصر طغرلبك على حضور الملك الرحيم، فقبض عليه- بالرغم من خروجه بامان الخليفة – وسجنه حتى مات، وهكذا زالت الدولة البويهية[6]، وحقق السلاجقة هدفا سياسيا مهما، وانفردوا بتدبير شؤون الدولة العباسية ويبدو ان هذا التصرف آثار غضب الخليفة فكتب إلى السلطان، يستنكر ما حدث فقد كان يتوقع عكس ما حصل، احتراما لامان الخليفة[7]، إلاّ أنَّ الخليفة لم يأخذ بالحسبان كون السلاجقة حكاماً أجانب لا تهمهم إلاّ مصالحهم، وأنهم سرعان ما يتراجعون عن عهودهم والتزاماتهم إذا ما رأوا إنها تشكل خطرا على مستقبلهم السياسي وتتعارض مع أهدافهم العليا، ويمكن أن تعد هذه الأحداث بداية لظهور تباين أســلوبين وعقليتين، يعتمد الأول مبادىء الشرف واحترام العهود والمواثيق، يقابله مبدأٌ ثان قائمٌ على أنَّ الغاية تبرر الوسيلة

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص67. ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص164. الراوندي، راحة الصدور، ص106.

(2) حسن، مقاومة الخلافة العباسية ، ص47.

(3) ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية في التاريخ، ج12،ط2، مطبعة السعادة (مصر، ب ت)، (بيروت،1977)، ص66. ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص168.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص166.

Saunders JJ: A History of medival Islam , P146,

(5) ابن الوردي، تتمه المختصر، ج1، ص494.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8 ، ص71-72. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص166.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص67.

كما أتضح ذلك في تصرف طغرلبك[1]، وأخذت تكتشف حقيقة موقف السلاجقة في الحصول على المزيد من الأموال عندما أرسل طغرلبك وزيره عميد الملك وهو يحمل رسالة يطلب فيها توفير مبلغ كبير من المال في أثناء جلوس الخلافة للعزاء لوفاة ولد الخليفة القائم ذخيرة الدين أبي العباس محمد بن القائم[2]، مما أثار تذمر الخليفة واستياءه وخاصة حينما أشار إليه بعضهم بإطلاق يده في الحريم فأجاب ((مازال هذا الحريم مصانا وقد جرى فيه ما رأينا مكافأته في ولدنا فما نشك ان دعوة فسمعت والرعية سألت فأجيبت فعاودوه في ذلك إلى أنْ تقدم بالرفق فيما يفعل))[3] وبدأ السلاجقة تدخلهم في شؤون البلاد والتصرف بأمورها ومواردها المالية في وقت مبكر في نهبهم للأموال دون مراعاة لمصالح الشعب وحرمة الخلافة فسيطروا عام 448هـ/1056م على عائدات البصرة والأحواز وما يتبعها[4]، كما قام السلطان طغرلبك بصرف أموال كبيرة على بناء دار ضخمة له [5]، وهذا يبين لنا أنَّ هذا التصرف كان يعكس سياسة الغزاة المحتلين الذين لا يشعرون بصله الارتباط المصيري بالشعب ومصالحه، فكان هدف أغلبهم جمع اكبر قدر ممكن من المال بأي وسيلة كانت (وقد وصف الوزير نظام الملك الامراء السلاجقة بانهم لا يتورعون عن ارتكاب عشر جرائم من اجل الحصول على دينار واحد)[6]، وهذا هو هدف كل غازٍ ومحتل. وقد استمر عبث الجيش الغازي المحتل وفساده في استباحة حرمات الناس والنزول في دورهم والاعتداء على كرامتهم مما زاد من استياء الخليفة وضاعف من غضبه، فأرسل وزيره إلى السلاجقة مستنكراً ومهدداً طغرلبك، فاضطر الأخير إلى التدخل وأمر جنده بإيقاف الفساد والخروج من دور الناس[7].

إلاّ أن نهج السلاجقة استمر في الاستبداد بحرمة الخلافة ولا سيما عند تعارضها مع مصالحهم، فحينما رفض السلاجقة الاعتراف بإجارة الخليفة وشفاعته لأحد الخارجين على طغرلبك [8].

ويعزز ابن الأثير ذلك الموقف بقوله: ((لقد كانت دار الخلافة أيام البويهين ملجأ لكل

---

(1) حسن، مقاومة الخلافة العباسية، ص48.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص72.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص165.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص169.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص169.

(6) مجموعة مؤلفين، العراق في التاريخ، ص445.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص169.

(8) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص72 .

خائف منهم من العميد والوزير وغير ذلك... أمّا في أيام السلاجقة فكان غير ذلك))[1].

وهكذا أصبح وضع العراق والخلافة العباسية في ظل النفوذ السلجوقي واستحوذ السلاجقة على مقدرات البلاد السياسية والاقتصادية بل إنّها قيدت يد الخلافة في أنْ يكون لها قرار حاسم في الجوانب الأساسية لسياسة الدولة وإدارتها وأمنها واقتصادها وحصرت وظيفة الخلافة في الجوانب الدينية، لتكون غطاء يضفي صفة الشرعية على حكم السلاجقة من خلال منح الخلع والألقاب وإصدار مراسيم التقليد، واستمرت التجاوزات على حرمة الخلافة والشعب وطغت واتسعت أعمال التعسف والظلم والمصادرات والفوضى والاضطرابات وفساد الجهاز الإداري واختلال الأمن وتردي الأوضاع العامة لأبناء البلد[2]، إنَّ توجه السلاجقة نحو العراق لم يكن موضوع ارتياح وقبول الخلافة والشعب، ويلاحظ ان هذا الشعور لم يكن خافياً على طغرلبك لذلك حاول التخفيف من وطأة هذا الأمر بالحيلة والدهاء معلنا بأنه يقصد الحج وقتال اعداء الخليفة في الشام ومصر من الفاطميين وغيرهم، ولكن الذي حصل ان حجه كان في بغداد، وتفرق عسكره في دور الناس مع انتشار أعمال النهب والقتل في بغداد[3]، وبسبب تصاعد تجاوزات جند السلاجقة على حرمات الشعب وامواله وثارت العامة على الغزاة مما اجبرهم على الخروج من بغداد فقد اندفع الناس لمطاردة السلاجقة ومقاتلتهم خارج بغداد مما أدى إلى سقوط أعداد كبيرة من القتلى، وتعرضت أموال الناس والخلافة إلى النهب والسلب[4].

كانت الانتهاكات المتواصلة بحق الخلافة والشعب تؤدي في بعض الأحيان إلى حدوث الانتفاضات ووقوع مصادمات مع السلاجقة[5]، وإنَّ أصعب ما تعرض له العراق في هذا العهد من أذىً ومآسي ودمار من جراء المعارك والحروب فيما بين السلاطين والملوك والأمراء السلاجقة وأعوانهم طمعا في السلطة والمال[6].

وعلى الرغم من تكبيل السلاجقة لإرادة الخلافة، فقد قامت الخلافة بالتعاون مع الشعب لمعالجة الموقف المتأزم واحتجت على السلاجقة وأنذرتهم وحذرتهم لكنها لم تلق أُذناً صاغية واعية فذهبت إلى أسلوب المواجهة فقادت حركة المقاومة وخرج الخليفة المسترشد بالله (512-529هـ/1118-1134م)، فحقق العديد من الانتصارات المتلاحقة حتى وقع في اسر السلطان

---

(1) الكامل في التاريخ، ج8، ص72.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص164. للتفاصيل ينظر ،حسن، الفتوة في عهد الخليفة الناصر لدين الله، 575- 622هـ/ 1179- 1225م اطروحة دكتوراه، (الموصل-2000)، ص89.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص164-165.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص146.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص146- 147.للتفاصيل ينظر، حسن، الفتوة في عهد الخليفة الناصر لدين الله، ص91.

(6) ابن الجوزي المنتظم، ج9، ص111.

مسعود بسبب تخاذل الأمراء الأتراك وخيانتهم حيث تآمروا على قتله مع الباطنية[1]، لان بقاءه أصبح يشكل خطرا على مصالحهم ويهدد نفوذهم[2]، ولكن روح المقاومة التي قادها الخليفة الشهيد لم تمت بل استمرت إذ واصل الخليفة الراشد بالله (529–532هـ/1134–1117م) قتال السلاجقة والتصدي لهم وهو يتحرك من بلد لآخر إلى أن تمكن الأعداء منه فاردوه شهيدا، مما حفز روح المقاومة الباسلة للتحدي ضد السلطة الأجنبية وأعوانها وحظيت بمساندة أبناء الشعب في العراق وتعاطفهم مع الخلافة مما افقد حكام السلاجقة صوابهم فقاموا باتخاذ إجراءات مشددة وأعمال تعسفية متعددة آملين في تطويق نهضة الخلافة وخمود ذلك التفاعل مع الشعب[2]، فقد شدد السلطان مسعود في تحوطات اختيار الخليفة الجديد ليكون مطيعاً للسلاجقة ومقيد بشروط قاسية تجرده من كل احتمالات امتلاك القوة والمال والحركة في المستقبل حتى لا يتكرر ما حصل قبله فوقع الاختيار على المقتفي لأمر الله (530–555هـ/ 1135–1160م)[3]، فقد صادر السلطان مسعود كل ما في دار الخلافة من أموال وأثاث حتى حلي النساء، ومن اجل ضمان حرمان الخليفة من المال كي لا يفكر في الإنفاق على بناء الجيوش وحشدها، واستمروا في مضايقته ماليا بالإكثار من المصادرات ومطالبته بالمزيد من الأموال[4].

ولم تقتصر إجراءات السلطان مسعود الجائرة على الخلافة فقط بل انه استمر بها إلى إفقار الشعب السند القوي والحقيقي للخلافة، فقام بجباية العقار فلقي الناس من ذلك شده[5].

على الرغم من كل هذه الأساليب الإجرامية والتعسفية والظلم الذي قام به السلاجقة ضد الخلافة والشعب فإنهم لم يستطيعوا قهر أرادتها، إذ سرعان ما عادوا في النهوض والاستعداد لمقاومة السلطة الأجنبية ولا سيما بعد وفاة السلطان مسعود عام(547/1152م)[6]. فقد قاد الخليفة المقتفي لأمر الله التصدي للسلاجقة واشتبك معهم ومع أعوانهم في مواقع عدة حقق فيها انتصارات متلاحقة، مما زاد من قلقهم وخشيتهم ودفعهم إلى الانتقام من الخليفة والشعب بمهاجمة بغداد ومحاصرتها عام (551هـ/1156م) حصاراً شديداً، وكانت النتيجة فشل الحصار بعد إلحاق

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص44–49. للتفاصيل ينظر، حسن، الفتوة ، ص91، مقاومة الخلافة العباسية للنفوذ السلجوقي في العراق، ص116–117.

[2] حسن، الفتوة ، ص92.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص59–60.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص389، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص66.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص66.

[6] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص151. للتفاصيل ينظر، حسن، الفتوة ، ص93.

الهزائم المتتالية بجيوش السلطان محمد، بفضل المقاومة الباسلة للجيش والشعب، الذي أصبح يداً واحدة بقيادة المقتفي لأمر الله ووزيره ابن هبيرة[1].

ومن أهم النتائج التي ترتبت على هذا الانتصار، ارتفاع هيبة الخلافة بالإضافة إلى إنها كانت ضربة كبيرة للنفوذ السلجوقي في العراق فلم يعد لهم بعدها تصرف وسطوه[2]، كما أظهرت هذه المواجهة مدى تلاحم الشعب مع الخلافة ودوره الفاعل في مساندتها والدفاع عن وطنهم ومقدساتهم، لكونهم يدافعون عن هدف واحد ومصير واحد هو التخلص من الاحتلال. وتحرير الخلافة وطرد السلاجقة من العراق.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص 440. ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص61.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص 440 .

المبحث الثاني
الجانب الإداري

1. ظاهرة الفساد وبذخ الحكام

كان الناس يعيشون حياة صعبة مريرة تحت وطأة الحكام السلاجقة، فمن شظف العيش والفاقه إلى الموت جوعاً وظلماً تماماً عكس حياة اللهو والترف والمرح التي كان يعيشها السلاجقة وحكامهم والملتفون حولهم الذين يستنزفون الأموال الكثيرة في قصور مملوءة بالخدم والجواري وآلات الطرب ودنان الخمر تعبر عن فساد أولئك الحكام واستهانتهم بالعامة فضلا عن ذلك فهم الذين عملوا على إشاعة الفساد الاجتماعي بين أوساط الناس وذلك بالإكثار من دور تعاطي الخمور وغيرها[1].

لقد تصرف السلاجقة وجندهم تجاه الشعب العربي بما ينسجم تماماً مع سلوك وأخلاق أي محتل أجنبي، إذ ارتكبوا أسوأ الأفعال وأشنع الجرائم وتعاملوا بهمجية وبدائية مع المدن العربية الزاخرة بالحضارة[2]، وحالما تم احتلال السلاجقة لبغداد عام 447هـ/1055م حتى استباحوا الأموال والمساكن والأعراض ونهبوا كل ما يقع في متناول أيديهم[3]، وعد السلاجقة المناطق التي احتلوها غنائم حرب يتصرفون بها كيف يشاءون، وملكاً خاصاً يتقاسمونه ويتوارثه أبناؤهم وهذا ما لا تقره مبادئ الإسلام الحنيف حتى مع غير المسلمين[4] فذكر ابن كثير ((إنَّ طغرلبك لم يصادر احد من رعيته إلاّ رجلٌ واحد ولم تفته صلاة مع كثرة مباشرته للّذاّت، وكان له ثلاثمائة وستون حظيه، يبيت عند كل واحده ليلة في السنة، وخلّف أولاداً كثيرين، ولم يزل على ذلك إلى أنْ توفي في التاسع والعشرين من شوال سنة 453هـ/ 1061م))[5]، وعندما أراد طغرلبك أنْ يبني له دار في بغداد سنه 448هـ/1056م أمر بهدم الدور والدروب والمحال والأسواق القريبة من موقع داره[6]، كما أنَّ جنده قد زادوا في إيذاء الناس والنزول في مساكنهم[7]، ومن أهم ظواهر الفساد هي ما حدث سنه 512هـ/1118م هاجم احد الجند السلاجقة رجلا يوم

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص218.

(2) كريمة، المقاومة العربية، ص37.

(3) ابن العديم: عمر بن احمد، بغية الطلب في تاريخ حلب، نشره علي سويم (انقرة– 1976)، ص2، الذهبي: العبر في خبر من غير، ج3، ص212 .

(4) الماوردي: علي بن محمد بن حبيب(ت450هـ/1058م)،الاحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة المكتبة التوفيقية– (مصر، ب ت)، ص161.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص87.

(6) ابن الجوزي، المنتظم ج8، ص169.

(7) سبط ابن الجوزي: يوسف بن قزاوغلي، مرأة الزمان في تاريخ الاعيان، الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة، تحقيق: علي سويم، (انقره– 1968)، ص6.

زواجهِ واعتدى على زوجته[1] مرتكباً أبشع مخالفة لتعاليم السماء، فسببت تلك الجريمة تذمراً كبيراً فكثر الدعاء ليلاً ونهاراً واستعان الناس لهذه الحال وأغلقوا الأسواق[2] لإرغام المسؤولين على معاقبة المخالف، وعوقب المعتدي باعتقاله لايام معدودة لكن عقوبته هذه لم تكن بمستوى الحدث[3]، وفي سنة 455هـ/ 1063م حينما قدم طغرلبك إلى بغداد لإتمام زواجه من ابنة الخليفة القائم بأمر الله[4]، يكف جنده بالنزول في دور الناس، بل أوقدوا أبواب هذه الدور وسقوفها لكي يتدفأوا بها، بالإضافة إلى أنهم كانوا يتعرضون لحرم الناس حتى أنَّ قوما من الأتراك صعدوا إلى شبابيك صغيرة في أعلى حمام عام للنساء ففتحوها وطالعوا النساء ثم نزلوا فهجموا عليهن فاخذوا من أرادوا منهن وخرجن الباقيات عاريات إلى الطريق. وهذا هو شان كل اجنبي محتل يستبيح البلد[5].

هكذا كان حال بغداد حاضرة الإسلام ومركز خلافته، ولم يكن حال قرى العراق أهون من ذلك، فشمل فساد السلاجقة وظلمهم وتخريبهم كل منطقة وطأتها أقدامهم الهمجية مثل، واسط وتكريت والموصل[6]، ومن مظاهر الترف والإسراف ما قام به السلطان محمود عام 515هـ/1121م إذ عمل وليمة كلفت خمسين ألف دينار، وقد امتزجت هذه الوليمة بالأغاني واللهو[7]، بمناسبة شفاء ابنه من المرض، وكان الشحنة السميرمي وأهل بيته على حالة كبيرة من البذخ والإسراف[8]، وعندما احترقت دار السلطان عام 515هـ/1121م قدرت الخسائر بما يزيد على ألف دينار من الأواني والجواهر، فأمر ببناء دار جديدة[9]. وحين ألقي القبض على أعوان السلطان عام 530هـ/1135 ظهر أنَّهُ غني جدا وله من الأموال والأثاث وأواني الفضة والذهب كميات كبيرة وأوزان عالية، وصل إلى الخليفة من

(1) النويري: احمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب،ج27: تحقيق محمد فوزي، ومحمد طه، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر– 1985م)، ص13.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص284.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص284.

(4) ابن الجوزي، المنتظم،ج8، ص226.

(5) ابن الجوزي، المنتظم،ج8، ص228–229.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص77–78، ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص173و ج9، ص111، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص14–19.

(7) ابن الجوزي، المنتظم،ج9، ص224.

(8) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص602.

(9) ابن الجوزي، المنتظم،ج9، ص224.

ماله مائتا ألف دينار وله ودائع عند القضاة والتجار[1].

وفي عام 532هـ/1137م أمر الشحنة أعوانه في مدينة بغداد أن يشعلوا الشموع والقناديل والسرج في جميع المحال ليلاً ونهاراً ثلاثة أيّام، وظهرت الفتيات والمعازف والفساد، عليهن الثياب الملونة الزاهية بمناسبة سلامته من الموت، وعندما تزوج السلطان مسعود عام 532هـ/1137م أمر بان تنور بغداد ليلا سبعة أيام وجعلها ساحة طرب ولهو ومجون[2].

2. تعسف السلاطين السلاجقة

كانت علاقة السلاطين ونوابهم بأفراد الشعب العراقي غير وثيقة وكان اهتمام السلاجقة الأول هو الحصول على اكبر قدر ممكن من الأموال ولذلك اتسمت سياستهم الاقتصادية بالتعسف والظلم، يفرضون ما شاءوا من الضرائب دون النظر إلى أحوال الناس وقدراتها على الدفع أو ما يترتب بعد ذلك من آثار قاسية عليها[3]، حيث لجأ نواب السلاطين السلاجقة إلى مصادرة أموال الناس، كما فعل شحنة بغداد عام 497هـ/1103م، ففرض مبالغ من الأموال على سكان المحال حددوها بعد تدخل النقباء، فاضر ذلك ضعفاء الناس فاضطر بعضهم إلى اللجوء إلى الاستجداء من الناس لجمع المبالغ المفروضة عليهم[4].

ومن الملاحظ أنَّ فرض الضرائب لم يستند على أسس سليمة وإنما كانت تخضع لنزوات وأطماع السلاطين ونوابهم دون مراعاة تأثيراتها الكبيرة على اقتصاد البلد، وكان الشحنة يستبد رأيه عند فرض الضريبة أو رفعها قاصداً فيها إيذاء الناس عند جمعها ففي عام 512هـ/ 1118م أخذ منكيوس ببغداد بظلم الرعية وبمصادرة أموالهم، فاختفى أرباب الحرف والأموال وانتقل جماعة إلى حريم دار الخلافة خوفاً من مصادرة أموالهم، فتوقفت أعمال الناس فكثر أصحاب الفساد[5]، فعندما استدعاه السلطان محمود لجَّ في جمع الأموال والمصادرات[6]، وفي عام 514هـ/ 1120م قام السميرمي باعادة المكيس والضرائب في العراق بعد ان اسقطها، وقد وصف ابن الأثير ظلم الشحنة وتعسفه بقوله: ((وكان مجاهرا بالظلم والفسق وبنى ببغداد داراً على دجلة فدمر المحلة المعروفة بالتوثة ونقل آلاتها إلى عمارة داره فاستغاث أهلها

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم،ج10، ص56.

[2] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص186.

[3] ابن الجوزي، المنتظم،ج9، ص137. للتفاصيل ينظر، حسن ، مقاومة الخلافة العباسية، ص 105.

[4] ابن الأثير، االكامل في التاريخ، ج10، ص542

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص542.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص542.

إليه فحبسهم ولم يخرجهم فبقوا بالسجن))[1] وقد انتهت حياته بعمليه فدائية قام بها عدد من افراد الشعب جزاء جرائمه وظلمه لهم[2].

ويذكر سبط ابن الجوزي ((عبث نواب السلاجقة في ذكرى حادثة احتراق الدار السلطانية عام 515هـــ/ 1121م)) هذه الدار بناها بهروز الخادم على انقاض دور الناس واستعمل في عمارتها أهل بغداد القضاة والأشراف والأعيان، وكانوا ينقلون الأنقاض في طيالسهم ولما انتهت مهمتهم أمرهم بهروز أنْ يحملوا إليها البسط والفرش والآنية وغيرها، فحمل الناس إليها ذلك، ولا جرم أنَّ الدمار كان نهايتها[3]، ولم يقتصر التعسف على نواب السلاطين بل كان السلاطين أنفسهم يمارسون أسلوب الابتزاز والظلم، ففي عام 515هـ/1121م أعيدت المكوس المواصير[*] والزم الباعة أنْ يرفعوا إلى السلطان ثلثي ما يأخذونه من الدلالة لكل ما يباع[4].

وفي هذا العام أمر السلطان بإعادة ضريبة ما يسمى بـــ(حق البيعة)، وازداد الأمر سوءا في ذلك وكثر الأذى[5]، ثم استمر السلطان محمود في فرض ضرائب أخرى أرهقت كاهل الشعب لتوفير مستلزمات الجيش المقيم في بغداد عام 515هـ/1121م، حتى فزعت خزائن الوكلاء وقرر أنْ يأخذ من دور الحريم ودكاكينه ومساكنه، أجرة شهر فكتب بذلك للجباية ورتب بذلك الكاتب والمشرف والجهة وجبي من ذلك مبلغاً وافراً في ثلاثة أيام، فكثرت الشكايات،فنودي بدفع ذلك وإعادة ما جبي على يد أعوانه لجأ إلى الدّين من ذوي الأموال[6]. ويمكن أنْ نستنتج من النص السابق أنَّ عساكر السلطان محمود في بغداد كانت كثيرة واثقلت الناس بالهموم وأثارت استياءاً وتذمرا شديدين لدى الشعب، لذلك ما إنْ غادرها السلطان محمود عام 516هـــ/1122م، حتى نودي باسقاط المكوس والضرائب وما أقر على الباعة

---

(1) الكامل في التاريخ، ج8، ص542.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص137-138.

(3) مرآة الزمان، ج8، ص96-97.

(*) المواصير: مفردها ماصر، وهي حبال كانت تستخدم لمنع السفن من السير قبل اداء الضريبة. الزبيدي: محمد مرتضى، تاج العروس في جواهر القاموس، (دار صادر، بيروت- 1969) م ج3، ص544.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص228. للتفاصيل ينظر، كريمة ، المقاومة العربية، ص44.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص223.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص222 - 223.

من قبل السـلطان محمود[1] وقد وصلت ضريبة البيع إلى أقصى درجات التعسف بجبايتها في عهد السلطان مسعود والذي كان يبذر ما يسلبه من مال الشعب وقوته على لهوه ومجالس متعته[2]، ويمكن أنْ نستنتج مما سبق خطورة تلك الإجراءات التعسفية على أوضاع العراق الاقتصادية وآثارها السلبية في تعطيل أموال البلاد وهروب أصحاب رؤوس الأموال بأموالهم أو إخفاؤها خشية المصادرة وانعدام الضمانات في ظل الإضطربات السياسية والتعسف والظلم، وقد لاقى عامة الناس العوز والفاقة ومع ما تعانيه من ظروف معاشية صعبة فقد كان عليها أنْ تدفع الضرائب عند دخول كل جيش في مدنها أو قراها[3]، ولم يكتف الحكام والسلاطين بمصادرة أموال الناس، بل دفعتهم أطماعهم إلى تخريب أسس النظام الاقتصادي في العراق، ففي عام 529هـ/1134م عطل العميد والشحنة دار الضرب وعملا دار ضرب عندهم بسوق العميد ودار الشحنة ودار الضرب وعمل دار ضرب عندهم بسوق العميد ودار الشحنة وقبضوا على عامل الجوالي(*)، وكتبوا إلى ضامن العقار(*)، يأمرونه بأن يسلم ضمان العقار إليهم، وقبضوا على عامل التركات الحشرية(*)، وطالبوا بالتركات المتجمعة عنده[4].وبذلك سيطر على اموال الخليفة.

ومن الملاحظ أنْ الخلافة نفسها لم تسلم من جشعهم واستبدادهم وتعسفهم فقد صادروا قوت ولي العهد مقابل ستمائة ألف دينار واستولوا على عائدات الخليفة، فقد تفاقم الخطر واستسلم الناس[5].

واستمر الحكام السلاجقة في جباية الأموال من الشعب من غير مبرر مما أدى إلى تذمر الناس وكراهيتهم لهم نتيجة جشعهم واستبدادهم ففي عام 531هـ/1136م طلب السلطان مسعود بعض المال، فقدم له صاحب المخزن عشرة آلاف دينار تم جبايتها من الناس، ثم تبعه

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص222–223. للتفاصيل ينظر، حسن، مقاومة الخلافة العباسية ، ص106.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص120، البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص178.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص197، الأثير، الكامل، ج10، ص635–636.

(*) الجوالي: جمع جالية وهم اهل الذمة الذين يدفعون الجزية، ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب،ج4، دار صادر (بيروت– 1955) ص149.

(*) ضامن العقار: الذي يقوم بجمع اموال ضمان المباني ودور الدولة من قبل شاغليها. ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص 205.

(*) التركات الحشرية: هي الأحوال التي يتركها المتوفى دون وريث فتذهب هذه الأموال إلى ديوان خاص، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص146، المقريزي: احمد بن علي، المواعظ والاعتبار في ذكر " الخطط والآثار " المعروف بالخطط المقريزية (بيروت– ب.ت)، ج1،ص11.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص47.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص47.

السلطان بإجراء آخر وهو جباية العقار، فلقي الناس من ذلك شده[1] ومن اجل المزيد من الابتزاز قبض السلطان مسعود على صاحب المخزن واعتقله في دار السلطنة مطالبا إيّاه بتوفير كميات أخرى من الأموال، فضـلا عن انّه توجه إلى الخليفة واخذ منه التركات الحشرية ولم يبق للخليفة إلاّ العقار الخاص[2]، ومن اغرب شنائع الحكام السلاجقة وتعسفهم في نهبهم للأموال هو إلزامهم لحفاري القبور وغسـالي الموتى بدفع الضـرائب فأصـبحوا غير قادرين على دفن الأموات إلاّ بعد إســتحصـــال موافقة العميد[2]، إضـــافة إلى دفع مبلغ من المال، يضـــاف إلى ذلك لجأوا عام 531هـ/1136م إلى فرض ضرائب أخرى مستخدمين العنف والظلم والفساد في جمعها[3] ويصف ابن الأثير الشحنه البقش السـلامي بقوله ((وكان قد ظلم الناس وعسـفهم وفعل ما لم يفعله غيره من الظلم))[4] كما يصف سبط ابن الجوزي الشحنه مسعود البلالي بقوله: ((وكان ظلوما عسوفا فوقع الناس في محنة شديدة من عسف الوالي وقسوته))[5] وفي ظل احتدام الصراع بين الأمراء الخارجين عن السلطان مسعود وشحنته في بغداد عام532هــ/ 1137م لجأ الشحنه إلى مضايقة الناس بحجة مطاردة العيارين فغلت الأسـعار وكثر الظلم، فرحل الناس عن بغداد إلى الموصــل وغيرها من البلاد[6].

ويذكر ابن الجوزي، تصرفات نائب السلطان مسعود عام 545هـ/1150م بقوله: ((وكان يبالغ في أذى الناس واخذ أموالهم)) إذ يقول نائب الســـلطان: ((انا قد فرشـــت حصـــيرا في جهنم))[7]، ويبدو أنَّ هدف اغلب السـلاطين السـلاجقة أو ممثلهم الإداري في العراق (العميد) أو العسكري (الشحنة) العمل على جباية اكبر قدر من المال بأية وسيلة كانت[8].

وقد وصـــف نظام الملك وزير ألب أرســلان وملكشــاه بقوله: بان الأمراء الســلاجقة لا يتورعون عن ارتكاب عشـــر جرائم من اجل الحصـــول على دينار واحد[9]، فضـــلا عن اهتمام

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص66.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص69.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص69.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج11، ص65.

[5] مرأة الزمان، ج8، ص178.

[6] ابن الأثير، الكامل، ج11، ص61.

[7] المنتظم،ج10، ص143.

[8] مجموعة مؤلفين، العراق في التاريخ، ص445، الســامرائي: خليل إبراهيم، واخرون، تاريخ الدولة العربية الإســلامية في العصر العباسي، 132–656هـ/749–1258م، (الموصل– 1988)، ص232 .

[9] مجموعة مؤلفين: العراق في التاريخ، ص445، السامرائي وآخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص232.

السلاجقة ببيوت الفسق وحوانيت الخمور[1]، وقد عمل الخليفة العباسي المسترشد بالله على إزالتها عام 512هـ/ 1119م عندما أراد إصلاح البلاد ومقاومة التسلط السلجوقي[2].

هكذا كان حال مدن العراق في ظل التسلط السلجوقي، أما البلاد العربية فإنها لم تسلم من تعسفهم وطغيانهم حيث آلت إلى ما آلت إليه مدن العراق، ففي سنة (468هـ/1075م) تمكن اتسزين اون الخوارزمي من احتلال دمشق فأوقع بأهلها شتى أنواع الظلم والاضطهاد والتعسف[3]. ويقول ابن القلانسي: ((فلما دخلها [يعني دمشق اتسزين اون] نزل بأهلها منه قوارع البلاء... من إنزال دورهم وإخراجهم منها واغتصاب أملاكهم والقبض لها، واستعمال سؤ السيرة وخبث النية والسريرة)). ويضيف: بان ألب أرسلان حينما تمكن من احتلال نصيبين ودخولها سنة 485هـ/ 1096م ((قتل فيها ألفي رجل وكل من التجأ إلى مساجدها وجوامعها وأخذت الحريم، وهتكت أعراض البنات وعوقبوا بأنواع العقوبات إلى أنْ اظهرن كل مذخور وابرزن كل مستور وفعل في أمرهم ما لا يحتمله مسلم ولا يستحسنه كافر))[4].

---

[1] الشريف، حسن احمد محمود، إبراهيم، العالم الإسلامي في العصر العباسي، (القاهرة– 1966م)، ص629.

[2] ابن القلانسي: ابو يعلي حمزة بن اسدين عني، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الاباء اليسوعيين، (بيروت– 1908)، ص108.

[3] ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ،جـ1، تحقيق: جمال الدين الشيال، مطبعة جامعة فواد الأول، (القاهرة – 1953)، ص19، الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، دول الإسلام في التاريخ، جـ2، حيدر اياد (الدكن– 1394هـ/ 1942م) ص72.

[4] ذيل تاريخ دمشق، ص122.

المبحث الثالث

الجانب الاقتصادي

1. الآثار السلبية لنظام الإقطاع السلجوقي

كان الغزو البويهي للعراق حدثاً تاريخياً بعيد الأثر على الأمة الإسلامية عامة والعراق خاصة باعتباره أول بلد قد تعرض لاحتلال قائم على أساس سياسة التجويع والاحتكار المتمثل بالإقطاع حيث كان للإقطاع فاتحاً لعهود السيطرة الأجنبية وكان لأسلوبهم القائم على إقطاع الأراضي لقوادهم وخواصهم[1]، فقد كان للإقطاع أثرٌ كبيرٌ في تدهور الإنتاج الزراعي، وتردي حالة الفلاحين على يد المقطعين، وتدهور المستوى المعيشي لأبناء الشعب[2]، وهكذا ظل قائماً خلال مدة الاحتلال السلجوقي، إذ استخدم السلاجقة نظام الإقطاع منذ السنين الأولى لاحتلالهم العراق، إذْ اقطع السلطان طغرلبك عام 449هـ/1057م كل من بلد الموصل إلى هزارسب بن بنكير مقابل خدمته وقتاله إلى جانبه في المعارك التي خاضها لاحتلال الموصل[3]، وقد شهد نظام الإقطاع تطوراً ملحوظاً على يد الوزير نظام الملك إذ عمل على تنظيمه[4]، بعد أنْ اتسعت أعداد القوات السلجوقية ومتطلباتها، فأحلَّ الاقطاعات محل رواتب هذه القوات[5] لعجز الميزانية عن تسديد هذه الرواتب [6].

وترى الدكتورة كريمة سلمان محمد: ((أنَّ نظام الملك لم يعتمد هذا الأسلوب بسبب العجز عن توفير الرواتب للجند فحسب وإنما أيضاً لإرضاء قادتهم وتوثيق العلاقة بينهم وبين الأرض وكذلك تفتيت ما تبقى من حالة التماسك ووحدة الشعب بإسكان عناصر غريبة معهم في قراهم ومزارعهم))[7]، ويذكر حسين أمين: ((ان الجيش السلجوقي كان في أول أمره مجموعة من القبائل التي كانت تحيا حياة الغزو والتنقل وتأصلت فيهم صفات الحرب

---

[1] ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص108.

[2] الدوري: د. عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطلبة للطباعة والنشر، ط2 (بيروت- 1978م)، ص89-90.

[3] سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص16.

[4] نظام الملك: حسن بن علي بن اسحاق (ت485هـ) سياسة نامه مستنسخة من نسخة سيفر، (باريس- 1891م)، ص139. نقلا عن الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص95.

[5] السبكي: أبو نصر عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى: تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي (مصر، ب ت) ج4، ص317. للتفاصيل ينظر، طرخان: إبراهيم علي، النظم الإقطاعية في العصور الوسطى، دار الكاتب العربي، للطباعة والنشر، (القاهرة- 1968)، ص11. والحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص68

[6] نظام الملك، سياسة نامه، ص160-161. نقلاً عن البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص60.

[7] المقاومة العربية للاحتلال السلجوقي، ص40.

والخشونة والجَلَدْ، لطول ممارستهم لحياة البداوة القبلية))[1]، وكان الملوك السلاجقة المنتشرون في العالم السلجوقي لكل واحد منهم جيش من القبائل المختلفة، يقوم بتسليحه وتموينه، وإقطاع الجنود اقطاعات تكون بديلاً عن الرواتب التي كان يتسلمها الجنود وانظمت الى صفوف الجيش السلجوقي القبائل التركمانية، وعمل سلاطين السلاجقة على بذل الاقطاعات لزعماء هذه القبائل ليكونوا شبه مستقلة وجذبهم إليهم بشتى الوسائل[2]، ويعود الفضل في تثبيت الاقطاعات الحربية لجميع الجند السلجوقيين الى نظام الملك الوزير السلجوقي الكبير فقد أدرك أنَّ الفرسان بديوان الجند لم يوزع عليهم إلاّ إقطاعات صغيرة في سائر الأقاليم، وعارض فكرة انقاص عدد الجيش البالغ تعداده (17) ألف جندي، فوزع عليهم الاقطاعات[3]، وسمي هذا بالإقطاع الحربي فقد وزع هذا الوزير الأراضي على شكل اقطاعات على الجند لأنَّهُ رأى أنَّ تسليم الأراضي للمقطعين يضمن حمايتها لاعتنائهم بها[4]. ورغم شدة نظام الملك وحرصه على تطبيق القواعد الصحيحة من قبل المقطعين، فان الذين تملكوا الأراضي صاروا يميلون إلى الاستغلال وكل إقطاعي اعتبر إقطاعه ملكا وراثيا، واخذوا في الإساءة للفلاحين ومعاملتهم بالشدة واستولوا على أملاكهم مما أدى إلى انتشار الظلم والفساد[5].

وكان للإقطاع في عهد الاحتلال السلجوقي أنواع عديدة[6]، إلاّ أنَّ السلاجقة توسعوا باستخدام احد هذه الأنواع وهو الإقطاع العسكري[7]، ويذكر، أنَّهُ كان في العراق واحد وأربعون أميرا إقطاعيا، ينتسب القليل منهم إلى الأُسَرْ العربية [8] ، وكان للمقطع حق إدارة المنطقة الإقطاعية إدارة مطلقة يتمتع بكل الصلاحيات[9]، مقابل أنْ يدفع مبلغا من المال إلى

---

(1) تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص56.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص73–74.

(3) البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص55 .

(4) المقريزي: تقي الدين احمد علي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار، ج1 (القاهرة– 1270هـ) ، ص153–154.

(5) المقريزي، المواعظ والاعتبار،ج1، ص234، 252–253.

(6) الدوري، مقدمة التاريخ الاقتصادي العربي، ص96.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص245–273.الراوندي، راحة الصدور، ص203. سبط ابن الجوزي ، مرأة الزمان، ص1–6. الطاهر: عبد الرزاق، الإقطاع والديون في العراق، مطبعة السعادة (مصر– ب ت)، ص7.

(8) سيد أمير على، مختصر تاريخ العرب، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت– 1961)، ص371. طرخان، النظم الإقطاعية، ص14.

(9) سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ص371.

خزانة السلطان السلجوقي منها سنوياً[1] وإلاّ عرض نفسه لفقدان إقطاعه، كما حدث مع الأمير جكرمش سنه 500هـ/ 1106م حينما تثاقل عن دفع ما كان مقرراً عليه من المال للسلطان محمد بن ملكشاه فمنح الأمير إقطاعه للأمير جاولي سقاو[2]، وكان على المقطع تقديم المساعدات العسكرية إلى السلطان عند الحاجة[3]، وهكذا اعتبر السلاجقة البلاد التي احتلوها ملكا لهم، ومن حقهم أنْ يعطوا أمرائهم منها متى شاءوا ولمن شاءوا من أقاربهم، وهذا ما فعله سلاطينهم في الولايات التابعة لهم[4]، ومن ضمن الولايات السلجوقية التي طبق بها نظام الإقطاع، هي بلاد الشام والجزيرة، إذ قسمت إلى إقطاعات عسكرية يحكمها عدد من الأفراد بتفويض من السلطان السلجوقي مقابل ذلك امداد السلطان بالقوات العسكرية او تسييرها للجهاد وقت الحاجة ودفع المال المحدد على الاقطاع الى خزينة السلطان السلجوقية، والالتزام بالولاء والطاعة للسلطان والخطبة له في اقطاعة[5]، فقد اقطع السلاطين السلاجقة إخوانهم وأمراءهم واقطع الأمراء قوادهم وذويهم، فقد اقطع السلطان ملكشاه السلجوقي الشام الى اخيه تتش عندما وجهه اليها سنة470هـ—1081م[6]، وأقطعَ حلب إلى الأمير مسلم بن قريش العقيلي سنه 472هـ—/1083م بثلاثمئة ألف دينار سنويا واقطعَ السلطان ملكشاه أيضاً جزيرة ابن عمر في الجزيرة إلى الأمير جكرمش واقطعَ جكرمش

---

[1] المعاضيدي: عبد القادر سلمان، واسط في العصر العباسي، دار الحرية للطباعة (بغداد– 1983)، ص151.

[2] ابن الأثير: ابي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني .
التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق: عبد القادر طليمات، دار الكتب الحدثية– (القاهرة، ب ت) ص238.

[3] البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص60. للتفاصيل ينظر، المعاضيدي، واسط في العصر العباسي، ص151.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص160–161.

[5] ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص291، ابن العديم: كمال الدين أبو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج2، تحقيق: سامي الدهان، (سوريا، دمشق – 1954)، ص53.
سيد أمير على، مختصر تاريخ العرب، ص371. للتفاصيل ينظر، طرخان، النظم الإقطاعية ، ص15. العبادي: احمد مختار، قيام دولة المماليك في مصر والشام،(بيروت– 1974)، ص76. يوسف، سلاجقة الشام والجزيرة من الفترة 435–570هـ، المؤسسة الصحفية الأردنية، الرأي (عمان، ب ت)، ص235.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص241، 242، 285 سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص197. الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص474.

حصن كيغا في الجزيرة إلى موسى التركماني وجعله نائبا عنه فيه[1]، واقطعَ السلطان ملكشاه أجزاء من الجزيرة إلى محمد بن مسلم بن قريش العقيلي وزوّجَهُ بأخته زليخة خاتون سنة 479هـ/ 1086م[2]، ثم اقطع أيضاً سالم بن مالك العقيلي قلعة حعبر بعد ما اخذ منه قلعة حلب سنة 479هـ[3]، واقطع السلطان محمود السلجوقي سنجار وواسط وجزيرة ابن عمر إلى البرسقي سنة 515هـ/ 1121م[4]، واقطع أيضاً ميافارفين في الجزيرة إلى ايلغازي بن ارتق إضافة إلى ماردين وكانت إقطاعا له من أيام السلطان محمد السلجوقي[5]، وتعهد عماد الدين زنكي للسلطان محمود السلجوقي سنة 523هـ/1129م بمائة ألف دينار سنويا مقابل اقطاع الجزيرة له[6] وكانت شهر زور إقطاعاً إلى سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي[7].

وهناك كثير من الاقطاعات الصغيرة التي وزعت على القادة والامراء في مناطق متفرقة في الشام والجزيرة[8]، ويعتقد ارشيد يوسف أنَّ سياسة الملك هذه وما كان يقصد عن هذا النظام الإقطاعي هو لأجل ترسيخ الوجود السلجوقي. في هذه البلاد بصورة دائمية لأنَّ ارتباط السكان بالأرض هو الذي يؤمن استمرار الحياة للشعوب ولا حياة لشعب لا يعرف قيمة الأرض والوطن، وخاصة أنَّ السلاجقة غرباء في هذه البلاد وهم جماعة عرفوا بالتجوال وعدم الاستقرار، لهذا يمكن القول أنَّ عبقرية نظام الملك وإخلاصه للسلاجقة هي التي جعلته يدبر الأمر لربط السلاجقة بالأرض حتى يجعل سلطانهم وحكمهم يدوم سنين طويلة في البلاد
التي يديرونها [9]، لكن نظام الملك ما كان يدري ما تخفيه الايام من ان هذا النظام سيكون عبئاً ثقيلاً وخطراً بالغاً على الإدارة السلجوقية بمرور الأيام ، وسيكون السبب الذي سيعمل على إنهاء

[1] ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 4، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر (بيروت- 1958)، ص571-572. للتفاصيل ينظر، يوسف: ارشيد، سلاجقة الشام والجزيرة، ص235.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص155، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص13.

[3] ابو الفداء: المؤيد الملك إسماعيل عماد الدين،(ت 732هـ/ 1331م) المختصر في أخبار البشر، ج2. دار البحار للترجمة والتأليف (استنبول- 1286هـ) (مصر ب.ت)، ص197، ابن شداد: علاء الدين محمد بن علي بن إبراهيم،(ت684هـ) الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج3، تحقيق: يحيى عبارة، (دمشق- 1978)، ص634، ابن العديم، زبدة الحلب ج2، ص101.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص604، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص190.

[5] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص202. للتفاصيل ينظر، خليل: عماد الدين، الإمارات الارتقية في الجزيرة والشام (465هـ- 812هـ) مؤسسة الرسالة (بيروت -1978)، ص76.

[6] ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص543. للتفاصيل ينظر، يوسف، سلاجقة الشام والجزيرة، ص235.

[7] ابن واصل، مفرج الكرب في أخبار بني أيوب، ج1، ص107.

[8] يوسف، سلاجقة الشام والجزيرة، ص236.

[9] سلاجقة الشام والجزيرة، ص236.

حكم السلاجقة، فقد زاد الوضع السياسي سوءاً وألحقَ الإقطاعيون أضراراً كبيرة بأصحاب الأراضي بسبب استغلالهم ومعاملتهم بالقسوة فاستشرى الظلم وعم الفساد وأهملت الأرض إلى درجة كبيرة ثم تحولت الأراضي الزراعية إلى خراب بعد أن عمرت وهذا نتيجة استغلال الإقطاعيين الفلاحين والمزارعين أبشع استغلال لتحقيق أعلى المستويات من الأرباح[1]، ولكي يحصلوا على أكثر مما اتفق عليه مع السلطان السلجوقي، قاموا برفع أسعار الإنتاج الزراعي، فضلا عن قيامهم بتقليل عوائد الفلاحين والمزارعين وأجورهم وفرضوا عليهم رسوما اضافية، واجبروهم على أعمال السخرة وأكثروا من التجاوز عليهم[2]، وهذا ما جعل كثير من الفلاحين منح أراضيهم للمقطعين طلباً لحمايتها، وترك البعض الآخر منهم الزراعة، وهجروا قراهم[3] ومن خلال ذلك أصبح من الصعب على الإدارة السلجوقية التحكم في هؤلاء المقطعين، فتعددت انتماءاتهم وولاءاتهم وطمع كل واحد منهم باقطاعات غيره فظهرت الأحلاف الداخلية والصراعات الجانبية والأسر الحاكمة وساعدت هذه الأمور في التمرد على السلطة المركزية بل ومحاربتها إذ لزم الأمر وتضاربت الأهواء والمصالح فأشتغل الأمراء والسلاطين ببعضهم وأصبح بأسهم بينهم شديد[4].

((وقد أكد عماد الدين زنكي عندما جاء إلى الجزيرة على أضرار هذا النظام الخاطئ، فنهى عن امتلاك الأراضي واقتطاعها، وأمر بان تترك بيد أصحابها، فازدهرت البلاد في عهده وعمرت))[5]، إذ يقول عماد الدين زنكي لأصحابه: ((مهما كانت البلاد لنا فأيّ حاجة لكم في الأملاك.. ومتى صارت الأملاك لأصحاب السلطان، ظلموا الرعية وتعدوا عليهم وغصبوا أملاكهم)) [6] وبعد أنْ ألغى عماد الدين زنكي الإقطاع خصص رواتب للجند، فحددها بحيث أنْ تدفع لهم كل ثلاثة اشهر مرة واحدة وكان حريصاً على عدم تأخيرها، وجعل لها ديواناً خاصاً يشرف على متطلبات الجنود بالإضافة إلى حرصه على نسائهم أثناء غيابهم في الحروب وهدد بمن يتعرض لهن بشيء من الأذى والمكروه[7].

---

[1] ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص79، ابن الجوزي، المنظم، ج9، ص132، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص134-212.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص164، ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص280-284.

[3] المعاضيدي، واسط في العصر العباسي، ص223، الدوري، مقدمة في الاقتصاد العربي، ص96.

العلي: صالح احمد العلي وآخرون، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة (بغداد- 1983)، ص451.

[4] يوسف، سلاجقة الشام والجزيرة، ص236.

[5] ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص79، ابن العديم، زبدة الحلب ج2، ص280.

[6] ابن قاضي شبه بدر الدين: الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمد زايد، دار الكتاب الجديد، (بيروت- 1970) ص 121.

[7] علي: محمد كرد، خطط الشام، ج2، (دمشق- 1925)، ص17.

ويحلل أرشيد يوسف أنَّ عماد الدين زنكي قد عرف الأضرار البالغة من كثرة الاقطاعات في إمارته. وخطورتها على وحدة البلاد السياسية وعجزها عن تصدي الحملات الصليبية ، فشن على المقطعين حمله واسعة النطاق فقضى على أكثرهم ووحد أجزاء البلاد الواسعة من الشام والجزيرة تحت قيادته، وهذا ما جعله ينجح في مطاردة الصليبين وتصفية معظم حصونهم ومعاقلهم[1].

2. الغلاء والمجاعات والكوارث الطبيعية

ارتفعت الأسعار أيام الاحتلال السلجوقي للعراق نتيجة أتباع النظام الإقطاعي كما ذكرنا سابقاً والذي أدّى إلى احتكار الإنتاج الزراعي من قبل أصحاب الإقطاعيات وتحقيقا لهدفهم الأول وهو الحصول على أكثر مما يترتب عليهم دفعه من أموال للسلطان السلجوقي وهذا بدوره أدى إلى رفع الأسعار من خلال سيطرتم على العرض والطلب[2]، وارتفعت أسعار المحاصيل الزراعية نتيجة لإهمال الحكام السلاجقة مشاريع الري والسدود وحدوث الفيضانات لنهري دجلة والفرات وإتلاف الحقول الزراعية[3].

وفي عام 543هـ/1148م شهدت الأسعار ارتفاعا كبيرا وفقدان الأقوات بسبب وجود الجيش السلجوقي الذي دخل البلاد ونهبت القرى والمدن فانهزم أهل السواد فارين إلى بغداد وقد هلكوا جوعا وبردا[4]، وقد رافق انخفاض مستوى المعيشة وموجات الغلاء في العراق، انتشار الأمراض والأوبئة التي أزهقت الأرواح بأزمنة متتابعة، ففي عام 498هـ/1104م، انتشر مرض الجدري. في العراق، فمات به من الأطفال ما لا يحصى وتبعه وباء كثير وأموات لا تحصى [5].

وقد أدّى ارتفاع الأسعار والغلاء إلى إثقال أبناء الشعب وإرهاقهم بالضرائب والنهب، ونزول الجند السلاجقة بمنازلهم وأسواقهم فأدّى إلى ازدياد المجاعات وانتشارها منذ بداية عهد الاحتلال السلجوقي ففي عام 448هـ/1056م حدثت أولى المجاعات نتيجة الاحتلال السلجوقي واستمرت حتى سنة 450هـ/ 1058م بسبب الأعداد الكبيرة للقوات السلجوقية التي احتلت العراق

---

[1] سلاجقة الشام والجزيرة، ص237.

[2] الدوري، مقدمة التاريخ الاقتصادي العربي، ص96. المعاضيدي، أسواق العصر العباسي، ص206، 207.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص128، 257. ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص284،225، 86،285. للتفاصيل ينظر :الدوري، د . غامس خضير حسن، الكوارث الطبيعية وآثارها في العراق حتى نهاية الدولة العباسية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، (بغداد– 1999)، ص96.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص235، 246. ابن الأثير، الكامل، 10، ص617، 635–636. التفاصيل ينظر: الدوري، غامس، الكوارث الطبيعية، ص98.

[5] ابن الأثير، الكامل، 10، ص396.

والتي سببت ارتفاعاً كبيراً في الأسعار للطلب الكبير على المواد الغذائية مع شحتها أو نفاذها فمات الناس جوعاً، فدفنوا الموتى بغير غسل ولا تكفين[1].

وفي سنة 492هـ/1098م مات الناس على الطرقات ببغداد وواسط بسبب الجوع[2]. وفي سنة 511هـ/1117م مات الناس جوعاً وأكلوا الكلاب[3]، وفي سنة 517هـ/1123م حدثت مجاعة بالعراق بسبب الغلاء فانتشرت الأمراض التي أهلكت الكثير من الناس[4]، وقد استقرت الأوضاع بعض الشيء سنة 534هـ/1139م ثم عادت إلى التدهور من جديد فارتفعت الأسعار فكثر الجوع واستفحلت الأمراض وكثر الموت[5]، وفي سنة 543هـ/1148م حدث صراع بين السلطان مسعود مع أمراء الأطراف ودخلت قوات جديدة للسلاجقة إلى العراق فنهبت العديد من القرى والمناطق، هلك الكثير من سكانها جوعا واضطر الكثير منهم إلى التوجه إلى بغداد التي كان الغلاء بها على اشُدَّهُ، مما أدى إلى إرباك الأحوال بشكل عام[6]، ثم ازداد الأمر سوء من خلال وقوع أحداث متعاقبة من الحرائق أتلفت الكثير من الأموال والأرواح والدور والمحال منها حريق عام 501هـ/1107م الذي اتلف عدة محال وأتلف أموالاً كثيرة وعطّل حركة الحياة[7]، وحدث حريق آخر عام 512هـ/1118م اتلف المحال والأسواق[8]، وفي عام 551هـ/1156م حدث حريق في بغداد شمل عدد من المحال[9].

وازدادت الأحوال الاقتصادية سوءا بالكوارث الطبيعة التي حلت بالبلاد مخلفةً وراءها الكثير من المآسي والدمار وتلف الكثير من المحاصيل الزراعية والغلات وإزهاق الأرواح ونشر الخراب في القرى والمدن ولا سيما حوادث الفيضانات الناتجة بصورة رئيسية من إهمال المشاريع الإروائية والسدود، وكان اخطر فيضان شهدته بغداد خلال تلك المدة كان عام 554هـ/1159م فقد أحدث الماء فتحات في أسوار المدينة وهدم بعض أجزائه، واجتاح معظم محال بغداد وحول

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص79، للتفاصيل ينظر: الدوري، غامس ، الكوارث الطبيعية، ص190-192.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص109.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص193.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص314.

[5]) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص368.

[6] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص131-134، ابن الأثير، الكامل، ج8، ص21-23.

[7] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص157. للتفاصيل ينظر: الدوري، غامس، الكوارث الطبيعية، ص96.

[8] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص196-197.

[9] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص216. ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص 165.

الماء محال بغداد إلى تلول ((انقاض)) حتى كاد الناس لا يعرفون حدود دورهم ومحالهم فاخذوا الناس حدودها بالتخمين [1].

وحدثت مصـــائب أخرى نتيجة الزلازل التي أحدثت ســوءا في أوضـــاع الناس وحياتهم الاقتصادية ففي عام 511هـ/1117م وقع زلازل في العراق والجزيرة والعديد من البلاد المجاورة، فخربت الكثير من الدور ولا ســـيما المناطق الغربية منها[2]. كما حدث زلزال آخر في عام 524هـ/1129م فهلك الناس ووقعت دور كثيرة ومساكن في الجانب الشرقي والغربي[3]، وحدثت زلازل أخرى عام 529هـ/1134م[4] وكذلك في عام 544هـ/1149م[5]. ذهبت بأرواح الكثير ودمرت العديد من المدن والقرى في العراق[6].

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص284.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص193، ابن الأثير، الكامل، ج9، ص532.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص200، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص14.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص46-47.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص138.

[6] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص225. ابن الأثير، الكامل، ج9، ص146.

المبحث الرابع
الجانب الاجتماعي

- **ظاهرة السلب والنهب**

كانت مدينة بغداد أول المدن التي ظهرت فيها هذه الظاهرة بسبب إقامة جند السلاجقة فيها وما قاموا به من نهب وسلب فاستاء الشعب وتذمر لدى الخلافة واضطر الخليفة العباسي إلى إبلاغ عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرلبك بما يعانيه الأهالي من جَراء إقامة جند السلاجقة بينهم، فمضى إلى السلطان طغرلبك وأطلعه على حقيقة الحال في بغداد، فاعتذر واخرج الجند من دور العامة ثم غادر بغداد في أواخر سنة 448هـ/1056م[1].

وقال ابن كثير ((بعد وفاة السلطان طغرلبك سنة 455هـ/1063م ثار العيارون فقتلوا العميدي وسبعمائة من أصحابه ونهبوا الأموال واخذوا يأكلون ويشربون بين جثث القتلى. واضطربت الأحوال وعاثت الأعراب في سواد بغداد وارض العراق ينهبون))[2]، بعدما شهدت مدن العراق سلسلة من أعمال السلب والنهب والاعتداء في ظل التنازع بين السلاطين السلاجقة وأمرائهم وأعوانهم وكذلك في ظل الزعامات المحلية الطامعة التي كانت كثيراً ما تستغل اضطراب الأوضاع السياسية وفقدان الأمن لتحقيق أهدافها ومطامعها[3]، واستمرت هذه الحالة منذ وفاة السلطان ملكشاه عام 485هـ/1092م حتى زوال دولتهم عام 590هـ/1193م [4] حيث تعرضت مدينة واسط عام 493هـ/1099م على يد قوات السلطان بركياروق أثناء صراعه مع أخيه محمد بن ملكشاه[5]، إلى دخول العسكر المدينة فعاثوا فيها فسادا اذ قلعوا الأبواب واستخرجوا الذخائر ونهبوها وفعلوا ما لم يفعله الروم[6]. وعند اشتداد الصراع بين السلاطين (بركيا روق، محمد،سنجر) عام 496هـ/1102م تعرض العراق، وخاصة بغداد إلى مزيد من النكبات والجوع والظلم والنهب على يد أعوان السلطان محمد ((فاستبيح السواد وأفتضت الأبكار وأفسد القرى وقسط عليها وكثر الظلم.. فنهب الدنيا وعاث اقبح عيث))[7] وبعد انتصار بركياروق على أخيه محمد ودخل بغداد لم تكن للخليفة مكانه جيدة، ولم ينفعه ما دفعه الخليفة من أموال بلغت (50)

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص169–170. للتفاصيل ينظر، سرور، سياسة الفاطمين الخارجية، ص194. السامرائي واخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، ص217.

[2] البداية والنهاية، ص89.

[3] حسن، مقاومة الخلافة العباسية، ص101.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص62–63، ج10، ص25،26.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص193–194.

[6] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص194، وج10، ص330، ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص111.

[7] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص540–542، ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص134–135.

ألف دينار لمساعدة جيش السلطان، فتمادوا في الاعتداء ونهبوا أموال قاضي جبله في بغداد، وكان قد جاء من بلاد الشام طالبا النجدة ضد الفرنجة[1]، وتعرضت مدن العراق عام (496هـ/1102م) لأعمال الشغب والنهب والمصادرة من قبل جيوش السلاطين ونوابهم في أثناء الصراع بين بركياروق وأخيه محمد، الذين لم يمروا بقرية كبيرة أو صغيرة إلاّ واخذوا الأموال بالضرب والإحراق، وأبطلت معايش الناس وغلت الأسعار، فكان رغيف الخبز يساوي عشرة أرطال[*] بقيراط[*] فصار ثلاثة أرطال بقيراط وجميع الأشياء كذلك ارتفعت أثمانها[2]، كما تعرضت مدينة واسط خلال هذا العام أيضاً من قبل شحنة بركياروق[3]، ودخل بغداد في عام 1102/496م احد أعوان السلطان محمد (وافد القرى وقسط عليها وأكثر الظلم[4]، وشهدت مدينة البصرة عام 499هـ/1105م إلى أعمال نهب وسلب لفساد الإدارة فيها وفقدان السلطة، فأحرقت الأسواق والدور واستبيحت المدينة لأكثر من شهر وتشرد أهلها في السواد[5] وتعرض الكثير من المناطق الواقعة على طريق خراسان لأعمال النهب والسلب عام 496هـ/1102م، وعملوا الأعمال القبيحة،[6] وتكرر الاعتداء على مدن العراق وقراه عام 501هـ/1107م[7] ورأى السلطان محمد والسلطان بركياروق أنَّ الحروب طالت بينهما وعم الفساد فأصبحت الأموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والقرى محرقة والسلطنة مطموعا فيها وأصبح الملوك مقهورين بعد أن كانوا قاهرين وكان الأمراء الأكابر يؤثرون ذلك ويختارون ليدوم تحكمهم وانبساطهم وإذلالهم وكان السلطان بركياروق حينئذ بالري والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وعربستان وفارس وديار بكر والجزيرة وبالحرمين الشريفين وكان السلطان محمد باذربيجان

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص307–308.

[*] الرطل: وحدة وزن تختلف باختلاف الأقاليم والزمن: بلغ وزنه بالعراق 406/25غم، هنتس: فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية ترجمة: كامل العسلي، (عمان– 1970)، ص35.

المقريزي: أحمد بن علي، (ت 845هـ/1441م) النقود الإسلامية ،المشهور بشذور العقود في ذكر النقود، ط5، تحقيق: محمد بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، (النجف–1967)، ص92–94.

[*] قيراط: وحدة وزن تبلغ 2132=5غم هنتس، فالتر، المكائيل والأوزان الإسلامية، ص44، المقريزي، النقود الإسلامية، ص97–98.

[2] ابن خلدون، العبر، ج5، ص65.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص355–357.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص354.

[5] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص411.

[6] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص395.

[7] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص440–449.

والخطبة له فيها وبلاد اران وارمينيه واصـــبهان والعراق كلها ما عدا تكريتلانها محيطة بالخوارج ولوجود قلعة حصـينة تحيط بها [1] كما تعرضـت المدن والقرى الواقعة على نهر صـرصـر [*]، ونهر عيسى[*]، وبعض من نهر الدجيل[*]، عام 512هـــ/118م لمزيد من أعمال السلب، فنهب السـلطان مسـعود وعسـاكره من جهة، وجيش دبيس بن صـدقة وأعوانه من جهة أخرى نهبا فاحشا[2]، كما شـهد عام 514هــــ/1112م أعمال فساد ونهب في أثناء المعارك بين السلطان مسعود والسلطان محمود فاغتنم الفرصة دبيس بن صدقة وعاث بمدن السواد، فنهب نهر عيسى ونهر الدجيل، فخرج أهلها مذعورين إلى بغداد ثم ذهب إلى المدائن واتجه منها إلى بعقوبة، وفرض عليها الحصـــار إلى أن أخذها عنوةً واعتدى على الناس واحرق الغلات والاتبان[3]، ولم تتوقف أعمال دبيس بن صـدقة مسـتغلا الفوضـى السـياسـية واسـتمرار الصـراع بين السـلاجقة، فشهدت الأعوام 516هـــ-1122م/ 517هـــ-1123م/ و 523هـــ- 1128م، العديد من أعمال النهب والسـلب والاعتداء على أهل المدن والقرى[4]، واسـتمرت بغداد ومدن العراق تتعرض لمزيد من المضايقات والأزمات الاقتصادية وخاصة حينما يدخلها السلاطين بجيوشهم. فما حصل عام 520هـ/1125م عندما أصر السلطان محمود على دخول بغداد على الرغم من معارضة الخليفة المسترشد بالله بسبب الظروف الاقتصادية المجحفة والصعبة للناس، زيادة على ذلك تذمر الناس الذين عبروا مغاضـبين إلى الجانب الغربي فكثر الزحام على المعابر والسـفن وبلغت إيجار الدار بالجانب الغربي ما بين الخمسـة الى سـتة دنانير شـهرياً[5]، فدخل السـلطان بغداد مع عسـاكره ((فنزلوا في دور الناس وانبثوا في الحريم وغيرها))[6].

---

(1) الخضري بك، محاضرات، ص432.

(*) نهر صرصر: يوجد عليه قريتان في سواد بغداد على نهر صرصر، ياقوت الحموي، معجم البلدان ج3، ص401.

(*) نهر عيسى: عليه كوره وقرى كثيرة غربي بغداد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص322.

(*) نهر الدجيل: نهر يسقى منه كوره واسعة وبلاد كثيرة تقع شمال بغداد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص443.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص565، ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص217-218، للتفاصيل ينظر: الدوري، غامس، الكوارث الطبيعية، ص98.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص565، ابن الجوزي، المنتظم، ج2،9ص17-218.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص607.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص635-636.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص259.

فكثرت أعمال السلب والنهب والاعتداءات على الناس والخلافة في أثناء اشتداد الخلاف بين السلطان مسعود والخليفة الراشد بالله عام 530هـ / 1135م وكذلك دخلوا الجامع فكسروا أبوابه ونهبوا ما كان فيه من رحل وامتاع المجاورين، وبالغوا في الفساد[1].

وهكذا استمرت مدن العراق تشهد المزيد من هذه الأعمال التي أنهكت أحوال الناس الاقتصادية والاجتماعية وأذلتهم ولاسيما في عامي 535هـ –1140م. و543هـ – 1148م[2].

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص85.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص 78، 132-133.

الفصل الثالث
علاقات الخلفاء العباسيين
مع السلاطين السلاجقة الأقوياء

- **المبحـث الأول:** البوادر الأولى للعلاقات بين الخلافة العباسية والسلاجقة قبل دخولهم بغداد (431هـ- 447هـ/ 1039-1055م)
- **المبحث الثاني:** العلاقات بين الخليفة القائم بأمر الله والسلطان طغرلبك (447هـ-455هـ/1055م-1063م)
- **المبحث الثالث:** العلاقات بين الخليفة القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان (455هـ-465هـ/ 1063م-1073م)
- **المبحث الرابع:** العلاقات بين الخليفة القائم بأمر الله والسلطان ملكشاه (465هـ-467هـ/ 1072م-1074)
- **المبحث الخامس:** العلاقات بين الخليفة المقتدي بأمر الله والسلطان ملكشاه (467هـ- 487هـ/ 1074م-1094م)
- **المبحث السادس:** البوادر الأولى لضعف السلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاه وعلاقتهم بالخليفة المقتدي بأمر الله

المبحث الاول

البوادر الأولى للعلاقات بين الخلافة العباسية والسلاجقة قبل دخولهم بغداد (431هـ- 447هـ/ 1039-1055م)

امتدت جذور العلاقة بين الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة إلى سنوات عديدة قبل دخولهم بغداد وتمثلت هذه العلاقة بعدد من الرسائل المتبادلة مع الخلافة العباسية ناهيك عن تبادل الوفود والهدايا وذلك بعد أنْ اطمأنّوا إلى قوتهم ونفوذهم، ووجدوا أنفسهم على رأس دولة أصبحت سيدة الموقف في شرق الدولة العباسية بعد انتصارها في معركة داندانقان عام 431هـ/ 1039م لأنها أرست الوجود السياسي للسلاجقة بشكل حاسم، وأخرجت الدولة الغزنوية من الصراع ضعيفة منهكة آخذة في الانهيار والتفكك [1]، حيث بدء السلاجقة منذ عام 432هـ/1040م الاتصال بالخليفة العباسي القائم بأمر الله[2] للحصول على اعترافه بشريعة حكمهم على البلاد والتي أصبحت بحوزتهم وعلى ما يستعمرونه مستقبلا[3] حيث بعثوا رسالة إلى الخليفة القائم بأمر الله حملها إليه أحد المقربين المعتمد عليهم في مثل هذه المهمات، وهو أبو إسحاق القفاعي[4]، وتضمنت هذه الرسالة أسلوباً سياسياً تبين من خلاله، إظهار تمسك السلاجقة باحترام الخلافة والحرص على رضاها، عن طريق المغالاة في التمسك بأصول الدين وتنفيذ شرائعه وتجنب نواهيه فضلا عن إظهارهم أنفسهم، بالطرف الضعيف المظلوم المعتدي عليه في أثناء صراعهم مع الدولة الغزنوية، وكان دفاعا عن النفس وردا للمظالم الغزنوية، وربطوا دفاعهم بمبادئ الإسلام والعدل، وانه من حقهم الدفاع عن المسلمين ورعاية مصالحهم، وذلك لكسب رضا الخليفة واستدرار عطفه وتحريض الخليفة على الدولة الغزنوية، وعدم أهليته الغزنويين في حكم البلاد. مع

---

(1) الراوندي، راحة الصدور، ص165. للتفاصيل ينظر، المعاضيدى: خاشع، تاريخ الدويلات العربية الإسلامية في العصر العباسي، (بغداد-1979)، ص84.

(2) الخليفة القائم بأمر الله: هو أبى جعفر عبد الله بن القادر احمد بن الأمير اسحق بن المقتدر جعفر بن المعتضد أحمد بن ولي العهد الموفق طلحه بن المتوكل، الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن المالكي، تاريخ الخميس في أحوال انفس نفيس، (بيروت- ب، ت)، ص357.

(3) الراوندي، راحة الصدور، ص165- 166. للتفاصيل ينظر، أمين، تاريخ العراق، ص55. وفوزي، الخلافة العباسية، ص77. الشريفي: إبراهيم، التاريخ الإسلامي، (السعودية- 1977)، ط2، ص188.

(4) الراوندي، راحة الصدور، ص167، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص7.

الإشارة بشكل مباشر إلى الهدف الحقيقي من هذه الرسالة، هو الحصول على اعتراف الخليفة القائم بأمر الله بشرعية حكمهم للبلاد[1].

ويذكر أنّ السلاجقة كانوا متلهفين للحصول على الشرعية، لكونهم أجانب تغلب عليهم صفة البداوة والبربرية لذلك لم يكونوا مقبولين شعبياً بين سكان المدن المتحضرين[2]، ولهذا فان اعتراف الخليفة بهم بات يشكل هدفا مهما لديهم ليس لما ذكرناه سابقا فحسب بل لاتخاذه حجة ضد المعارضين والخارجين أيضا[3]، ويذكر البنداري رسالة يوصفها أول كتاب من الخليفة إلى السلاجقة يستنكر فيها الفوضى والفساد، ويأمرهم برعاية مصالح الناس، وكانت قد وصلتهم عام 429هـ/1037م في أعقاب القتال مع شحنة بنسابور الذي انتهى بانتصارهم ودخولهم المدينة عازمين على نهبها وسلبها حيث اعترض طغرلبك على أصحابه ريثما ينتهي شهر رمضان، وبينما هم على هذا الحال، وصل إليهم كتاب القائم بأمر الله أمير المؤمنين يخوفهم ويذكرهم بالله ويحملهم على رعاية عباد الله سبحانه وتعالى وعمارة البلاد فخلعوا على الرسول المعروف بـ(أبي بكر الطوسي) ثلاثة عشر خلعةً وتباهوا برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة ورفعة[4].

وقد كان لرسالة الخليفة القائم بأمر الله أثراً كبيراً في نفوس السلاجقة على الرغم من ان مضمونها تناول هدفا محددا، لكنها كانت لديهم عاملاً مشجعاً دفعهم إلى إرسال الرسل ومخاطبة الخليفة عام 432هـ/1040م كما سبق ذكره ويبدو أنَّ كتاب الخليفة له أثر كبير في تعزيز التقرب والاتصال لتقريب الخطى والاذهان[5].

ومن خلال التتبع لهذه الاتصالات نجد اشارات لبعضها فما ذكره البنداري بشكل مختصر عن رسالة كلف بحملها الماوردي[6]، من الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى طغرلبك عام 432هـ/1041م[7]، ولعلها كانت جواباً على رسالة السلاجقة.

---

[1] الراوندي، راحة الصدور، ص167.

(2) J Jsaunder, Ahistory of medivel, Iran, P147.

[3] حسن، مقاومة الخلافة العباسية، ص39.

[4] البنداري، تاريخ ال سلجوق، ص8–9.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص199–200. البنداري، تاريخ دولة سلجوق، ص28.

[6] الماوردي: هو ابن حبيب أبو الحسن على بن محمد، مؤلف كتاب الأحكام السلطانية، وقد تولى منصب القضاء، ابن الجوزي، المنتظم ج8، ص199–200، تاريخ دولة ال سلجوق، ص28.

[7] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص199. للتفاصيل ينظر، القزاز: محمد صالح ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي، مطبعة القضاء (النجف–1971)، ص39.

وقد أشار ابن الجوزي إلى رسائل أخرى كشف مضمونها على حصول تطور في العلاقات بين الخلافة والسلاجقة، تبين من خلالها حرص السلاجقة على إبداء المزيد من الاحترام للخلافة متوددين إلى كسب رضاها، مع الامتنان لما منحتهم من ألقاب[1].

ويذكر ابن الجوزي كتاب طغرلبك الذي وجهه إلى وزير الخليفة عميد الرؤساء[2] (واصفا إيّاه بالشيخ الأجلّ ابن طالب محمد بن محمد بن حبيب الماوردي والتقى به بجرجان[*]) فاستقبله على أربعة فراسخ أجلالاً لرسالة الخليفة ثم أعطاه ثلاثين ألف دينار، وعشرون ألف للخليفة وعشرة آلاف لأعوانه ومشرفيه[3].

لكن لا يخفى ان هناك توتر في العلاقات بين الخلافة والسلاطين السلاجقة بسبب النزاع الذي قام بينهم وبين البويهيين، نتيجة احتكاك السلاجقة بمناطق النفوذ البوبهي، وقد ترتب على هذا إلحاق الأضرار بالمدن والسكان، فتدخل الخليفة مستنكرا أعمال السلاجقة وطالبهم بوضع حد لانتهاكاتهم هذه وضرورة الالتزام والاستقامة في السيرة[4].

وذكر ابن الأثير رسالة تتضمن إشارة إلى تدخل الخليفة لإقرار الصلح بين السلاجقة والبويهيين منها قوله: ((أرسل الخليفة القائم بأمر الله أقضى القضاة... الماوردي الفقيه الشافعي إلى السلطان طغرلبك قبل وفاة جلال الدولة، وأمره أنْ يقروا الصلح بين طغرلبك والملك جلال الدولة وأبي كاليجار [5] وعاد الماوردي سنة 436هـ/ 1044م واخبر عن طاعة طغرلبك الخليفة وتعظيمه لأوامره ووقوفه عنده [6]))، وذكر الراوندي نصا يمكن ان يستشف من خلاله التقارب والتطور في العلاقات بين الخليفة والسلاجقة عام 437هـ/1045م ويمكن أن نستدل عليها من خلال الاتصالات التي تمت في ذلك العام. حيث يقول: ((فلما وصلت رسالة السلاجقة إلى دار الخلافة أرسل أمير المؤمنين القائم بأمر الله إلى طغرلبك في مدينة الري رسولا مع هبة الله بن محمد المأمون وزوده بالرسائل الطيبة))[7]، وكان الخليفة يختص هبة الله بوده وإخلاصه، فأمره

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص233.

[2] عميد الرؤساء: هو الوزير أبو طالب محمد بن أيوب، المنتظم، ج8، ص175.

[*] جرجان: مدينة مشهورة بين خرسان وطبرستان، تم فتحها أول من بناها يزيد بن المهلب بن أبي صفره على يد سويد بن مقرن وتسمى بغداد لأنَّ أهلها يمتازون بالتسري والتمري والتنظف والتلطف مثلهم أهل بغداد ياقوت الحموي معجم البلدان ج2، ص119-122.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص233.

[4] حسن، مقاومة الخلافة، ص41.

[5] أبي كاليجار: هو ابن سلطان الدولة، ابي شجاع بن بهاء الدولة البويهي، انظر، ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص139.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص522.

[7] الراوندي، راحة الصدور، ص168.

أن يتقرب من طغرلبك حتى يحضره الى بغداد ولكن هبة الله أقام لدى طغرلبك ثلاث سنوات لانه كان مشغولا بفتح نواحي الولايات ولم يفرغ لزيارة بغداد[1].

ومن خلال ذلك يمكن أن نستنتج أنّ الخليفة القائم بأمر الله أصبح يفكر جديا بالاستعانة بالســـلاجقة لعدم ارتياحه لما كان يدور حوله في بغداد من أعمال للبويهين، مقارنا بما كان يبديه السلاجقة من طاعة واحترام تجاه الخلافة، ويمكن أن نعد هذا التطور في العلاقات نجاحا لسياسة الســـلاجقة الهادفة إلى امتلاك ميل الخليفة نحوهم ومما يعزز هذا الرأي ما أمر به الخليفة القائم بأمر الله ((بان يخطب باســم طغرلبك على منابر بغداد وان ينقشــوا اســمه على الســكة ولقبوه: الســـلطان ركن الدولة أبو طالب طغرلبك بن محمد يمين امير المؤمنين... وذكروا بعد اســـمه الملك الرحيم أبي نصر...))[2].

وكان هذا على الأرجح عام 440هـــ/1048م حيث امتنع عن منحه هذا اللقب وقال لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله، ثم وافق عليه بعد ذلك رغم إرادته[3].

وفي عام 443هـــ/1051م ارسل السلطان طغرلبك وفدا إلى بغداد حمله رسالة تضمنت شــكره للخليفة القائم بأمر الله على ما انعم عليه من الخلع والألقاب وحمل هذا الوفد الهدايا تعبيرا عن شـــكر وامتنان طغرلبك، منها عشـــرة آلاف دينار عينا وهدايا نفيســـة من الجواهر والثياب والطيب وغير ذلك، بالإضــافة إلى حمل الوفد خمســة آلاف دينار للحاشــية وألفي دينار لرئيســي الرؤســاء[4]، وقد تم اســتقبال الوفد بحفاوة، إذ أمر الخليفة إكرامه وانزل أعضــاءه في باب المراتب [5]، وهذا ما كانت عليه العلاقة بين الخلافة العباســية والســلاجقة قبل دخولهم بغداد وكان الهدف منها لكســـب الفرصـــة المناســـبة لتحقيق طموحات الســـلاجقة والتخطيط من اجل دخول بغداد والسيطرة عليها أما الخلافة فكانت غايتها من ذلك تتخلص من السيطرة البويهية واكتسـاب حرمة الشعب والبلاد وخلاصها من الاحتلال الأجنبي.

المبحث الثاني

---

[1] الراوندي، راحة الصدور، ص168–169.

ابن الأثير، الكامل، ج8، ص522. وذكر أن مدة بقاء رسول الخليفة سنة واحدة وهو التاريخ الاكثر صحه. كما ذكرناه في الفصل السابق.

[2] الراوندي، راحة الصدور، ص169.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص228. للتفاصــيل ينظر، الخالدي: فاضــل، الحياة الســياســية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس، ط1، (القاهرة– 1388هـ/ 1969م)، ص217.

[4] رئيس الرؤساء: هو أبو القاسم علي بن الحسن بن المسلمة، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص10، وابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص200.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص580. للتفاصـــيل ينظر، أمين: فوزي أمين يحيى، نظام الســـلطنة في الدولة العباسية، (موصل– 1984)، ص51.

العلاقات بين الخليفة القائم بامر الله والسلطان طغرلبك

(447هـ-455هـ/1055م-1063م)

القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر احمد بن الأمير إســـحاق بن المقتدر جعفر بن المعتضد أحمد بن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل الهاشمي بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه القادر في ذي الحجة 420هــــ[1]، استمر تبادل الرسائل والوفود بين الخلافة العباسية والسلاجقة حتى عام 447هـ/1055م كما ذكرنا سابقا فقد أرسل طغرلبك وفداً في هذا العام- قبل دخوله إلى بغداد يحمل رســـالة يبالغ فيها بإظهار الطاعة والعبودية للخلافة، ويعد الأتراك في بغداد بالجميل والإحسان[2].

وأعد طغرلبك العدة من اجل القضـــاء على البويهين، فاخبر قواده بإعداد الجيوش والتهيؤ لدخول العراق، وأعلن انه يريد التوجه إلى مكة المكرمة بقصد الحج وإصلاح طريق مكة المكرمة والمسير إلى الشام ومصر وإزالة المستنصر العلوي منها[3]، ولكن علاقات المراسلة بين الخليفة وطغرلبك ولاسيما الرسالة الأخيرة هي التي أوجدت الاستحسان وميل الخليفة إلى ملاقاة طغرلبك وتوجهه إلى بغداد[4]، وما كان على الخليفة إلاّ أنْ يمضـــي أياماً حتى اســـتدعى وزيره الكندري وطلب منه أن يتوجه إلى بغداد ويخبر الخليفة بقدومه إليه لان مصـــلحة الدين والملك تقضـــي بذلك، ولدفع المعتدين عنها، وحقا توجه الوزير إلى دار الخلافة والتقى بوزير الخليفة وعلم انه جاء برســـالة من طغرلبك إلى الخليفة فرجع عميد الملك مع وزير الخليفة الذي طلب منه التوجه إلى بغداد[5].

---

[1] الديار البكري، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس ج2، ص352.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص229-230، حسن، تاريخ الاسلام، ج4 ، ص10.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص70-71.

[4] الراوندي، راحة الصـــدور، ص166-167. للتفاصـــيل ينظر، ميســـون ، علاقة الخلافة العباســـية بدويلات المشـــرق، ص165 .

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص71.

ونتيجة للعلاقات الجيدة فقد كانت النوايا موحدة فالخليفة قد أرسل وزيره لمفاتحة طغرلبك بأمر قدومه إلى بغداد وفي الوقت نفسه أرسل طغرلبك وزيره الكندري بهذا الخصوص [1].

ويبدو أن الذي دفع الخليفة إلى هذا الأمر هو أن الخلافة كانت تمر بظروف حرجة نتيجة ضعف الأمير البويهي ولأنَّ البساسيري[*] قد استبد بالأمور ولم يبق للخليفة وللملك الرحيم سوى الاسم، وقد بلغ الخليفة ان البساسيري قد عزم على نهب دار الخلافة، وحقا نهبت دار الخلافة ببغداد[2]، فضلاً عن أنَّ البساسيري قام بمراسلة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وشجعه على دخول العراق وتولي الأمر بدلا من الخليفة العباسي وبهذا كان يخطط لقلب الخلافة العباسية إلى خلافة فاطمية[3]، وفي عام 447هـ/1055م تهيأت جيوش السلاجقة لدخول بغداد وانتشر خبر دخولهم بغداد بين الناس وكان لهذا الخبر وقع سيء على البويهين وهرب آخر ملوكهم (الملك الرحيم) مع البساسيري لكن الخليفة أرسل من يعلمه ان البساسيري خارج على الخلافة فانفصل عنه[4] واتفق الخليفة العباسي القائم بأمر الله والأمير البويهي على ضرورة التعاون مع طغرلبك وان يذكر اسمه في الخطبة ويذكر بعده اسم الملك الرحيم لتكون الدولة البويهية تابعة للدولة السلجوقية[5]، وقد أرسل طغرلبك عند وصوله النهروان إلى الخليفة العباسي يستأذنه بدخول بغداد فأذن له فخرج للقائه كبار رجال الدولة والقضاء والأشراف والنقباء والشهود والخدم واعيان الدولة وأرسل الخليفة له رسالة مع رئيس الرؤساء يأخذ فيها عهد الأمان للخليفة

---

[1] ميسون هاشم، علاقة الخلافة، ص165.

[*] البساسيري: هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري قائد جند الأتراك في بغداد، وكان من مماليك بهاء الدولة، وكان مملوكاً لرجل من اهل مدينة بسا اوبساسير بالقرب من مدينة شيراز ونسب اسمه إلى هذه المدينة وكان مقدما كبيرا عند الخليفة القائم بأمر الله لا يقطع أمرا دونه، وخطب له منابر العراق كلها ثم طغى وتمرد وخرج عن الخليفة والمسلمين ودعا إلى خلافة الفاطميين. ابن ميسر: محمد بن علي بن يوسف بن حلب، أخبار مصر،ج2، صححه هنري ماسيه، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية (القاهرة– 1919)، ص11.

[2] الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج3، ص212، ودول الإسلام، ص263.

[3] السيوطي: عبد الرحمن بن ابي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة السعادة، (مصر–952)، ص417–418، ابن الكازروني: علي بن محمد، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد،(بغداد– 1970)، ص204، ابن ميسر، أخبار مصر،ج2، ص7.

[4] المقريزي، السلوك، ج1، ص33، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص20، والحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص18–19.

[5] الراوندي، راحة الصدور، ص169، للتفاصيل ينظر، ميسون، علاقة الخلافة العباسية، ص166.

وللملك الرحيم وأمراء الجند[1]، ويرجح أنَّ موافقة الخليفة جاءت لقناعته بعدم جدوى رفضه مع انه كان عديم الاقتناع بالموافقة كما كان عديم الاطمئنان لطغرلبك بدليل انه أرسل وزيره ورئيس الوزراء مع مجموعة كبيرة من الأعيان إلى طغرلبك الذي وصل إلى النهروان، يستحلفه بالطاعة والولاء للخليفة وبالأمان للملك الرحيم البويهي وبقية الامراء[2]. ويذكر ابن الجوزي بان طغرلبك قد حلف بذلك كله[3]، ثم سار طغرلبك بعد ذلك نحو بغداد فدخلها في 25رمضان/447هـ/1055م ونزل بباب الشماسية[4] وانتشر جند السلاجقة في بغداد[5]، وعمل طغرلبك على تدعيم الوجود السلجوقي في بغداد، فسرعان ما اعتقل الملك الرحيم البويهي وأصحابه وصادر أملاكهم وأموال الجند الأتراك[6]، وأزال أي وجود أجنبي آخر غيره في بغداد[7].

غير أنْ مواقف السلطان السلجوقي طغرلبك وجميع السلاطين لم تختلف كثيرا عن سابقيهم البويهيين، ولذلك لم يرحب بهم أهل بغداد، وإنما ثاروا بوجه السلاجقة وجرت مذابح وسقط جرحى وشهداء، فاستاء الخليفة وأرسل إلى السلطان يخبره ما جرى من ذبح ونهب في بغداد[8] وهدد بترك بغداد قائلا: ((إني إنّما اخترتك واستدعيتك اعتقادا مني إنّ تعظيم الأوامر الشريفة يزداد، وحرمة الحريم تعظم، وارى الأمر بالضد))[9]، فاستجاب السلطان لأمر الخليفة محاولا تهدئة الحال ومؤكدا رغبته في كسب ود الخلافة بعقد زواج أرسلان خاتون ابنة أخ طغرلبك على الخليفة القائم بأمر الله، غير ان هذا الزواج السياسي لم يمنع الخليفة ولا سكان العراق من إعلان عدم ولائهم بالسلطان الجديد[10]، ويبدو فيما بعد أن العلاقة تحسنت بين الخليفة والسلطان إلى درجة أنَّ الخليفة خاطبه على لسان وزيره قائلا: ((إنَّ أمير المؤمنين شاكر لسعيك، حامد لفعلك مستأنس بقربك وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاد ورد عليك مراعاة عباده، فاتق الله

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج9، ص290، ابن تَغْرِيَ بَرْدِي، جمال الدين أبو المحاسن الاتابيكي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،ج5، المؤسسة العربية للتأليف والنشر والطباعة، (القاهرة، ب ت) ص57، والذهبي، دولة الإسلام، ص263.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص71.

[3] المنتظم، ج8، ص164.

[4] باب الشماسية: محلة انشئت في شمال محلة الرصافة ومحلة أبي حنيفة تدعى الشماسية واليها ينسب باب الشماسية. د.جواد: مصطفى، ود سوسه، احمد، دليل خارجة بغداد، خطط بغداد قديماً وحديثاً، (مطبعة المجمع العلمي- 1958م)، ص109.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص71.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص72.

[7] كريمة، المقاومة العربية للاحتلال السلجوقي، ص17.

[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص71، للتفاصيل ينظر، مجموعة مؤلفين: العراق في التاريخ، ص444.

[9] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص72.

[10] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص72.

فيما ولاّك، واعرف نعمته عليك في ذلك، واجتهد في نشر العدل وكف الظلم وإصلاح الرّعية))[1]، فقبل السلطان الأرض، فأمر الخليفة أفاضة الخلع عليه فقام إلى موضع لبسها فعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينه ولقبه الخليفة بملك المشرق والمغرب، وأعطى العهد للخليفة فخرج وأرسل إلى الخليفة هدايا كثيرة[2].

ويبدو من خلال دراسة المصادر وتحليلها عن علاقة الخلافة بالسلاجقة أتضح أنَّ هناك تناقضاً في أهداف الإدارتين العباسية والسلجوقية جعل العلاقة طوال هذه المرحلة غير مستقرة ومتأزّمة بين قوى تطلب الاستقلال وتؤكد قيم الحرية والعدالة وقوى ظالمة تعمل على استعباد الناس وكبت حرياتهم[3]، وهذه العلاقة توضح لنا النوايا الغير سليمة للسلاجقة اتجاه الخلافة وتدخلهم في جميع الأمور ومحاولتهم للهيمنة على الخلافة من خلال قيامهم ببعض الأعمال لكسب ودِّ الخلافة وإبراز الأعمال اللطيفة من اجل إرضاء الخليفة والهيمنة على الخلافة وان من أهم هذه الأعمال هي فتنة البساسيري وأثرها على علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية فقد برز أحد قادة الجيش البويهي وهو القائد التركي أبو الحارث البساسيري[4]، الذي أصبح يتقدم في الخدمة والنفوذ حتى أصبح مقدم الأتراك في بغداد أيام الخليفة القائم بأمر الله[5] ويتضح أنَّ البساسيري قد أصبح الحاكم الفعلي في العراق قبل مجيء السلاجقة، وكان من الطبيعي أنْ يسفر هذا الوضع عن ظهور تنافس وصراع بين القيادات الطامعة في ظل غياب السلطنة الشرعية، يضاف إلى ذلك أنّ الخطيب البغدادي أشار إلى ظهور خلاف بين البساسيري والخليفة القائم بامر الله عام 447هـ/1005م، سببه المباشر ورود المعلومات الى الخليفة تشير إلى نية البساسيري في الإطاحة بالخلافة العباسية[6]، ووجود اتصالات بينه وبين الفاطميين وعزمه على نهب دار الخلافة[7]. والخلاف بين البساسيري وابن المسلمة وزير الخليفة، ونجاح الوزير في تحريض

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص80.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص80.

[3] مجموعة مؤلفين: المرجع نفسه، ص445.

[4] ابن ميسر،، تاريخ مصر، ج2، ص11، ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص84، ابن خلكان، وفيا الاعيان، ج1، ص76، ابن العميد، تاريخ المسلمين، ص176.

[5] المقريزي، اتعاظ الحنفا، اخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ، ج2، نشره جمال الدين الشيال (القاهرة، 1948م). ص232.

[6] الخطيب البغدادي: الحافظ ابو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد او (مدينة السلام)،(بغداد ب، ت) ج2، ص400.

[7] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص66، الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج2، ص400.

الخليفة على البســاســيري، فانحرف عنه ولم يمكنه المقام في بغداد[1]، ويلاحظ أنَّ اتصــالات البساسيري مع الفاطميين في مصر كان ظاهرها عقائديا إلاّ أنها كانت غطاء لأهداف سياسية فقد احتاج البساسيري إلى ركيزة يستند إليها لتقوية مركزه أمام خصومه السياسيين في بغداد، وليتخذ من هذه العلاقة وسيلة تهديد يلوح بها ضد الخلافة لكي لا تتمادى أكثر في علاقاتها مع السلاجقة[2] ومن جهة أخرى التقت المصالح السياسية للفاطميين مع البساسيري في محاولة لمنع امتداد النفوذ السلجوقي إلى العراق المحادد لبلاد الشام،، زيادة عن طموح الفاطميين لنشر نفوذهم في العراق، مقر الخلافة العباسية[3]، وقد قام ممثل الفاطميين المؤيد في الدين[4]، بنشاط سياسي لإحداث انقسام بين صفوف السلاجقة فاتصل بوزير طغرلبك يدعوه لخلع الخليفة العباسي، والدخول في طاعة المستنصر الفاطمي لكنه لم يفلح[5]، وقد استغل المؤيد فرصة الخلاف بين إبراهيم ينال وأخيه السلطان طغرلبك واتصل البساسيري بإبراهيم نيال يحرضه ضد أخيه طغرلبك، وتعهد له بإمداده بالأموال والسلاح لضمان نجاح حركته ضد أخيه طغرلبك، فطلب ينال الخلع والألقاب والأموال من الخليفة الفاطمي وتعهد بان يخطب للفاطميين بالخلافة والإمامة ويقدمها على خطبة أخيه فوافق المؤيد في الدين على ذلك ووعده بتلبية طلباته، فغادر إبراهيم ينال الموصل إلى بلاد الجبل سنة 450هـــ/ 1058م فاعلن العصيان على طغرلبك[6]، وبذلك تهيأ للبســاســيري والفاطميين فرصــة عظيمة كانوا ينتظرونها ويخططون لها منذ زمن[7]، وقد أدرك السلطان السلجوقي خطورة الموقف، بعد خروج أخيه وانحيازه إلى الفاطميين، فقرر على وضع حد لتمرد أخيه فدارت بينهما معركة كبيرة بالقرب من الري، انهزم على أثرها أخيه إبراهيم ينال ووقـــع فـــي

[1] ابن العبري: أبو القاسم على بن منجب، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: عبد الله مخلص، (القاهرة–1924)، ص43–44، وابن ميسر: أخبار مصر، ج2، ص7.

[2] حسن، مقاومة الخلافة العباسية، ص53، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص19–20.

[3] حسن، مقاومة الخلافة العباسية، ص53–54.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص175–176.

[5] الشيرازي: هبة الله، سيرة المؤيد في الدين، تحقيق: محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، (القاهرة–1949)، ص154–157.

[6] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص191.

[7] بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية. ص126.

الأسر فأمر السلطان بقتله في جمادى الآخرة سنة 451هـ/ 1059م[1]، أمّا البساسيري فقد انتهز فرصة رحيل السلطان طغرلبك عن بغداد وانشغاله في القضاء على حركة أخيه إبراهيم ينال، فزحف إلى بغداد حاملا الرايات المستنصرية[2]، التي كتب عليها (الإمام المستنصر بالله أبو تميم أمير المؤمنين)[3]، ورافقه قريش بن بدران أمير بني عقيل في مائتي فارس[4]، وتمكن من دخول بغداد في 8 ذي العقدة سنة 450هـ/ 1058م وأمر البساسيري أنْ يخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله بجامع المنصور[5]، وبذلك انقطعت الخطبة عن الخلافة العباسية لأول مرة من منابر بغداد[6]، وبذلك ضعفت سلطة الخليفة القائم بأمر الله مما اضطره إلى طلب الأمان من قريش بن بدران فأمنه، فاستاء من ذلك البساسيري وأرسل إلى قريش بن بدران يعاتبه على ذلك واتفقا على ان يذهب قريش بن بدران بالخليفة العباسي إلى داره ويذهب البساسيري برئيس الرؤساء وزير الخليفة[7]، وبعث قريش بن بدران بالخليفة مع ابن عمه الأمير يحيى الدين مهارش بن المجلي العقيلي (هو من بني عم قريش بن بدران كان رجلا فيه دين وله مروءة [8])، إلى حديثة عنه حيث انزله بها مع حريمة وحاشيته[9]، وبقى الخليفة عند مهارش حولا كاملا وليس معه احد من اهله، فحكي عن الخليفة انه قال: ((لما كنت بحديثة عانه قمت ليلة الى الصلاة فوجدت في قلبي حلاوة المناجاة[10]))، ثم دعوت الله عز وجل بما سنح لي، ثم قلت: ((اللهم أعدني إلى وطني، واجمع بيني وبين أهلي وولدي،

---

(1) ابن كثير، البداية النهاية، ج12، ص79، ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص364، للتفاصيل ينظر، الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص19، واحمد شلبي، التاريخ الإسلامي، ج4، ص59–60، والبنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص15.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص190–191، للتفاصيل ينظر، اليزدي، العراضة ، ص40، المعاضدي، ألجميلي، تاريخ الدويلات، ص09

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص191، ابو الفداء، المختصر من أخبار البشر، ج2، ص177.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص225–226، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص77.

(5) ابن ميسر، أخبار مصر، ج2، ص10، الخطيب: البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص400–401.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص196. اليزدي، العراضة في الحكاية السلجوقية، ص41.

(7) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص9.

(8) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص78.

(9) ابن طباطبا: الفخري، ص256، ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج2، ص177–178.

(10) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 78.

ويسر اجتماعنا، واعد روض الإنس زهراء، وربع القرب عامراً وفلفل العزا وبرج الجفاء))[1] قال: ((فسمعت قائلا على شاطي الفرات يقول: (نعم ، نعم) فقلت: هذا رجل يخاطب آخر، ثم أخذت في السؤال والابتهال ثم سمعت ذلك الصائح يقول: (إلى الحول إلى الحول) فقلت انه هاتف أنطقه الله بما جرى الأمر عليه))[2]، وكان كذلك فانه خرج من داره في ذي القعدة من سنة 450هـ/ 1058م ورجع إليها في ذي العقدة من سنه 451هـ/ 1059م[3]، ويوصف القائم بأمر الله حالة في حديثة عانه من خلال شعره فهو يقول:

ساءت ظنوني فيمن كنت آمله ولم يجل ذكر من واليت في خلدي
تعلموا من حروف الدهر كلهم فما أرى أحداً يحنو على حد
فما أرى الأيام إلا موعدا فمتى أرى ظفري بذاك الموعد
يومي يمر وكلما قضيته عللت نفسي بالحديث إلى غد
أقبح بنفس تستريح إلى المنى وعلى مطامعها تروح وتقتدي[4]

ولما فرغ السلطان طغرلبك من أمر أخيه ينال سارع في التوجه إلى العراق لاعادة الخليفة القائم بأمر الله إلى مقر خلافته في بغداد وهذا يدل على حسن العلاقة بين الخليفة والسلطان حيث انه أرسل إلى قريش بن بدران وتوعده انَّهُ إنْ لم يفعل ذلك وألا احلَّ به بأساً شديداً[5]، فكتب قريش إليه يتلطف به ويدخل عليه، يقول: ((أنا معك على البساسيري بكل ما أقدر عليه حتى يمكنك الله منه، ولكن أخشى أن أتسرع في أمر يكون فيه على الخليفة مفسدةً، أو يرد أمره الخليفة، أو تبدر أليه بادرة سوء يكون عليَّ عارها ولكن سأعمل على ما أمرتني به ما يمكنني، وأمر برد امرأة الخليفة خاتون إلى دارها وقرارها))[6]، ثم بعث قريش بن بدران إلى البساسيري رسالة يدعوه لعودة الخليفة القائم بأمر الله إلى داره وخوفه من جهة الملك طغرلبك، فقد قال له: ((انك دعوتنا إلى طاعة المستنصر الفاطمي، وبيننا وبينه ستمائة فرسخ، ولم يأتينا رسول أو أحد من عنده ولم يفكر في شيء مما أرسلنا إليه، وهذا الملك من ورائنا بالمرصاد وقريب منا، وقد جاءني منه كتاب يقول فيه:الآن قد

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص78.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص83.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ص58.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص78.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص85، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص78.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص81، اليزدي، العراضة، ص41.

سرت بنا المقادير إلى هلاك كل عدو في الدين ولم يبق علينا من المهمات إلا خدمة سيدنا ومولانا القائم بأمر الله أمير المؤمنين وإطلاع أبهة إمامته على ســرير عزه، ... وقد اقبلنا بجنود المشــرق وخيولها إلى هذا المهم العظيم ونريد من الأمير الجليل علم الدين أبانه النهج الذي وفق له وتعزو به، وهو أن يتم وفائه من إقامته وخدمته، في باب سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ...الخ))[1] ثم كتب قريش إلى مهارش بن مجلي الذي عنده الخليفة يقول له، ((إنَّ المصــلحة تقتضــي بتسـليم الخليفة الي، حتى اخذ لي ولك به أماناً))[2]، فامتنع عليه مهارش، وقال ((قد عزني البسـاسـيري ووعدني بأشـياء لم أرها، ولسـت بمرسـلة أليك أبداً، وله في عنقي إيمان كثيرة لا اعذرها))[3]. وكان مهارش رجلا صــالحا، فقال للخليفة: ((ان المصـلحة تقتضـي أنْ نسير إلى بلد بدربن مهلهل وتنظر ما يكون من أمر السـلطان طغرلبك، فإنْ ظهر دخلنا بغداد، وان لم يطهر نظرنا لأنفسنا، فاني أخشى من البساسيري إن يأتينا فيسعرنا))[4]، فقال له الخليفة، افعل ما فيه المصلحة فسار في الحادي عشر من ذي القعدة إلى أنْ وصــل قلعة تل عكبرا، فتلقته رســل الســلطان طغرلبك بالهدايا التي نفذها[5] وأدرك البســاســيري انه لا قبل له بمقاومته فرحل عن بغداد الى الكوفة في اليوم السادس من ذي القعدة من سنة 451هـ/1059م وكان الأمير مهارش العقيلي قد سار إلى بغداد وبصــحبة الخليفة القائم بأمر الله فبالغ الســلطان طغرلبك في الاحتفاء بقدومه إلى حاضـره الخلافة[6] ثم تبسـم وشـكر السـلطان طغرلبك الأمير قريش على حسـن ضـيافته للخليفة القائم بأمر الله[7]، ثم وجه السلطان العساكر في طلب البساسيري فأدركته في طريق

الكوفة، وكان عازماً على الهرب إلى الشــام بصــحته دبيس بن مزيد أمير الحلة[1] ودارت

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ابن كثير، ج12، ص87–82.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص82.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص82.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص82.

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص82.

[6] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص647، وابو الفداء، المختصر، ج2، ص178.

[7] الذهبي، دول الإسلام، ص261.

[1] ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 89–90، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص21.

معركة بأرض واسط بين السلطان طغرلبك والبساسيري وأصحابه فقتل بعض أصحابه وانهزم البعض الآخر عنه، ونجا البساسيري بنفسه على فرس فلحقه بعض الفرسان فرمى فرسه بنشابه فالقته على الأرض، فجاء الغلام فضربه على وجهه ولم يعرفه، وأسره واحد منهم يقال له كمسكين فحز رأسه، وانتهت المعركة بمقتل البساسيري وحمل رأسه إلى السلطان، فأمر السلطان بحمل رأسه إلى بغداد وأن يرفع على رأس رمح وأن يطاف به في المحال في ذي الحجة سنة 451هـ/1059م[2] ثم عظم نفوذ طغرلبك بعد هذه الانتصارات التي حققها ضد أعدائه وأعداء الخلافة، فاستتب له الأمر في العراق، ولقبه الخليفة بلقب جديد هو (ركن الدين)[3] فأصبح لإخماد هذه الفتنة أثرًا كبيراً على العلاقة بين السلاجقة والخلافة العباسية وترتب على أثر هذه المعركة نتائج مهمة تركت آثارها على صعيد العلاقات بين الخلافة العباسية والسلاجقة من جهة والفاطميين من جهة أخرى، إذ فقد الفاطميون فرصتهم الأخيرة بعد فشل حركة البساسيري ومقتله، وانحسر نفوذهم في مصر[2]، حيث قوي وكبر وعظم نفوذ طغرلبك بعد انتصاره على البساسيري فاستتب له الأمر في العراق وأصبح أكثر سيطرةً وهيمنةً على الخلافة وأقاليم الدولة العباسية مع إضمحلال واضح لدور الخليفة القائم بأمر الله وضعف مكانته أمام السلطان السلجوقي[4]، وفقد دوره تماماً في إدارة شؤون ألدوله، فضلا عن أنَّه فقد حق التصرف في تحديد ممتلكاته وأمواله وبات يعيش على ممتلكات اقطاعاته. ثم تحديدها من قبل السلاجقة لسد احتياجاته[5].

ولكن استعادت بغداد بعض مكانتها بعد إعادة الخليفة إليها، فكانت العاصمة الروحية إذْ يعيش فيها الخليفة متمتعاً بسلطاته الدينية، أمّا السلطة السياسية، فكانت في

---

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص83، وابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص321، ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص81.

(3) الراوندي، راحة الصدور، ص175، و JJ Saundrs Ahistory of medicual 1, Salam, p, 147

(4) الراوندي، راحة الصدور، ص175-176. للتفاصيل ينظر، حسن: حسن إبراهيم وحسن: علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام، مطبعة الرسالة، ط2 (مصر-1959) ص452.

(5) الراوندي، راحة الصدور، ص 175-176، حسن إبراهيم، علي، التاريخ الإسلامي العام، ص452.

عاصمة السلاجقة نيسابور أولاً ثم الري، كما كانت أصفهان عاصمة لبعض سلاطين السلاجقة وكذلك مرو[1].

وربما كان انفراد الخليفة ببغداد مع إجلال السلاطين واحترامهم له هيّأ له صورة من النفوذ، وأعاد له ما كان قد فقد من قبل من هيبة وإجلال[2]، ثم سعى طغرلبك بعد ذلك إلى تدعيم سلطانه السياسي يكسب شرعي حيث أراد أنْ يوثق علاقته بالخليفة العباسي أكثر فزوجه من بنت أخيه جغري بك داود واسمها أرسلان خاتون بنت داود بن ميكائيل[3]، وقصد بذلك تعظيمه والتبجيل ولئلا يجد الأعداء بهذه الوسيلة إلى قطع المودة بينهما[4].

وفي يوم الخميس 22/محرم 448هـ عقد الخليفة على خديجة بنت أخي السلطان طغرلبك على صداق مائه ألف دينار، وحضر العقد وزير طغرلبك وقاضي القضاة الماوردي ورئيس الرؤساء ابن السلمة[5].

وفي شهر شعبان ذهب رئيس الرؤساء إلى الملك طغرلبك وقال له: أمير المؤمنين يقول لك قال الله تعالى: **((إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا))**[6]، وقد امرني أن انقل الوديعة إلى داره فقال: السمع والطاعة فذهبت أمُّ الخليفة لدار الملك لاستدعاء العروس، فجاءت معها وفي خدمتها الوزير عميد الملك والحشم فدخلوا داره ورأى الوزير الخليفة وسأله الخليفة عن السلطان طغرلبك عمها، وسأله اللطف بها والإحسان إليها. فلما دخلت عليه قبلت الأرض مراراً بين يديه فأدناها إليه وأجلسها إلى جانبه وأفاض عليها خلعا سنية وتاجاً من جوهر ثمين، وأعطاها ثوباً ديباجاً، وقصبات من ذهب، وطاسة ذهب قد نبت فيها الجوهر والياقوت، وأقطعها في كل سنة من صياغه ما لا يقل عن اثنا عشر ألف دينار[7] وهكذا عظم دست الخلافة لطغرلبك بتزويج الخليفة بابنة أخيه أرسلان خاتون، وان هذا الزواج هو محاولة من السلاجقة لمعالجة الفتور الذي طرأ على العلاقات بينهما وتذمر الخليفة واستنكاره لتجاوزات عسكر طغرلبك

---

[1] شلبي، التاريخ الإسلامي، ج4، ص61.

[2] شلبي، التاريخ الإسلامي، ج4، ص61.

[3] دائرة المعارف الإسلامية، مادة سلجوق، ص28.

[4] ابن العماد الحنبلي: عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج3، مكتبة القدس، (القاهرة، ب ت)، ص277.
سبط الجوزي، مرآة الزمان، ص2 ، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص10-11.

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص67.

[6] سورة النساء، الاية (58).

[7] الذهبي، دول الإسلام، ص263.

على الشـعب[1]، وهكذا كان الزواج من بنات السـلاطين فذلك شـيء معتاد، لأنَّ بني العباس قد اتخذوا زوجات من كثير من الأجناس والألوان، ولكن الشيء الذي حدث في عهد السلاجقة وكان غير عادي هو زواج سلاطين السلاجقة من بنات الخلفاء[2]، وهذا ما حدث عام 453هـ/ 1061م بعد ان زوج السلطان طغرلبك ابنة أخيهِ للخليفة واستتبت الأمور لطغرلبك رغب في توطيد صلته بالبيت العباسي فأراد مصاهرة الخلفية القائم بأمر الله[3]، حيث انه أرسل يطلب لنفسه بنت الخليفة فكلف وزيره أبا نصـر الكندري للقيام بهذه المهمة[4]، وكان في هذه الخطوة ما يشـير إلى طموح السـلاجقة الكبير لنقل السلطة إليهم عن طريق النسب العباسـي، إلاّ أنَّ الخليفة العباسـي رفض وهدد بترك بغداد[5] وروت كتب التاريخ كيفية فزع الخليفة عندما سمع هذا الطلب ((وندب للجواب أبا محمد ابن التميمي للاستعفاء لأنَّه لم تجرِ به سنة الخلفاء)) ولكن الاستعفاء لم يقبل، وأجاب الكندري عليه بقوله: ((إنَّ الاستعفاء لا يحسن مع رغبة السلطان وضراعته بالسؤال))[6] إلاّ إنَّ طغرلبك استخدم أسلوب القوة والضـغط لإجبار الخليفة على الموافقة إذ انَّه قطع المؤنة وضـيق الخناق على عمال الخليفة وأوقف أرزاقهم، فاضـطر الخليفة القائم بأمر الله عند ذلك إلى إجابة طلبه وقبل المصـاهرة[7] لكنه طلب مهراً كثيراً كهيئة الفرار أو عدم الموافقة أو التهرب من ذلك. فطلب ما كان لزوجته التي توفيت من الاقطاعات بأرض واسـط، وثلثمائة ألف دينار، وان يقيم السلطان ببغداد لا يرحل عنها ولا يوما واحدا، فوقع الاتفاق على بعض ذلك[8]. وأرسل إليها بمائة ألف دينار مع ابنة أخيه داود زوجة الخليفة، وأشـياء كثيرة من آنية الذهب والفضـة، والجواري، ومن الجواهر ألفين ومائتي قطعة من ذلك سبعمائة قطعة من جوهر،

وزن القطعة ما بين الثلاث مثاقيل الى المثقال، واشـياء اخرى[1]، فتمنع الخليفة لفوات بعض

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص169.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص92.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص92، للتفاصيل ينظر، شلبي، التاريخ الإسلامي، ج4، ص67.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص67، للتفاصيل ينظر، الشلبي، التاريخ الإسلامي، ص67.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص92،ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص86.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص92. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص86، البنداري، تاريخ آل سلجوق، ص18.

[7] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص 276. الراوندي، راحة الصدور، ص176-177.

[8] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص86.

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص86.

الشروط، فغضب عميد الملك الوزير لمخدومه السلطان، وجرت شروط طويلة اقتضت أن أرسل السلطان كتاباً يأمر الخليفة بانتزاع ابنة أخيه السيد أرسلان خاتون ونقلها من دار الخلافة إلى دار السلطنة، حتى تنتهي قضيه زواجه من ابنه الخليفة. فعزم الخليفة على الرحيل من بغداد فانزعج الناس لذلك[2]، ولكنه لم يخرج فأحب داره والمقام مع أهله[3]، وجاء كتاب السلطان إلى رئيس شحنة بغداد يأمره بعدم المراقبة وكثرة العسف في مقابلته ورد اصحابة بالحرمان ويعزم على نقل الخاتون إلى دار السلطنة، وأرسل من يحملها إلى البلد الذي هو فيه، كل ذلك اغضب الخليفة[4]، وذكرت كثير من المصادر تذمر طغرلبك وشكواه من قلة وإنصاف الخليفة، وعدم موافقته له ويذكر ما أسداه إليه من الخبر والنعم إلى ملوك الأطراف وقاضي القضاة الدامغاني[5]، إذ يقول: ((هذا جزائي من الإمام القائم وقد قتلت أخي، يشير إلى أخيه إبراهيم ينال الذي قتله السلطان عندما خرج عليه سنة 450هـ/ 1155م في طاعته ووهبت عمري لساعته وأنفقت أموالي في خدمته، وطلبت فقري لثروته فما باله ما يبالي برد قولي وقال بردي ورد قصدي))[6] وفي سنة 454هـ/ 1159م فيها ألحَّ السلطان طغرلبك على القائم بأمر الله حتى زوَّجهُ بابنته على مضض[7]، فقد وافق الخليفة القائم بأمر الله على طلبه في المصاهرة مضطراً[8]. وأجابه على ما سأل، فلما وصل ذلك إلى السلطان فرح فرحاً شديداً، وأرسل إلى نوابه أن يطلقوا أملاك الخليفة بعد أن تم الصلح بينهم[9] ((حيث توجه السلطان طغرلبك من بغداد إلى تبريز وترك عميد الملك في بغداد ليخطب ابنة الخليفة بوكالة منه، فارتبطت اطناب خيام السلطنة بهذه الوسيلة بأوتاد الثبات والخلود وانسدت بهذه الظاهرة الطريق بوجه كل معارضي طغرلبك ومنافسيه في السلطنة وقد أرسل الخليفة قاضي القضاة في بغداد مع ركب ابنته فاطمة إلى تبريز لتتم الخطبة))[10] فلما وصل ركبها إلى تبريز تهيأ القاصي والداني في المدينة وما حولها لاستقبالها فاستقبلها صغار الموظفين وكبارهم والموالي ولم يتركوا شيئا في استطاعته ان يفعلوه تعبيرا عن سرورهم وتم عقد القران في حفل غاص بالخواص والعوام حيث تلي عقد القران وابتهج السلطان بحصول هذا

---

[2] ابن كثير، البداية والنهاية،ج12، ص86.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص77.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص86.

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص87.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص93، البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص22-23.

[7] ابن الأثير، الكامل في التريخ، ج8، ص93، الذهبي، دول الاسلام، ص267.

[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص93، الذهبي، دول الاسلام، ص267 للتفصيل ينظر، ميسون هاشم ، علاقة الخلافة العباسية، ص127.

[9] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص87.

[10] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص94، اليزدي، العراضه في الحكاية السلجوقية، ص43.

المطلوب، وإنجاح هذا الامر المرغوب فيه واظهر السـرور وافتخر به، وكان يقول بيت شـعر فارسـي ترجمة، أملي هو أن أنجب ممن تشـبه في سـيرتها، فاطمة، عشـرة أبناء مثل الحسـن والحسين[1] وفي سنة 455هـ/ 1160م كان عرس طغرلبك بابنه الخليفة وأخذها معه إلى الري عاصمة دولته[2] ((فلما دخلت الدار أجلست على سرير مكلل بالذهب وعلى وجهها برقع، ودخل الملك طغرلبك فوقفا بين يديها وقبل الأرض، فلم تقم له ولم تره ولم يجلس حتى انصـرف على صـحن الدار، والحجاب والأتراك يرقصـون هناك فرحا وسرورا))[3]، وبعث لها مع الخاتون زوجة الخليفة عقدين فاخرين، وقطعه ياقوت حمراء كبيرة هائلة[4]، ((ودخل في الغد فقبل الأرض وجلس على سـرير مكلل بالفضـة بإزائها سـاعة، ثم خرج وأرسـل لها جواهر كثيرة ثمينة وفرجية منسـج بالذهب مكلل بالحب وما زال كذلك كل يوم يدخل ويقبل الأرض ويجلس على سـرير بأزائها، ثم يخرج عنها. ويبعث بالتحف والهدايا، ولم يكن منه إليها شـيء))[5]، وانه قد بلغ السبعين من عمره[6] ولمدة سبعة أيام ويقدم كل يوم في هذه الأيام طعاما هائلا[7]، وخلع في اليوم السـابع على جميع الأمراء، ثم عرض له سـفر فأصـابه مرض فاسـتأذن الخليفة في الانصـراف بالسيدة معه، ثم يعود بها فسمح له بعد رفض شديد فخرج بها وليس معها في دار الخلافة سوى ثلاث نسوه لخدمتها. وخرج السلطان وهو مريض ميئوس منه. فاستسلمت روحه للموت فتركت روحه دار الفناء إلى دار البقاء. ورجع موكب العروس إلى بغداد وقد عقد عليها ودفع مهرها لكنه لم يدخل بها[8]. لقد كانت هذه المصـاهرة هي الأولى من نوعها فلم يكن متعارف عليه أن يتزوج أحد السـلاطين من بنات البيت العباسـي إلاّ أنَّ طغرلبك خرق هذا النظام وتزوج بابنة الخليفة القائم بأمر الله وهذا الأمر لم ينله احد من ملوك بني بويه. مع قهرهم للخلفاء وتحكمهم فيهم [1].

وأصـبحت بين الخليفة القائم بأمر الله والسـلطان طغرلبك علاقات وثيقة فقد تبادل الرسـل فيما بينهم كما ذكرنا سابقاً والهدايا فذكر ابن الأثير[2]: ((إنَّ طغرلبك انفذ في سنة 443هـ/1051م

---

[1] اليزدي، العراضة، ص43.

[2] الذهبي، دول الإسلام، ص267.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص89.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص89. للتفاصيل ينظر، شلبي، تاريخ الإسلامي، ج4، ص68.

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص89.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص94- 95. للتفاصيل ينظر، د. فوزي: فاروق عمر، تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية – الإسلامية، ج1، 656هـ /1258/622م. مكتبة النهضة (بغداد- 1988)، ص323.

[7] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص89. للتفاصيل ينظر، اليزدي، العراضة، ص43.

[8] اليزدي، العراضة، ص43.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص30.الذهبي، تاريخ الاسلام، ج7، ص76.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص216.

رســـالة إلى القائم بأمر الله يشـــكره على ما أنعم إليه من الخلع والألقاب))[3]، وفي ســـنة 447هـ/1055م أمر أمير المؤمنين الخليفة القائم بأمر الله بالدعاء للسلطان طغرلبك على المنابر بعد أداء الفرائض، وان تتضمن الخطبة ذكر اسمه، وفي رمضان من هذا العام توجه إلى بغداد[4] فوصـــل إليها طغرلبك وقدم فروض الطاعة للخليفة وفقا للقواعد الشـــرعية فأكرمه الخليفة غاية الإكرام وانعم عليه بالخلع والهدايا الوفيرة[5] ونرى حين خرج السلطان للقاء الخليفة ووصل سرادق الخليفة قبل الأرض سـبع مرات بين يدي الخليفة، فاخذ الخليفة مخده فوضـعها بين يديه فأخذها الملك وقبلها ثم جلس عليها كما اشـار الخليفة، وقدم الى الخليفة حبل من ياقوت احمر كان لبني بوية اشتراه منهم بشيء كثير، فوضعه بيد الخليفة، ومائة ألف دينار، واخرج اثنتي عشرة حبة من لؤلؤ كبار وقال أرسلان خاتون زوجة الملك تخدم الخليفة[6].

أما الخليفة فكان جزاؤه لهذه الهدايا والاحترام دعا له الخليفة، وأهدى الخليفة للســـلطان سيفا كان معه، ولم يبق معه من أمور الخلافة سواه، واستأذن السلطان لبقية الجيش أنْ يخدموا الخليفة، فرفعت الأســتار عن جوانب الحركات، فلما شــاهدوا الأتراك الخليفة قبلو الأرض[7] وقد أهدى الســـلطان طغرلبك إلى الخليفة القائم بأمر الله مراكب كثيرة من أنواع الخيول وســـرادق وملابس، وأرسل ذلك مع الوزير عميد الملك الكندري ولما وصلوا إلى الخليفة أرسلوا بتلك الهدايا إليه، وقالوا: ((أخربوا السـرادق وليلبس الخليفة ما يليق به، ثم نأتي نحن ونسـتأذن عليه فلا يأذن لنـا إلا بعـد ســـاعـة طويلـة))، فلمـا فعلوا ذلـك دخـل الوزير من معـه فقبلوا

الأرض بين يديه واخبروه بسرور السلطان بسلامته، وبما حصل من العودة من بغداد[1]. ((وقد أمر الخليفة القائم بأمر الله بإهداء السلطان طغرلبك سبع خلع سود في زيق[*]، وتاج واحد اتخذ له بها مملكة الاقاليم السبع وشرف بعمامة مذهبة))[2]، مذهبة فجمع له بين تاجي العرب والعجم

---

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص223.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص70- 71، للتفاصـيل ينظر، لام بارتولد ، تاريخ الترك في آسـيا الوسـطى، ترجمة: أحمد سعيد سلمان، راجعه: إبراهيم صبري، (القاهرة- 1958)، ص107.

[5] اليزدي، العراضة في الحكاية السلجوقية، ص39.

[6] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص82-83-87.

[7] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص83.

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص82.

[*] زيق: القميص ونحوه جعل لـه زيقاً وهو يكف بـه جيب للقميص. الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، المعجم الوسيط، ج1، أخرجه إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، احمد حسن الزيات، محمد علي النجار، اشرف على طبعه، عبد السلام هارون، المكتبة العلمية (طهران، ب ت) ص411.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص95 .

وسمي بالمتوج والمعجم[3]، وقلد سيفا مطعما بالذهب ثم عاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينه وقلد سـيفا آخر كان بيد الخليفة فتم له بتقليد السـيفين تقليد ولايتي المشـرق والمغرب وخاطبة الخليفة بملك المشرق والمغرب وأعطى له العهد وخرج[4] وبعد هذا التقليد والهدايا أرسل طغرلبك الهدايا إلى الخليفة متضمنة خمسين ألف دينار وخمسين مملوكاً تركيا ومعهم خيولهم وسلاحهم وثيابهم[5].

ويتضـح من خلال ذلك أنَّ في عهد التولية هذا أنَّ الخلافة العباسـية منحت طغرلبك صـلاحيات كبيرة فولته أمور الدولة شـرقا وغربا ولكن مع هذا فقد كانت مراسـيم التولية وتقديم الهدايا لا تخلو من إظهار آيات الأبَّهة والعظمة للخلافة كسبا للرأي العام فضـلا عن أنَّ التقليد الآخر والمتبع هو إرسـال الهدايا من قبل السـلطان إلى الخليفة العباسـي، والخلافة تمنح الخلع والتقليد وذلك لأنها مرتبطة بها فلذلك عندما انفصـلت أقاليم المشـرق الإسـلامي عن الخلافة العباسية نراها لا تستطيع أنْ تستغني عن تأييد الخلافة ودعمها لها، ولم تكن هذه الدويلات ترى سلطانها شرعياً بدون اقترانه بموافقة الخلافة، وكانوا يتمسكون بالحصول على عهد التولية من الخلافة فلم يحاولوا أنٍ يقيموا سلطانها منفصـلاً عن الخلافة كليا ولو من الناحية الاسمية، على الأقل وكانت الخلافة ترسل لهم التقليد لأنها لم تكن في الغالب تستطيع مواجهة الدويلة الناشئة، فيصدر، عهد التولية إلى الأمير من قبل الخليفة العباسي لقاء التزامات كانت واجبة على الدويلة أن تقوم بها تجاه الخلافة[6]، وكذلك نجد أنَّ الخلافة تعتمد على اسـلوب ضـرب قوة بقوة أخرى، وكانت تقوم بإرسـال عهد التولية إلى القوه الجديدة[7]، ولذلك عندما دخل طغرلبك بغداد في عام 447هـ/1055م، قام الخليفة بإعطائه عهد الولية على جميع ما بيده من البلاد ودخوله النظر في أمور الرعية ومنحه لقب السـلطان[1]، اما الدويلات فكانت تحرص على الحصـول على عهود التولية من دار الخلافة والولاة يرسـلون في طلب عهود التولية من الخلافة مرفقة بالهدايا والخلع لكي يحصلون على التقليد منها[2].

ومن أهم مظاهر هذه العلاقات كذلك هي:

---

[3] البنداري، تاريخ آل سلجوق، ص14.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص72، البنداري ، تاريخ آل سلجوق، ص14.

[5] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص34، ابن كثير، البداية والنهاية، ص72.

[6] ميسون، علاقة الخلافة العباسية، ص97.

[7] الذهبي، دول الإسلام، ج1، ص172.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص633-634، ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص182.

[2] باريزتي، يعقوب بن الليث عن كتاب تاريخ سيبستان، لمؤلف مجهول، ص162-164. نقلا عن ميسون ، علاقة الخلافة العباسية، ص97.

1.الألقاب: أصبح للألقاب شأن في الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي فقد كثرت الألقاب وأصبحت الحاجة إلى تصفيتها وتنظيمها ضروريا[3]، ولا تعد الألقاب شرعية إلاّ بعد أنْ تصدر عن الخليفة وهي تدل أيضاً على سلطة الخليفة المركزية وتؤكد على استمرارها في ضبط الأمور[4]، وقد كثر منح الألقاب وأصبح لها مردود سلبي على الدولة العباسية وفي هذا الصدد يذكر البيروني بقوله: ((وبنوا العباس لما لقبوا أعوانهم بالألقاب الكاذبة وسووا فيها بين الموالي والمعادي ونسبوهم إلى الدولة بأسرهم ضاعت دولتهم فإنهم أفرطوا في ذلك حتى احتيج للقائم بحضرتهم إلى فرق بينه وبين غيرهم فثنوا التلقيب ورغب في غيرهم، وكان الراغب ينجح حاجته بالبذل وتنزاح علته بالأداء فاحتيج ثانية إلى الفرق بين هؤلاء وبين المختصين بحضرتهم فثلثوا له التلقيب والحقوا به الشاهنشاه وبلغ الأمر غاية التكليف))[5]، ونجد أنَّ السلاطين السلاجقة قد تجاوزا في اتخاذهم الألقاب التي تعكس قوتهم وسلطانهم من جهة وضعف الخلافة من جهة أخرى فنقشت ألقابهم على السكه وكتبت في المخاطبات[6].

فعند دخول طغرلبك بغداد عام 447هـ/1055م لقبه الخليفة بلقب السلطان فاصبح لقبا شرعيا له[7]، وكذلك عند دخوله بغداد لقبه الخليفة بلقب آخر وهو ركن الدولة يمين أمير المؤمنين[1]، وذكرنا سابقا حيث قلده الخليفة سيفين ولقبه ملك المشرق والمغرب واعطاه ثلاثة ألويه اثنين منها بكتائب صفر، والآخر مُذَهَّباً سمي لواء الحمد[2].

وفي عام 451هـ/1059م حضر الخليفة القائم بأمر الله إلى دار الخلافة فلما وصل الركب إلى قرية دار السلام ترجل السلطان طغرلبك من فوق جواده، ووقف خلف محفة الخليفة رعاية للادب واحترام للخلافة فأكرمه أمير المؤمنين، وأمر له بالتمكين وقال له اركب يا ركن الدين فركب طغرلبك وهذا هو أحد الألقاب الأخرى التي لقب بها السلطان طغرلبك من قبل الخليفة[3].

---

[3] الباشا: حسن ، الالقاب الاسلامية، (القاهرة– 1957)، ص59.

[4] مجيد، علاقة الخلافة العباسية بدويلات المشرق في القرن الثالث الهجري حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ص108. للتفاصيل ينظر: الباشا، حسن، الالقاب السلطانية، ص59.

[5] البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد، الاثار الباقية من القرن الخالية، مطبعة (ليبزك– 1887م)، ص 132.

[6] عبدالقادر: نزار محمد ، الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة العربية الاسلامية منذ تأسيسها وحتى سقوط بغداد– 1هـ–656هـ/622م–1258م رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب/ جامعة الموصل (الموصل– 1984)، ص261.

[7] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص262.

[1] نزار ، الجيش وتاثيراته في سياسة الدولة العربية، ص261، شلبي، التاريخ الاسلامي، ج4، ص58–59، ابن العمراني: محمد بن علي بن محمد، الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: جاسم السامرائي (لندن– 1973)، ص179.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص264–265.

[3] الراوندي، راحة الصدور، ص175، للتفاصيل ينظر، اليزدي، العراضة، ص42–43.

2.العلاقات المالية وإصدار النقود

النقود أو السكة هي الختم على الدنانير أو الدراهم المتعامل بها الناس بطابع حديد ينقش فيه صـــوراً أو كلمات مقلوبة فتخرج رســـوم تلك النقوش عليها ظاهرة مســـتقيمة ويكون التعامل بها عددا[1].

كان السـلطان هو صـاحب القرار في الإنفاق على الخليفة وذلك مما دعا الخليفة، أنْ يبعث وزيره إلى الســـلطان لمنحه المخصـــصـــات اللازمة، ولم يمتنع الســـلطان على ذلك بل جعل مخصصات إضافية تحت تصرف الديوان تنفق بأمر الخليفة نفسه[2]، ومما لا شك فيه أنَّ النقود تعد من أهم شارات الدولة ولها اتصال وثيق باقتصادياتها وسياستها وفيها تتجلى جميع الظواهر الســياســية فينعكس أســلوب إدارة الدولة وقد تتمتع بعضـــها في الســيطرة على غيرها بالخطبة

[1] ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، مقدمة ابن خلدون، المطبعة الأزهرية (مصر– 1348هـ/ 1930م) ص122.

[2] اليزدي، العراضة، ص42–43.

والسكة[3]، وبعد أنْ أوجد الخلفاء العباسيون دور الضرب في جميع الولايات التابعة لهم[4]، قاموا بوضع أسماء عمالهم على النقود بجانب أسمائهم وقد قام هؤلاء العمال بضرب اسم الخليفة في صدر النقش ثم اسم العامل المستقل باسم السلطنة لكي يميزه عن سواه[5].

وفي عام 447هـــ/1055م نجد أنَّ السلاجقة قد ضربوا سكة ظهر عليها اسم الخليفة واسم السلطان السلجوقي طغرلبك[6]، مما يدل على سيطرة السلاجقة على الأموال في بغداد زيادة عما يخطب لهم على المنابر [7].

وهكذا فان العملة تعد رمزاً آخر لعناصر الارتباط بين السلاطين السلاجقة والخلافة العباسية وان كانت ليس دليلا قطعياً على خضوع الدويلة القوية للخلافة الضعيفة[8].

وهكذا كانت عناصر الارتباط والعلاقات الودية بين الخلافة والسلطان السلجوقي طغرلبك ودور السلطان السلجوقي في صد الأخطار عن الخلافة ونشر الدين الإسلامي الذي اعتمد عليه كوسيلة لكسب رضا الخلافة من جهة ولكسب الرأي العام في العالم الإسلامي كله من جهة أخرى ولكن هذه العلاقات الودية لم تكن مستمرة لمدة طويلة من الزمن إذ أنَّ العلاقات بين طغرلبك والقائم بأمر الله لم تتحسن كثيراً على الرغم من زواج الخليفة العباسي القائم بأمر الله من ابنة أخ السلطان طغرلبك سنة 448هـ/ 1056م[1] فقد بقي السلطان السلجوقي أكثر من ثلاثة عشر شهرا دون أنْ يلتقي بالخليفة العباسي القائم بأمر الله[2]، إلى أنْ استجدت أحداث في أواخر عام 448هـــ/ 1056م عرضت الخلافة لأخطار كبيرة والتي ذكرناها سابقا ومنها مشكلة البساسيري وخروجه عن السلطة العباسية.

ولذلك لابد من ذكر العلاقات غير الودية بين الخليفة العباسي القائم بأمر الله السلطان من السلجوقي طغرلبك وتجاوزاته على الخلافة العباسية إذ انَّهُ ذو أطماع وتسلط لم يكن يردعها أي رادع ديني أو أخلاقي يقف أزاء تلك المحاولات لتدعم وجودهم في العراق وللوعود التي قطعوها للخليفة أو لغيره، فعند حدوث المصادمات بين أبناء بغداد وبين العساكر السلجوقية عند دخولهم بغداد سنة 447هـ/1055م[3]، وجه السلطان السلطان طغرلبك الاتهام إلى الملك الرحيم البويهبي،

---

[3] العزاوي: عباس ، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية (بغداد– 1985)، ص5–7.

[4] الدجيلي: خوله ، بيت المال بشأنه وتطوره، (بغداد– 1976)، ص175.

[5] الكرملي،انستانس ماري، النقود العربية، وعلم الكميات، تحقيق: محمد أمين، (بيروت، ب ت،دمشق، 1990) ص122.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص72.

[7] ابن طباطبا، الفخري، ص292.

[8] ميسون ، علاقة الخلافة العباسية، ص129.

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص169–170. للتفاصيل ينظر، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص17–18.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص71، للتفاصيل ينظر، الخالدي، الحياة السياسية، ص180.

[3] ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج2، ص33.

بتحريض الناس ضدهم، فكتب الى الخليفة يوضح له ذلك، واشترط حضور الملك الرحيم وأتباعه عنده لتبرئة ساحتهم، مانحهم ألامان[4]، فأجابه الخليفة على طلبه وأرسل الملك الرحيم ومن معه إليه، وأرسل معهم رسولا يبرئهم أمامه[5]، إلاّ أنَّ طغرلبك وبدلا من أن يفي بوعوده، قام باعتقال الملك الرحيم ومن معه بعد أنْ نهبهم جنده واخذوا كل ما معهم[6]، فلما علم الخليفة بذلك كتب إلى السلطان السلجوقي مستنكرا ذلك بقوله: ((إنهم إنما خرجوا إليك بأمري وأماني فان أطلقتهم وإلا فانا أفارق بغداد فاني إنما اخترتك واستدعيتك اعتقادا مني أنَّ تعظيم الأوامر الشريفة يزداد وحرقة الحريم تعظم وارى الامر بالضد))[7]، ولكن طغرلبك الذي كان عازماً على أنْ يكون هو صاحب القرار وان يحط من هيبة الخلافة، أمعن في الاعتداء وأصَّر على اعتقال الملك الرحيم، ومصادرة كل اقطاعاته وأمواله وأمر بإرساله إلى احد القلاع ومنها إلى الري حيث ظل معتقلاً بها إلى أنْ توفي سنة 450هـ/1058م[8].

وهناك تجاوزات أخرى ارتكبها طغرلبك ضد الخليفة القائم بأمر الله منها مطالبته بإنهاء مجلس العزاء الذي أقامه الخليفة بسبب وفاة ابنة ذخيرة الدين أبي العباس في ذي القعدة سنة 447هـ/1055م. اذا ارسل جماعة لتقديم التعازي بعد أربعة أيام من الوفاة، وحملهم رسالة تتضمن الدعاء والسؤال بالتقديم بالنهوض من مجلس العزاء، وتتضمن مطالبة الخليفة بمبلغ من المال[1].

إنَّ هذه الحادثة لا يمكن أنْ تكون قد حدثت بعفوية أو بقصد طلب الأموال فحسب، بل إنها حدثت بتخطيط مسبق بهدف الإساءة إلى الخليفة دون اعتبار لمشاعره ولحزنه الذي وصفه البنداري، قائلا: ((وبوفاته[أي ابن الخليفة] قامت قيامه القائم، فانه كان ولي عهده ولم يكون له سواه))[2].

وهذا جزء من سياسة طغرلبك، أزاء الخليفة القائم بأمر الله، التي تبدو متناقضة تماما، وأنَّ تلك السياسة تعكس ما يهدف إليه السلاجقة في إبقائهم للخلافة العباسية التي منحتهم شرعية وجودهم في العراق وشرعية توسعهم لاحتلال المناطق العربية الأخرى. فضلا عن أنَّ تلك

---

[4] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص72.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص72، النويري، نهاية الأرب، ج26، ص290.

[6] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص72، ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص 202،

[7] ابن الأثير: الكامل، ج8، ص78، النويري، نهاية الأرب، ج26، ص291.

[8] انظر: ابن الأثير، الكامل، ج8، ص78،72.

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص165.

[2] البنداري، دولة ال سلجوق، ص14.

السياسية تعكس من جهة أخرى حرصهم الكبير على أن يكونوا أصحاب السلطة الحقيقيين[3] وهذا ما يوضـــح لنا أنَّ طغرلبك أراد إضـــعاف ســلطة الخليفة دون التحرج من الولاء الذي عقده مع الخليفة، ولذلك نراه بعد أيام يرتكب أسوأ فعل ضد الخليفة نفسه حينما طلب رسول تكين ابن عم طغرلبك، شـفاعة الخليفة القائم بأمر الله بعد أن وقع أسـيراً في المعركة التي دارت بينه وبين احد أعوان طغرلبك[4]، حضـر تكين إلى دار الخلافة، وبعث الخليفة إلى طغرلبك يشفع لرسول تكين، إلاّ أنَّ طغرلبك رفض طلب الخليفة، قائلا: ((يجب تســليمه ليتحقق الناس منزلي وتتضـــاعف هيبتي))[5]انه لم يســتمع لطلب الخليفة الذي وجد نفســه مجبرا على تقييد شـفاعته بدار الخلافة بسبب مطالبة طغرلبك الذي لم يسبقه بمثلها احد[6]، وقد ذكر ابن الأثير ذلك إذ قال: ((كانت دار الخلافة أيام بني بويه ملجأ لكل خائف منهم من وزير وعميد وغير ذلك أمّا في الأيام الســلجوقية سلك غير ذلك وكان أول شيء فعلوه هذا))[7].

ثم واصل طغرلبك إساءاته للخليفة القائم بأمر الله، وأنَّ أشد ما لاقاه الخليفة على يد طغرلبك هو إجباره على تزويج ابنته منه كما ذكرنا ســابقا في علاقات المصـــاهرة[1]، وانتهت هذه العلاقة بوفاة السلطان طغرلبك بعد أن خرج من بغداد إلى بلد الجبل فوصل الري فمرض وتوفي فيها في رمضان سنة 455هــــ/1063م وكان عمره سبعين سنة ولم يلد ولدا، كانت سلطنته في حضره الخلافة سبع سنين واحد عشر شهراً واثني عشر يوماً[2]، ويذكر ابن كثير أنَّ عمره كان ثمانيين سنة عند وفاته[3].

---

[3] حلمي: احمد كمال الدين، السـلاجقة في التاريخ والحضـارة، دار البحوث العلمية، (الكويت– 1975)، ص108، امين، تاريخ العراق، ص135-137.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص80.

[5] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص80.

[6] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص80.

[7] الذهبي، دول الاسلام، ص267، ج8، ص80.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص92، ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص218، الغســاني: إســماعيل بن العباس، العســجد المســبوك والجوهر المحبوك في أخبار الخلفاء والملوك، مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي برقم 586 ج2، ق1، ورق28ب، تحقيق: محمود عبد المنعم وصــححه: علي الحاقاني، دار التراث الإســلامي- (بيروت، ب ت)، دار البيان، (بغداد- 1970).

[2] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص361/80، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص321.

[3] البداية النهاية، ج12، ص30.

المبحث الثالث

العلاقة بين الخليفة القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان

من 455هـ-465هـ/1063-1073م

بعد وفاة السلطان طغرلبك تولى أبو شجاع محمد ألب أرسلان داود السلطنة في رمضان سنة 455هـ/1063م[1]، فأخذت البيعةُ لهُ بعد وفاة عمه طغرلبك على الرغم من وصيته بالسلطنة إلى سليمان بن داود أخ ألب أرسلان لأبيه لأنَّ طغرلبك قد تزوج من أم سليمان بعد وفاة أبيه واتفقت الكلمة عليه، وقد خطب له أهل الجبل ومعه نظام الملك أبو على الحسن بن علي بن

[1] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص321 وزامباور: ادوارد فول، معجم الانساب والاسس الحاكمة في تاريخ الاسلامي، ترجمة: زكي محمد حسن وحسن حمد حمود وسيد اسماعيل كاشف وحافظ احمد حميدي، (دار الرائد العربي، بيروت- 1400هـ/1980م)، ص333.

إسحاق ووزيره[2]، فقد تولى ألب أرسلان سنة 451هــ/1059م بلاد خراسان بعد وفاة أبيه[3] وأنَّ عصر هذا السلطان يعد من عصور الخلافة العباسية الزاهية فقد كانت العلاقة بين السلطان ألب أرسلان والخليفة القائم بأمر الله حسنه منذ بدايتها[4]، حيث انه وطد علاقته بالخليفة القائم بأمر الله من خلال إدراكه أنَّ زواج عمه طغرلبك من ابنة الخليفة العباسي تم على غير رضا الخليفة[5]، وإنَّ من أسباب القبض على الوزير عميد الملك الكندري هو اشتراكه مع طغرلبك في حمل الخليفة العباسي على إتمام هذه المصاهرة[6]، فبادر ألب أرسلان في سبيل توطيد علاقته مع الخليفة وكسب رضاه إلى إرسال السيدة (ابنة القائم بأمر الله) إلى بغداد ومنحها خمسة آلاف دينار لتستعين بها في العودة[7] وأمر أنْ يكون بصحبتها قاضي الري ابو عمرو محمد بن عبد الرحمن وزوده برسالة الى الخليفة العباسي وقد رحب الخليفة العباسي القائم بأمر الله برسالة السلطان، وأمر أنْ يخطب للسلطان السلجوقي الب ارسلان في مساجد بغداد وان يكون لقبه ((السلطان المعظم عضد الدولة وتاج المله أبا شجاع ألب أرسلان محمد بن داود))[1]، وقد رد ألب أرسلان على انعام الخليفة عليه بهذا اللقب مبلغ من المال وبعض الهدايا إليه. منها عشرة آلاف دينار ومائتي ثوب بريسمية، وحواله مالية الى الناصر ببغداد بعشرة الاف دينار اخرى. وعشرة افراس، وعشرة ابغال[2]، واستمرت العلاقات الطيبة بين الجانبين وقام الخليفة في عام 456هـ/1063م بتقليد ألب أرسلان السلطنة[3].

---

[2] ابن كثير، البداية النهاية، ج12، ص89.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص83.

[4] ابن كثير ،البداية والنهاية، ج12، ص91.

[5] يحيى: فوزي امين، نظام السلطنة في الدولة العباسية، (الموصل، 1988) ص52.

[6] الحلبي: احمد بن محمد بن علي بن احمد الحلبي، ملخص تاريخ الاسلام الكبير للذهبي، مكتبة الاوقات، بغداد- مخطوطة رقم 5885، ج6، حوادث سنة 456هـ.

[7] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص234-235، ابن كثير البداية والنهاية، ج12، ص91. للتفاصيل ينظر، الخالدي، الحياة السياسية ، ص186-187.

[1] الحلبي: ملخص تاريخ الاسلام، ج6 ، حوادث سنة 456هـ، ص213، ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص234-235.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص234-235. للتفاصيل ينظر ،ادريس، تاريخ العراق والمشرق الاسلامي، ص118.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص35.

يضـاف إلى ذلك أنَّ الصّـلات الودية تتجلى بين الخلفية العباسـي القائم بأمر الله والسـلطان السـلجوقي ألب أرسـلان عندما قطعت الخطبة للخليفة المسـتنصـر بالله الفاطمي وأقيمت للخليفة القائم بأمر الله العباسي سنة 462هـ/1069م بمكة المكرمة فقد أعطى ألب أرسلان لرسول صاحب مكة المكرمة (ثلاثين ألف دينار) وأجرى له عشرة آلاف دينار بعد أن اخبره بإقامة الخطبة للخليفة العباسي وللسلطان بمكة المكرمة وإسقاط اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة[4]، وخلال الفترة التي حكم فيها ألب أرسلان (455–465هـ) لم يحدث ما يكدر صفوا العلاقة بينه وبين الخليفة العباسي بل كان السـلطان السـلجوقي يحرص على أنْ تظل علاقته مع الخليفة ودية وليس أدل على ذلك من أنَّ ألب أرسـلان كان يسـتجيب إلى كل ما يرغب الخليفة في تنفيذه، ففي سـنة 1069/463م انفذ إمبراطور الروم رسـالة إلى الخليفة العباسـي يطلب فيها من الخليفة أنْ يتوسـط في عقد هدنه بينه وبين السـلاجقة ولما عرض القائم بأمر الله وسـاطته على السـلطان بادر في قبولها وأجاب دعوته للصـلح[5]، وبعد أن أمِنَ ألب أرسـلان جانبة من ناحية الشـرق وتجنب مخاطر الدولة الغزنوية في غزنه والهند والدولة الخانية في بلاد ما وراء النهر، فارتبط بهما برباط المصاهرة فزوج ألب أرسلان ابنه ملكشاه بابنة طاقان ملك الخانيين، وزوج ابنة أرسلان شاه بابن صاحب غزنة.

وبذلك ارتبطت الدول الثلاث برباط المصاهرة[1]، فانصرف السلطان ألب أرسلان الى تحقيق اهدافه الكبرى في بلاد الشام والاقاليم المجاورة [2].

ثم رأى السلطان ألب أرسلان أنْ يبدأ بالسيطرة على حلب وشمالي الشام كي يحمي ظهره من الخطر الفاطمي قبل التوغل بارض الروم شمالا[3].

وكانت حلب تحت حكم الدولة المرداسية، وأميرها محمود بن صالح بن مرداس الكلابي وكان والده صالح الكلابي قد حكم حلب باسم الدولة الفاطمية. فلما علم الأمير المرداسي محمود بسير السلطان ألب أرسلان إلى بلاده، أعلن ولاءه للدولة العباسية وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان السلجوقي فأرسل الخليفة العباسي إلى محمود بن مرداس الخلع مع نقيب النقباء

---

[4] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص22.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص260–263، للتفاصيل ينظر، الخالدي: الحياة السياسية، ص188.

[1] الراوندي، راحة الصدور، ص198، للتفاصيل ينظر، السامرائي وآخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص221.

[2] الحلبي، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص594.

[3] العبادي، في التاريخ العباسي والاندلسي ، ص184.

طراد بن محمد الزيني فلبسها ومدحه الشعراء [4]، وبعد وصول السلطان ألب أرسلان الى حلب، حيث مندوب الخلافة طراد الزينبي لا يزال فيها، طلب منه الامير محمود ان يخرج الى السلطان السلجوقي ليعفيه من المثول بين يديه فخرج واخبر السلطان بان الامير محمود قد لبس خِلَعَ الخليفة القائم وخطب له وللسلطان، فأصَّر السلطان السلجوقي على حضوره فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على حلب وغلت الاسعار وعظم القتال فلما عظم الأمر على الأمير محمود. خرج ليلاً ومعه والدته منيعه بنت وثاب النميري. وأعلن طاعته للسلطان السلجوقي الذي خلع عليه، وأعاده إلى بلاده[5] ولم يكتف السلطان ألب أرسلان بالاستيلاء على حلب بل أرسل في نفس السنه (463هـ/1070م) أميراً تركياً اسمه (أتسزين أوق الخوارزمي) إلى فلسطين التي كانت تحت حكم الدولة الفاطمية، ففتح مدينة الرملة وبيت المقدس وما جاورها من مناطق ما عدا عسقلان، ثم قصد مدينه دمشق وحاصرها وضرب اعمالها وقطع المؤن عنها ولكنه لم يستطيع السيطرة عليها[6]، وهكذا يتضح من حركات الجيش السلجوقي في بلاد الشام انه كان يهدف إلى ضرب الفاطميين في بلاد الشام قبل التوجه شمالاً إلى جبهة البيزنطين[1].

وقد أغضبت فتوحات السلطان ألب أرسلان هذه إمبراطور الروم رومانوس ديوجينيس (Romanus Diogenes) الذي قاد في حماس بالغ إلى ميدان القتال كل رجل استطاع ان يجنده من الولايات الأوربية والآسيوية[2]، ثم قصد بلاد الشام والحق الهزيمة بقوات أمير حلب المرداسي ولكنه لم يستطيع تحقيق نصر حاسم فاضطر إلى التراجع[3]، فأدرك الإمبراطور خطورة الموقف فجمع جيشاً جراراً في نحو مئتي ألف مقاتل من جميع الأطياف وزحف شرقاً مخترقاً آسيا الصغرى حتى بلغ بلدة ملاذ كرد(Manzikert) شمال بحيرة وان (van) عند أرمينية، فتوقع ألب أرسلان لخطه العدو وانه قد بلغ أذربيجان في خمسة عشر ألف فارس فقط[4]، فتقدم حالا لوقف زحف العدو ولكنه أدرك انه من الصعب أن يقاتل جيشاً ضخماً، وأنَّ الصلح قد يكون خيراً له

---

[4] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص63.

[5] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص63–64، ابن خلدون المقدمة، ج5، ص3.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص64، للتفاصيل ينظر، العبادي، في تاريخ العباسي والاندلسي، ص185،فوزي: فاروق عمر، الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة، مطابع الخليج (الشارقة– 1985م)، ص80.

[1] للتفاصيل ينظر، السامرائي وآخرون، تاريخ الدولة العربية، ص222.

[2] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج10، ص65.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص65.

[4] الراوندي، راحة الصدور، ص189.

فأرسل رسولاً إلى رومانوس يدعوه إلى الصلح، لكن الإمبراطور أصَّر على الحرب ومواصله الزحف حتى يسيطر على مدينة الري عاصمة السلاجقة[5].

قرر السلطان السلجوقي مواجهة العدو، واختار بأنْ يكون اللقاء يوم الجمعة، وفي الساعة التي يكون فيها الخطباء على المنابر يدعون للمجاهدين بالنصر، وبذلك ألهبَ السلطان الحماس الديني في نفوس المجاهدين وكان قدوة لهم في الدعاء والتضرع إلى الله تعالى حتى نزل عن جواده، ومرغ وجهه في التراب خضوعاً لله تعالى وأكثر الدعاء، وهجم على جيش العدو بحماس كبير هو وجنوده المسلمين وفقد العدو آلاف القتلى والأسرى حتى الإمبراطور البيزنطي رومانوس وقع في الأسر وحمل إلى السلطان ألب أرسلان الذي عامله بكل كرم ولطف[6]، فافتدى الإمبراطور نفسه بمال كثير وعقد معه معاهدة مدتها 50 سنة. تعهد فيها الإمبراطور الروماني بدفع جزية للسلاجقة[7]، ولهذا تعد معركة ملاذكرد 463هـ/ 1071م والأراضي التي أخضعها قبلها ألب أرسلان قبلها نصراً كبيراً للسلاجقة باسم الخلافة العباسية ونتيجة للعلاقات الودية بين الطرفين، بعث الخليفة إلى السلطان السلجوقي ألب أرسلان رسالة يهنئه فيها بهذا النصر الذي أحرزه على الروم ولقبه فيها بأرفع الألقاب هي: (الولد، الأجل، سيد ملوك الأمم ضياء الدين، غياث المسلمين، ظهر الأيمان، كهف الأنام، عضد الدولة القاهرة، تاج الملة الباهرة، سلطان ديار المسلمين، برهان أمير المؤمنين)[1]، وبعد عودة الإمبراطور إلى بلاده، ثار عليه احد أعوانه وقبض عليه وسمل عينيه إلى أنْ مات، لكن خليفته اقر المعاهدة مع المسلمين السلاجقة، وبذلك صرف الروم نظرهم نهائيا عن آسيا الصغرى[2].

وتعد معركة ملاذكرد في عام 463هـ/1071م من المعارك الحاسمة في التاريخ، أحرزت نتائج سياسية وحربية من أهمها:

---

[5] حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص56.

[6] اجلس السلطان ألب أرسلان أسيره على عرش إلى جواره وعامله باحترام بالغ وزوج ابنه ملكشاه من ابنة رومانوس، وقد اقيمت احتفالات فخمة بزواج الأمير التركي بالأميرة، فامبري: ارمنيوس ، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة: احمد محمود الساداتي، مراجعة: يحيى الخشاب، (1872م)، ص137.

[7] ابن خلدون، المقدمة، ج3،47، ص471.

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص160–165، الراوندي، راحة الصدور، ص179، الحسيني: صدر الدين على بن ناصر، زبدة التواريخ، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد نور الدين، دار اقرأ (بيروت– 1986)، ص53.

[2] العبادي: احمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلس، ص187.

1. مهدت الطريق أمام جيوش المسلمين للتوغل في آسيا الصغرى، واقتطاع هذه الأقاليم الآسيوية من ممتلكات الدولة البيزنطينية لأول مرة، فقد وجه إليها السلطان ألب أرسلان ابن عمه سليمان بن قتلمش الذي استوطنها برجاله وأقام هناك دولة سلاجقة الروم [3].
2. كانت هذه المعركة من أهم الأسباب التي أدت إلى قيام الحروب الصليبية (حروب الفرنجة) التي بدأت عام 490هـ/1096م[4]، وذلك لان أخبار هزيمة الروم هذه أثارت مخاوف الدولة الأوربية. وعلى الرغم من العلاقات العدوانية بين روما والقسطنطينية، ألاَّ أنَّ الغرب الأوربي ينظر إلى الدولة البيزنطينية على إنَّها الحصن الأمامي الذي يحمي أوربا من خطر الشرق الإسلامي ومن ثم الغرب الأوربي أن يمد للقسطنطينية يد المساعدة.

وفي سنة 464هـ/ 1072م استجاب السلطان إلى طلب الخليفة العباسي بعزل شحنة بغداد اتيكين السليماني، وكان السلطان ووزيره نظام الملك قد أوفداه إلى بغداد فقصد دار الخلافة وسأل الخليفة العفو عنه، فلم يجب طلبه، واضطر السلطان إلى أنْ يرسل سعد الدولة كوهرائين بدلاً منه [1]. وتبادل السلطان السلجوقي ألب أرسلان والخليفة القائم بأمر الله الرسل والهدايا، وذلك تعبيراً عن عمق العلاقات الودية بينهما، فضلا عن أنَّ السلطان أرسل إلى القائم بأمر الله يستطلع رأيه في جعل ابنه ملكشاه ولي عهده فوافق الخليفة على تعيينه وأرسل وزيره عميد الدولة بن جهير إلى الري يحمل للسلطان السلجوقي وولده ملكشاه الخلع والعهد[2]، وان ما يدل على احترام (ألب أرسلان) للخليفة القائم بأمر الله من الحفاوة البالغة التي لقبها عميد الدولة بن جهير من السلطان السلجوقي ومن وزيره نظام الملك حين أنفذه الخليفة إلى نيسابور ليخطب ابنة السلطان الب ارسلان (سفري خاتون) لولي العهد المقتدي بأمر الله ولما تم عقد الزواج، أمر السلطان السلجوقي أن يبالغ في إكرام الوزير العباسي في مدينة أصفهان وهو في طريق عودته إلى بغداد[3]، وكان

---

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص109–110، السامرائي وآخرون: تاريخ الدولة العربية، ص224، ألعبادي، في التاريخ العباسي والاندلسي، ص187.

[4] شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج3، ص439.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص28–29، البنداري، تاريخ آل سلجوق، ص42.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص28–29. للتفاصيل ينظر، ألخالدي، الحياة السياسية، ص189.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص105، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص47.

وكيل الســـلطان نظام الملك ووكيل الزوج عميد الدولة ابن جهير وحين تم العقد نثر على الناس جواهر نفيسه[4].

ونلاحظ أنَّ ألب أرسلان رغم الاحترام الذي كان يظهر للخليفة العباسي في كثير من المناسبات، فانه حاول في سنه 464هـ/ 1072م ان يتدخل في تعيين احد الوزراء، وذكر البنداري ان السلطان الســلجوقي اختار أبا العلاء محمد بن الحســن وهو احد أفراد الحاشــية، وخلع عليه ولقبه بوزير الوزراء واقطعه النصف في إقطاع الوزير فخر الدولة بن جهير، ثم أرسله إلى بغداد ليكون وزيرا للخليفة العباســي القائم بأمر الله بدلا من الوزير فخر الدولة، وقد عد الخليفة القائم بأمر الله هذا لإجراء من جانب الســلطان تدخلا في أمور الخلافة فلما وصـــل وزير الوزراء إلى بغداد أمر الخليفة القائم بأمر الله بعدم الاحتفاء به، بالإضـــافة إلى انَّهُ امتنع عن مقابلته فجاء الوزير إلى حلة بني مزيد ولم يكتف الخليفة العباسي بذلك بل عبر عن غضبه من تصرف السلطان بطرد حاجبه أبي المعالي وهو اخو وزير الوزراء من دار الخلافة، فأصـــبح كما يقول البنداري[5] ((محجوباً بعيداً بعد أنْ كان حاجباً قريبا)). على أنَّ هذه الإهانة التي لحقت بالسلطان السلجوقي من الخليفة العباسي، فلم تثر غضبه، فضلا عن أنَّ السلطان لم يحاول أنْ يضغط على الخليفة القائم بأمر الله أو يهدده بتعيين وزير الوزراء بدلاً من فخر الدولة بن جهير، وهذا إنْ دل على شيء فإنما يدل على المكانة التي يكنها السلطان ألب أرسلان للخليفة القائم بأمر الله[1].

وفي سنة 465هـ/1073م توفي السلطان ألب أرسلان ابن داؤد ابن السلطان طغرلبك بن ميكائيل ابن سلجوق وله أربعون سنة وشهران إذْ قتل على يد أحد الثائرين[2] ودفن ألب أرسلان في مدينة مرو[3]، وبهذا لم يعش ألب أرســلان ليجني ثمار نصـــره العظيم، ويواصـــل فتوحاته،

---

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص105.

[5] البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص47، للتفاصيل ينظر، ألخالدي، الحياة السياسية، ص190.

[1] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص54.

[2] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص124. حيث عبر ألب أرسلان نهر جيحون في أوائل عام 465هـــ/ 1072م فهاجم احد القلاع الثائرة واستولى عليها وقبض على قائدها يسمى يوسف الخوارزمي ونظرا لما ابداه هذا القائد الثائر من عناء في المقاومة فقد رغب ألب أرسلان في قتله بنفسه فامر مثوله أمامه فحضر ورماه بسهم فاخطأ السهم وكان يوسف يخفي سكينا في ساقه فأخرجها فطعن ألب أرسلان وبعد اربعة ايام توفي، الذهبي، دول الإسلام، ص274، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص54، القرماني: أبي العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي، أخبار الدول وآثار الأول، ص 171-172.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص276.

ويحقق أهدافه البعيدة[4]، والواقع إنَّ عصر ألب أرسلان يعد من أهم عصور سلاطين السلاجقة لأنَّه استطاع أن يوطد دعائم دولتهم وان ترفع البناء حتى أصبح شامخاً يحس العالم في ذلك الوقت بوجوده، ويستشعر قوته وتماسكه وقد أبرز عهد ألب أرسلان قوة السلاجقة بالإضافة إلى أنَّهُ اظهر قوة العالم الإسلامي وجعلها مهابةً يحسب لها الرومان ألف حساب نتيجة التعاون وللعلاقة الطيبة والثقة العالية بين السلطان ألب أرسلان والخليفة المقتدي بالله[5].

المبحث الرابع
العلاقة بين الخليفة القائم بأمر الله والسلطان ملكشاه، 465-467هـ/1072-1074م

بعد وفاة السلطان ألب أرسلان سنة 465هـ/1072م خلفه في السلطنة ولي عهده ولده ملكشاه[1] [*]، وامتدت مملكته من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن وراسله الملوك في سائر الأقاليم حتى ملك الروم والخزر واللان[2].

---

[4] الراوندي، راحة الصدور، ص120-121.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10 ، ص29، الراوندي، راحة الصدور، ص120-121.

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص142. الراوندي، راحة الصدور، ص191. ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص276.

[*]ملكشاه: هو جلال الدين والدولة ابو الفتح ملكشاه ابن أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن إسحاق تقاق التركي، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص112-113، ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص276.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص142.

وبعث عدة كتب إلى الخليفة القائم بأمر الله يتأسف فيها على والده ويطلب تفويضا لحكم البلاد[3]، ويسأل ان تقام الخطبة له بالعراق وغيرها فقبل الخليفة ذلك وأقام الخطبة له[4]. وأقيم احتفال بهذه المناسبة حضره سعد الدولة كوهرائين رسولاً من قبل السلطان السلجوقي فسلمه الخليفة عهد السلطان، وأمر وزيره فخر الدولة أنْ يقرأ أوله وسلم إليه أيضاً اللواء بعد أنْ عقده الخليفة بيده[5].وسار السلطان ملكشاه على سياسة أبيه في التوسع وفرض السيطرة السلجوقية على جميع املاك الخلافة العباسية وجعل في مقدمة أهدافه القضاء على الفاطميين واسترجاع ما فقده العباسيون من البلاد، فبدأ ببلاد الشام تمهيدا للاستيلاء على مصر والقضاء على الحكم الفاطمي هناك[6]، وهذا احدى دوافع توسع املاك الدولة واستمرت العلاقات بين الخليفة العباسي القائم بأمر الله وبين السلطان السلجوقي يسودها الود والاحترام إلى أنْ توفي الخليفة القائم بأمر الله سنة467هـ/ 1074م[7] فقد استدعى الخليفة القائم بأمر الله قبل وفاته حفيده وولي عهده عدة الدين أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم، واحضر إليه القضاة والفقهاء وأشهدهم عليه ثانيا بولاية العهد له من بعده فشهدوا، ثم توفي ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان سنة 467هـ/ 1074م عن أربع وتسعين سنة، وثمانية اشهر وثمانية أيام، وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية اشهر وخمسة وعشرون يوماً[1].

---

(3) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص47.

(4) ابن كثير، البداية النهاية، ص109.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص284.

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص108.

(7) ابن طباطبا، الفخري، ص216، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص169.

(1) ابن كثير، البداية النهاية، ج12، ص110.

المبحث الخامس
العلاقة بين الخليفة المقتدي بامر الله والسلطان ملكشاه
467-487هـ/1074-1094م

المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين هو عدة الدين عبد الله بن الأمير الذخيرة، الأمير ولي العهد ابن العباس احمد بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله، بن القادر بالله العباس، أمه أمٌّ ولد اسمها أرجوان أرمنيه، أدركت خلافة ولدها وخلافة ولده المستنصر بالله وولد ولده المسترشد بالله[1]، حيث شرع المقتدي بأمر الله على أثر توليه الخلافة في اخذ البيعة من السلطان ملكشاه، فأوفد لهذا الغرض عميد الدولة ابن جهير وكان معه عهد الخليفة العباسي ومبلغ من المال

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص146، القرماني، أخبار الدول، ص173.

وبعض الهدايا، وقد أقام عميد الدولة في حاضرات السلطان نحوا من سنة ثم عاد إلى بغداد بعد أنْ اخذ البيعة للخليفة العباسي[3].

وقد سارت العلاقات بين الخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان ملكشاه بصورة جيدة ولم يكن هناك ما يكدر صفو تلك العلاقة حتى وفاة الخليفة القائم بأمر الله سنة 467هـ/1074م[3].

فلما اعتلى عرش الخلافة المقتدي بامر الله سنة 467هـ/487هـ تميزت الخلافة والسلطنة في بعض المظاهر في هذا العهد، الأولى: حصول تبادل الرسل والهدايا بين الخليفة العباسي وبين السلطان السلجوقي واستمرت حتى سنة 471هـ/ 1078م[4].

أما الثانية: فهي تأزّم العلاقات بين السلطان وبين الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله ويرجع السبب في ذلك إلى تدخل ملكشاه في شؤون الخلافة إذْ أرسل رسالة إلى المقتدي بأمر الله سنة 471هـ/ 1078م يطلب منه عزل فخر الدولة بن جهير من الوزارة فضلا عن تضمنها

مطالبه بعدم نفاذ رسول من دار الخلافة إلى خراسان[1]، وكان ذلك على ما يبدو من تدبير الوزير السلجوقي نظام الملك لحقده على فخر الدولة وزير الخليفة المقتدي[2]، غير أن الخليفة العباسي لم يستجب إلى طلب السلطان، فأرسل ملكشاه سعد الدولة كوهرائين شحنة بغداد وأمره بعزل الوزير فخر الدولة فجاء كوهرائين إلى دار الخلافة مع فريق من الجند وطلب من الخليفة عزل وزيره فخر الدولة[3]، فأرسل الخليفة المقتدي بأمر الله رسولاً إلى السلطان يشكو من تصرف الشحنة معه وتهديده إياه، فأعتدى أصحاب كوهرائين على رسول الخليفة ونهبوا ما كان معه، ولم

---

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص194، البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص49.

[3] ابن طباطبا، الفخري، ص216.

[4] البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص49.

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص317.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص317. للتفاصيل ينظر، ألخالدي: فاضل، الحياة السياسية، ص193.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص317-219.

يقتصـــــر الأمر على ذلك بل إنَّ كوهرائين هدد الخليفة إن لم يوافق على عزل وزيره فاســـتجاب الخليفة لطلبه. وتم عزل فخر الدولة من الوزارة[4].

استاء الخليفة المقتدي بأمر الله من تصرف السلطان السلجوقي ملكشاه ووزيره نظام الملك، وعد ما أمر به السلطان السلجوقي تدخلا مهينا في شؤون الخلافة، واعتداء على سلطته في تعيين الوزراء وعزلهم، ولم يوافق الخليفة على طلب الســـلطان ووزيره ورفض تعيين عميد الدولة وزيرا لديوان الخلافة، بل أمر عميد الدولة بعدم مبارحة داره على أثر وصوله الى بغداد[5]، وعين بدلا منه الوزير أبا شـــجاع محمد بن الحســـين على أن يكون نائباً في الديوان[6] غير أنَّ الخليفة العباسي ما لبث أنْ استسلم إلى ضغط السلاجقة وخاصة الوزير نظام الملك فصرف أبا شجاع من الوزارة وأعاد إليها في سنة 472هـــ/1079م الوزير عميد الدولة بن جهير[7]، اخذ الخليفة المقتدي بأمر الله بعد أنْ أساءت علاقته بملكشاه ووزيره نظام الملك من جراء تدخلها في شؤون الخلافة اخذ يتقرب إلى السلاجقة ففي سنة 472هـــ/ 1079م تحسنت العلاقات بين فخر الدولة والوزير السلجوقي نظام الملك بفضل مسعى عميد الدولة بن فخر الدولة الذي ولي وزارة الخليفة المقتدي العباسي في هذه السنة وهذا ما يدل على قوة نفوذ الوزير السلجوقي واستطاعته تعيين وصرف وزارة الخليفة العباسي[1]، وسارت العلاقات نحو الأحسن بين الخليفة المقتدي بأمر الله والسلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك إذ أوفد الخليفة في سنة 474هــــ/1081م فخر الدولة جهير ليخطب له ابنة السلطان، وقد تمكن فخر الدولة بمعاونة الوزير السلجوقي نظام الملك من تحقيق رغبة الخليفة في مصاهرة السلطان[2]، فقد وافق السلطان وأجابت أمها بذلك، شريطة، أن لا يكون له زوجة ولاسرية سواها، وأن يكون سبعة أيّام عندها، فوقع الشرط على ذلك[3].

---

[4] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص132، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص51، ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص317–219، ابن طباطبا، الفخري، ص219.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص317–219، ابن الأثير، الكامل، ج10، ص34–45.

[6] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص317–319.

[7] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص44–45. للتفاصيل ينظر، ألخالدي، الحياة السياسية، ص194 .

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص44– 45، ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص317.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص49، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص122 ، البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص67.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص122.

وكان لهذه المصـاهرة أثر كبير في تحسـين العلاقات بين ملكشـاه وبين الخليفة المقتدي بأمر الله، ففي سنة 479هـ/1086م أرسل ملكشاه إلى الخليفة العباسي رسالة تتضمن الدعاء له للمواقف المقدسـة، والاعتذار عن تأخره، وانه بسـعادة الخدمة في فتح حلب وأنطاكية وقلعة جعبر وطرفا من بلاد الروم[4].

فضلا عن ذلك أنَّ الخليفة العباسي كان يراعي جانب السلطان، فلما قدم ملكشاه الموصل بعد عودته من بلاد الشـام ارسـل لاسـتقباله النقيبين نيابة عنه فضـلا عن انَّهُ احتفى به حين قدم بغداد في السنة نفسها فخرج لاستقباله بموكب عظيم، وكان على رأس الموكب الوزير أبو شجاع والنقيبان العباسـي والعلوي[5] ويذكر ابن الجوزي[6] ((ان السـلطان ملكشـاه قام وقبل الأرض حين ابلغ بتهنئته المقتدي بأمر الله بسلامة وصوله، وبعد أنْ فرغ السلطان من زياراته جلس له الخليفة جلوسـا عاما فدخل ملكشـاه وأمره الخليفة بالجلوس فامتنع وتواضـع وارتفع ثم اقسـم عليه حتى جلس)) [7] وكـان نظـام الملك يأتي بهم أميراً أميراً إلى اتجـاه السـدة ويقول للأمير: هذا أمير المؤمنين ويقول للخليفة: هذا فلان وعسـكره كذا، وولايته كذا وبعد أنْ فرغ الخليفة من اسـتقبال كبار القوم خلع على ملكشـاه الخلع السـلطانية وفوضـه أمر البلاد والعباد، وأمره بالعدل فيهم[1] وطلب السـلطان أن يقبل يد الخليفة فلم يجبه، فسـأل أن يقبل خاتمه فأعطاه إياه فقبَّلَهُ ووضـعه على عينيه، وأمر الخليفة بالعودة إلى دياره وخلع على نظام الملك[2]،وعند وفاة داود بن السـلطان ملكشاه أرسل الخليفة وزيره للجلوس للعزاء لوفاة ابنه[3].

أمّا من ناحية الألقاب فان السـلطان ملكشـاه أبو الفتح كان بلقب (بقسـيم أمير المؤمنين)[4]، وكذلك عرف السـلطان ملكشـاه بن أرسـلان بلقب السـلطان معز الدنيا والدين قسـيم

---

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص29، الذهبي، دول الاسلام، ص9.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص29.

[6] المنتظم، ج9، ص29.

[7] البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص73-74.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص58، الذهبي، كتاب دول الاسلام، ص9.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص58، البنداري، تاريخ آل سلجوق، ص73-74.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص122.

[4] زامباور: معجم الانساب، ص333، الراوندي، راحة الصدور، ص143.

أمير المؤمنين [5]، ثم لقب بلقب السلطان المعظم شاهنشاه ركن الإسلام معز الدنيا والدين ومولى العرب والعجم، سـلطان رضـي الله ركن الإسـلام والمسـلمين يمين أمير المؤمنين[6]، وتلقب السلاطين السلاجقة بلقب ظل الله كانوا قد تجاوزوا حرمة الألقاب الدينية[7].

وفي محرم سنة 480هـ/ 1097م نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مئة وثلاثين جَمَلاً مجللاً بالديباج الرومي، غالبها أواني الذهب والفضة وعلى أربعة وسبعين بغلةً مجللةً بأنواع الديباج الملكي وفراسها وقلائد من الذهب والفضة، وكان على ستةٍ منها، اثنا عشر صـندوقاً من الفضـة فيها أنواع الجواهر والحلي، وبين يدي الأبطال ثلاث وثلاثون فرسـاً عليها مراكب الذهب، مرصعة بالجواهر ومهد عظيم مجلل بالديباج الملكي عليه صفائح الذهب مرصع بالجواهر، وبعث لاستقبالهم الوزير، أبا شجاع، وبين يديه نحو من ثلاثمئة موكبية غير المشاعل لخدمة الست خاتون تركان، حماة الخليفة، وسألها أن تحمل الوديعة الشريفة إلى دار الخلافة[8]، فـحـمـلـت ودخـل عـلـيـهـا الـخـلـيـفـة وتـزوجـهـا[9]

ظل ملكشاه ببغداد إلى أوائل سنة 480هـ/1087م ثم فارقها قاصدا أصفهان[1]، وفي السنة نفسها أرسل السلطان إلى الخليفة العباسي يطلب منه أنْ يأذن له الخليفة في أن يجعل ولده أحمد ولياً لعهده فأذن الخليفة له بذلك، وأمر خطباء المساجد في بغداد بذكر اسمه على المنابر بعد اسم أبيه ونثرت الدنانير احتفاءً بهذه المناسـبة[2]، ثم أرسـلت الخاتون بنت السـلطان امرآة الخليفة المقتدي بأمر الله إلى أبيها أعراض الخليفة عنها فبعث إليها أبوها الطواش صـواب والأمير حران ليرجعاها إليه فأجاب الخليفة إلى ذلك، فبعث معها بالنقيب وجماعه من أعيان الأمراء، وخرج ابن الخليفة أبو الفضـل والوزير فودعها في النهروان، فلما وصـلت إلى عند أبيها توفيت في شـوال سنة 482هـ/1089م في أصفهان، فعمل عزائها ببغداد سبعة أيام وأرسل الخليفة إلى السلطان

---

[5] الراوندي، راحة الصدور، ص179.

[6] ابن العمراني: محمد بن علي بن محمد، (ت 580هـ)، ص1184م، والأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: جاسم السامرائي، (لندن–1973م)، ص197.0

[7] ارنولد: الخلافة، ترجمة: جميل معلى ،(دمشق– 1964)، ص43.

[8] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص132.

[9] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص145.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص58.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص38.

أميرين لتعزيته فيها[3]. ولكن لم تســـتمر العلاقات الودية بين الســـلطان ملكشـــاه وبين الخليفة المقتدي بأمر الله الى ما لانهاية بل ما لبثت أن تبدلت وخاصـــة في أواخر أيام هذا الخليفة الذي ظهر أمام السلطان ضـعيفا متخاذلا حتى لم يبق له من الأمر شـيء: ((وصـار لا يتعدى حكمه بابه ولا يتجاوز جنابه))[4]، ويرجع السبب في تدهور هذه العلاقات إلى عزم السلطان على جعل الأمير جعفر وليا لعهد المقتدي بدلا من المســـتظهر بالله الذي بايعه والده لولاية العهد من بعده وكان الأمير جعفر ابن الخليفة العباسـي من بنت ملكشـاه كما كان اصـغر سـناً من المسـتظهر بالله[5]، فرفض الخليفة العباسي طلب ملكشاه الذي يتضمن جعل الأمير جعفر ولياً لعهد الخليفة، وخاصـة حينما عرف ما يخفيه السلطان السلجوقي من نوايا سيئة نحوه، ومما يؤيد ذلك ما ذكره الراوندي[6] ((من أنَّ بنت[*] السـلطان كانت تنادي على الأمير جعفر في حضـور أبيه المقتدي بعبارة: يا أمير المؤمنين! وكان قد اســـتقر الرأي قبل وفاة ملكشـــاه أنْ يبنوا دارا للخلافة وحرما ملحقا بها في أصـــفهان... وأن يقيموا مع الأمير جعفر فيها وأحس الخليفة بهذا الأمر))[7] ولما عـــلـــم الســـلـــطـــان الســـلـــجـــوقـــي أنَّ

الخليفة العباســـي عزم على مقاومه رغبته، قدم إلى بغداد في أوائل شـــعبان ســـــــنة 485هـ/1091م[1] كانت نيه غير صالحة فأعطاه الله سبحانه وتعالى نفس ما تمناه لأعدائه. إذْ أنَّه قدم إلى بغداد ليعمل على إسـناد ولاية العهد إلى جعفر[2]، حيث انه اسـتقر في بغداد، وجاء الناس للسـلام عليه والتهنئة بقدومه أرسـل إليه الخليفة يهنئه بالقدوم، فأرسـل إلى الخليفة المقتدي بأمر الله يقول له: ((لابد أنْ تنزل لي عن بغداد وتتحول إلى أي بلاد شـئت. فأرسـل إليه الخليفة أن يمهله فرصة مدتها شهراً ولكنه رد عليه السلطان برد سريع ولا ساعة واحدة فأرسل إليه يتوسل إليه الخليفة في انتظاره عشـرة أيام بوسـاطة تاج الملك أبى الغنائم وزير ملكشـاه، فوافق السـلطان إلى ذلك بعد تمنع شـديد، ثم إنَّ الخليفة لبس جبة الصـوف وجعل يصـوم فإذا افطر جلس على

[3] ابن كثير، البداية النهاية، ج12، ص135.

[4] ابن دحية، النبراس، ص144.

[5] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص164.

[6] الراوندي، راحة الصدور، ص216–217.

[*] تذكر معظم المصادر على انها بنت السلطان التي تزوجها الخليفة المقتدي بالله وكان اسمها مهلك خاتون وليست أخته كما ذكر الراوندي في راحة الصدور, ص216– 217.

[7] ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج10، ص77.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص77–78، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص375.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص62، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص375، ابن طاطبا، الفخري، ص216.

الرماد وصلى ودعا على السلطان[3]))، فما تم الموعد حتى خرج السلطان يوم عيد الفطر المبارك إلى الصيد فأصابته حمى شديدة، فأنهكته صحيا ولم يشفى منها[4]، وإنَّ سبب مرضه أنَّه أكل لحم صيد محترق لم يخرج الدم منه كاملا فثقل في مرضه وكانت حمى قوية، فتوفي ليلة الجمعة في 15 شوال عام485هـ 1091م قبل انتهاء العشرة أيام ((ولله الحمد والمنّة له فإنَّه يفعل ما يريد))[5]، وبذلك تسنى للخليفة المقتدي أن يتخلص من شركاد يصيبه على يد السلطان السلجوقي وان يتخلص من تلك المحنة[6]، وهكذا كان عصر ملكشاه هو الذي بلغ فيه السلاجقة أوج عظمتهم وهيبتهم، ولقد اتيح لهذا السلطان أنْ يثبت عرشه الذي ورثه، ولكن بعد أن ظل ما يقارب خمسة سنوات يكافح تآمر عَمَّهُ إذْ كان السلطان ملكشاه من أقوى سلاطينهم بالنظر إلى ما وصل إليه السلاجقة في عهده وما آلَ إليه الأمر بعده من التفكك والانحلال فعندما اعتلى المقتدي بأمر الله عرش الخلافة العباسية سنة 467هـ /1074م بعد وفاة أبيه القائم بأمر الله[7]، فطلب البيعة من السلطان ملكشاه وكان عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة هو الرسول بينهما[8].

وتبين من هذا مدى النفوذ والقوة التي وصلت إليها السلطان السلجوقي بالمقارنة إلى الضعف الشديد الذي وصل إليه الخليفة العباسي فللمرة الأولى يطلب الخليفة العباسي البيعة من السلطان وكان السلاطين هم الذين يطلبون الاعتراف بهم، ثم إن السلاطين كانوا هم الذين يطلبون قربة النسب من الخلفاء، وقد حصل العكس مابين الخليفة المقتدي بأمر الله والسلطان السلجوقي ملكشاه. وكان ملكشاه قد تزوج عدة زوجات من اشهرهن تركان خاتون والدة محمود الذي صار سلطانا لأقاليم العراق وقد أدَّت السيدة تركان خاتون دوراً كبيراً من اجل تنصيب ابنها[1].

---

[3] القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ص173.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص139، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص337.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص62، ابن طباطبا: الفخري، ص64، ابن العبري، تاريخ الدول، ص337–338.

[6] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص62، ابن طباطبا، الفخري، ص217.

[7] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص110، ابن الجوزي، المنتظم ج9، ص291، البنداري، تاريخ آل سلجوق، ص54.

[8] البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص59.

[1] اليزدي، العراضة، ص72.

المبحث السادس
البوادر الأولى لضعف السلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاه
وعلاقتهم بالخليفة المقتدي بامر الله

إنَّ أوّل مشاكل السلاجقة عقب وفاة السلطان ملكشاه هي مشكلة اختيار السلطان الذي يخلفه على العرش، وقد برزت هذه المشكلة في آخر عهده فبعد وفاة السلطان ملكشاه وقتل وزيره نظام الملك قبله بمدة وجيزة دون الوصول إلى رأي حاسم فيها [1]، ويعود السبب في ذلك هو أنَّ ملكشاه قد تزوج عدة زوجات من اشهرهن تركان خاتون أُمْ ولده السلطان محمود والسيدة زبيدة زوجة السلطان الثانية أُمّاً لبركياروق وكذلك السيدة خاتون السفرية كانت أُمّاً للسلطان محمد

[1] ابن الأثير، الكامل ، ج8، ص484–485.

والسلطان سنجر[2]، وانحصر التنافس على العرش بين بركياروق الأبن الأكبر لملكشاه يؤيده أتباع نظام الملك وبين أخيه الأصغر محمود وهو أبن تركان خاتون الزوجة المدللة ذات النفوذ ويناصرها تاج الدين الشيرازي الوزير الذي احتل مكان نظام الملك[3] وقد سترت زوجة السلطان ملكشاه تركان خاتون موت زوجها وكتمته وسارت من بغداد والسلطان معها محمولا وبذلت الأموال للأمراء واستحلفتهم لابنها محمود[4] ونتيجة لما أنفقته تركان خاتون من الأموال استطاعت أن تستميل أمراء الجند إلى جانبها[5]، فاختاروا أبنها (محمود) سلطانا للسلاجقة، وكان محمود لا يزال طفلا صغيرا في الخامسة من عمره وكان تاج الملك وزيرها يتولى ذلك لها[6]، ويعلل الحسيني حصولها على هذا التأييد هو نتيجة لاستيلائها على الأمور في أيام السلطان ملكشاه وكانت محسنة للأجناد وكذلك إنها كانت من نسل الملوك الترك إذ قيل إنها من نسل أفراسياب[7]، فأرسلت تركان خاتون إلى الخليفة المقتدي بأمر الله تطلب منه أن يمنح ابنها محمود السلطنة ولكن الخليفة لم يسمح بهذا وقال: إنَّ السلطنة والرئاسة والمحافظة على أصول السياسة وتعمير العالم ليس أمراً هيناً كلعب الأطفال، ومن الصعوبة أنْ يتمكن طفل عديم التجربة أنْ يقر قواعد السلطنة ويدفع حساد وأعداء المملكة ولم يشبع محمود لبن الرضاعة وأنَّهُ لا يستطيع أنْ يكون درعاً يصد عن الدولة سيف كل جبار[1]، ولكن خاتون لم تترك هذا الالتماس وكانت تفكر كثيراً في هذا الموضوع قبل وفاة السلطان ملكشاه وكان للخليفة أبن من أخت ملكشاه وكانت تركان خاتون بحكم القرابة تدلله وتربيه في أحضان الدلال والنعمة، بسبب المصلحة العامة التي كان الوقت يقتضيها أن تكون هو عدم موافقة الخليفة على تنفيذ هذا الأمر فأرسلت تركان خاتون إلى الخليفة لتكرر التماسها في الخطبة لولدها محمود ولم تزل به حتى أجابها إلى طلبها، إلاّ انَّه اشترط أن تكون السلطنة لابنها والخطبة له ويكون للأمير أمر تدبير الجيوش ورعاية البلد، وتكون جباية الأموال وترتيب العمال إلى تاج الملك[2]، ويبدو أن تركان خاتون امتنعت في باديء

---

[2] اليزدي، العراضه، ص72، الخضري بك، محاضرات، ص429.

[3] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص135.

[4] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص337.

[5] ابن الأثير، الكامل،ج10، ص88-89. للتفاصيل ينظر، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص74.

[6] الراوندي، راحة الصدور، ص216.

[7] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص74.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص211، ابن الجوزي، المنتظم، ج1، ص62،

[2] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص211، ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص62.

الأمر عن قبول هذه الشـــروط فقد كانت تريد أن تكون الأمور بيد ولدها محمود، إلاّ أنَّ الخليفة أصَّـــر على موقفه وكان يتولى الوســـاطة بينهما وبين الخليفة أبو حامد الغزالي[*] الذي أقنعها بالموافقة على شـروط الخليفة وافهمها بعدم جواز ولاية ابنها لأنَّه طفل صـغير لم يتجاوزالخامسـة من عمره،فقال لها: ((هذا لا يجوزه الشـرع))[3] فقبلت، وخطب لمحمود بالسـلطنة في اليوم الثاني والعشرين من شوال سنة485هـــ/1092م لقب (ناصر الدنيا والدين) وأصبحت أمّه وصية عليه لصغر سنه.

وترتب على وزارته تاج الملك أبو الغنائم المرزبان بن خسـرو وأرسـل الخليفة إليه بالخلع مع عميد الدولة ابن جهير وابلغ والدته بتهنئة الخليفة لها بهذه المناسبة[3]، وأرسلت تركان خاتون إلى الخليفة تســـأله أن تكون ولايات العمال إليه فامتنع الخليفة ووافقه في ذلك الغزالي، وأفتى العلماء بجواز ذلك منهم المتطيب ابن محمد الحنفى، ولكن لم يعمل إلاَّ بقول الغزالي[4].

ويبدو أنَّ الخليفة المقتدي لم يكن راضـيا على سـلطنة محمود مع وجود اخ له يكبره سـنا وهو (بركياروق) الذي كان في أصــفهان[1]، وان اعتراف الخليفة العباســي بســلطنة محمود كان اضـــطراريا فقد كان ملكشـــاه قبل وفاته يحتفظ بالأمير جعفر عنده[2]، ليهدد به الخليفة، فرأى المقتدي بأمر الله. أنْ يوافق على ما رأته تركان خاتون من توجه الأمير جعفر إلى بغداد لقاء اعتراف الخليفة بسـلطة ولدها محمود خشـية من تكرار تلك التجربة مع السـلاطين السـلاجقة[3]، سارت تركان خاتون من بغداد إلى أصفهان وبها بركياروق ابن السلطان ملكشاه وهو اكبر أبنائه إذ انها لم تطمئن إلى بقاء بركياروق طليقا، خشـيت أنْ ينازع ولدها محمود في السـلطنة فأوعزت إلى أتباعها في أصــفهان بالقبض على بركياروق وإيداعه بالسـجن[4]، واطمأنت إلى هذا التدبير وظَّنت ان ابنها قد انفرد بالسلطنة وانه أصبح في مأمن من أي منافسة ونسيت ما يكنه المماليك

---

[*] الغزالي: هو أبو حامد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالي الملقب بحجة الإسـلام، اشـتغل أول أمره بطوس ثم قدم إلى نيسابور ففوض إليه التدريس في المدرسة النظامية في عهد نظام الملك ثم سلك طريق الزهد والتصوف، له مصنفات عدة اشهرها احياء علوم الدين، والوسيط البسيط ابن خلكان وفيات الأعيان ،ج 4، ص216.ص333.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص165.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص211، ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص62، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص139، السيوطي، تاريخ الحلفاء، ص425.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص139.

[1] الراوندي، راحة الصدور، ص215–216.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص57–62.

[3] الراوندي، راحة الصدور، ص215–216.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص210.

النظامية (إتباع نظام الملك) من كراهية لتاج الملك وزير ابنها لما كانوا يعرفونه من عدائه الشديد لنظام الملك فمالوا إلى بركياروق واستولوا على ما كان لدى نظام الملك من الأسلحة في أصفهان وثاروا في المدينة ثم اخرجوا بركياروق من سجنه وخطبوا له بأصفهان وأصبحت المواجهة بينهما محتومة[5] واكبت تركان خاتون آنذاك في طريقها إلى أصفهان مع ولدها السلطان محمود ووزيره تاج الملك فطالب العسكر الوزير تاج الملك بعطائهم فوعدهم بدفعه إليهم فلما وصلوا قلعه برحين صعد تاج الملك بحجة إحضار الأموال لكنه ما كاد يدخل القلعة حتى امتنع بها خوفاً من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزانته فلما وصلوا أصفهان لحق بهم تاج الملك وأبدى اعتذاره لتركان خاتون معللاً تأخره أنَّ مسؤول القلعة اعتقله ولكنه تمكن من الهرب فقبلت اعتذاره لحاجتها إليه في مثل هذه الظروف التي تواجهها[6] لما علم بركياروق باقتراب تركان خاتون وابنها محمود من أصفهان خرج مع أصحابه النظامية إلى الري فانظم إليه في الطريق بعض الأمراء النظامية وبفضل مساعدتهم تمكن من الاستيلاء على طبرك عنوه ثم التقى بعساكر أخيه محمود بالقرب من بروجرد في السادس عشر من ذي الحجة سنة 485هـ/1093م وانحاز إلى بركياروق جماعة من أمراء محمود فرجحت كفته وانتهى الأمر بانهزام عسكر السلطان محمود، ووقع تاج الملك أسيراً في أيدي الرجال النظامية فقتلوه في محرم سنة 486هـ/1094م وقيل أنَّ بركياروق لم يكن راغبا في قتله لما كان يعلمه من كفايته وأراد أن يستوزره إلاّ أنَّ النظامية أصَّروا على الانتقام لصاحبهم نظام الملك[1].

تحصنت تركان خاتون وولدها السلطان محمود في أصفهان وأخذت تكاتب الأمراء السلاجقة لمعاونة ابنها، وكان من بينهم خال بركياروق الأمير إسماعيل بن ياقوتي– حاكم – أذربيجان فثار على بركياروق لكن حركته منيت بالفشل[2].

استقر رأي بركياروق على المسير إلى بغداد وبصحبته وزيره عز الملك، وهناك طلب من الخليفة المقتدي أقامة الخطبة له فأمر الخليفة العباسي في محرم سنة 487هـ/1094م بإجابة طلبه كما خلع عليه ولقبه (بركن الدين[3]). غير أنَّ الخليفة المقتدي بأمر الله لم يلبث أن توفي في 15 محرم سنة 487هـ/1095م[4] حيث انه قدم له الطعام فأكل منه وغسل يديه وعنده

---

[5] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص201،ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص62.

[6] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص63. للتفاصيل ينظر، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص75.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص215، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص338، ابن خلدون، المقدمة، ج5، ص28–29.

[2] الراوندي، راحة الصدور، ص217–218.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص170.

[4] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص338.

قهرمانته شمس النهار فقال لها ما هذه الأشخاص التي دخلت على بغير إذن (قالت) فالتفت فلم أر شيئا ورأيته قد تغيرت حالته وانحلت قوته وسقط على الأرض ميتا وقلت لجارية عندي: ((ان صحت قتلتك، وأحضرت الوزير فأعلمته الحال فشرعوا في البيعة لولي العهد ابنه أبو العباس، وجهزوا المقتدي ودفنوه وكان عمره ثمانية وثلاثين سنة وثمانية أشهر وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية اشهر))[5].

[5] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص338.

الفصل الرابع
علاقات الخلفاء العباسيين مع بقية السلاطين السلاجقة
487هـ-590هـ/1094م-1193م

- **المبحث الأول:** الخليفة العباسي المستظهر بالله وعلاقته مع السلطان السلجوقي بركياروق والسلطان محمد وطموحاتهم السياسية.
- **المبحث الثاني:** سياسة الخليفة العباسي المسترشد بالله الداخلية وعلاقته بالسلطان محمود.
- **المبحث الثالث:** الخليفة العباسي المسترشد بالله وعلاقته بالسلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1130م.
- **المبحث الرابع:** الخليفة العباسي الراشد وعلاقته مع السلطان مسعود 529-530هـ/1134-1135م.
- **المبحث الخامس:** الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله وعلاقته مع السلطان مسعود 530هـ/1135م.
- **المبحث السادس:** الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله وعلاقته بالسلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان مسعود.
- **المبحث السابع:** محاولة السلطان السلجوقي محمد دخول بغداد وحرية مع الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله.
- **المبحث الثامن:** الخليفة العباسي المستنجد بالله وعلاقته بالسلاطين السلاجقة 555هـ-566هـ/1160م-1170م.
- **المبحث التاسع:** الخليفة العباسي المستضيء بالله وعلاقته بالسلاطين السلاجقة 566هـ-575هـ/1170م-1179م.
- **المبحث العاشر:** الخليفة الناصر لدين الله وعلاقته مع السلاطين السلاجقة 575هـ-590هـ/1179م-1193م.

المبحث الأول

الخليفة العباسي المستظهر بالله وعلاقته مع السلطان السلجوقي بركياروق والسلطان محمد وطموحاتهم السياسية

الخليفة العباسي المستظهر بالله اسمه أحمد أبو العباس بن المقتدي بالله عبد الله[1] ولد في شوال سنة 470هـ/1077م[2]، ويذكر المؤرخون أنَّ المستظهر بالله لين الجانب كريم الأخلاق يسارع في أعمال الخير حافظ للقرآن محبٌ للعلم مفكرٌ للظلم فصيح اللسان وأيامه أيام سرور للرعية وكان حسن الحظ جيد لتوقعات لا يقاومه فيها أحد بويع بالخلافة يوم مات أبوه في محرم سنة 487هـ/1094م[3]، وكان أول من بايعه الوزير أبو المنصور ابن جهير[4]، ثم استوزر الخليفة المستظهر بالله الوزير أبو المنصور ابن جهير وقال له ((الأمور مفوضة اليك، والتعديل فيها عليك فدبرها بما تراه)) فقال هذا وقت صعب[5]، ثم اخذ البيعة له من الملك ركن الدولة بركياروق بن ملكشاه، ثم بقية الأمراء والرؤساء وتمت له البيعة تؤخذ إلى ثلاثة أيام[6].

عند مجيء المستظهر للحكم (487-512هـ/1094-1118م) جرت أحداثٌ خطيرة في تاريخ السلاجقة وأصبحت السلطنة تتأرجح بين هذا وذاك نتيجة لتك الانقسامات[7]، حيث إنقسم السلاجقة في عهد الخليفة المستظهر بالله فيما بينهم إلى عدة طوائف متصارعة على الحكم والسلطنة كل طائفة تميل إلى احد أبناء ملكشاه وعمهم تتش وكانت تلك الأحداث والانقسامات في أحرج أوقاتها[8]، إذْ إنَّ الخليفة لم يستطع استغلال تلك الانقسامات وربما يعود لعدم توفر القوة العسكرية الكافية ولتعرض بلاد المسلمين إلى الغزو الصليبي[9] ثم استطاع بركياروق أنْ ينفرد بالسلطنة بعد وفاة تركان خاتون وابنها محمود سنة 487هـ/1094م بعد نزاع دام حوالي سنتين[1].

---

[1] الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص360.
[2] الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص360.
[3] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص170، ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص81، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص360.
[4] ابن كثير، البداية والنهاية، 12، ص147.
[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص82.
[6] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص127.
[7] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص495.
[8] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص194. الراوندي، راحة الصدور، ص217-219.
[9] أمين، نظام السلطنة، ص54-55.
[1] الراوندي، راحة الصدور، ص219.

وأرســـل بركياروق إلى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة المســـتظهر بالله فمنحه الخليفة إياها فخطب له في جوامع بغداد[2]، وقد كان المستظهر قد منح بركياروق طوقا وأسواراً من ذهب وعقد له ولأخيه لواءين بيده[3]، وبعد وفاة الســـلطان محمود برز منافس جديد أقوى من محمود، وهو عمه تتش بن السلطان ألب أرسلان الذي خرج من الشام طالبا السلطنة، وحصل على تأييد أمراء الســـلاجقة في الشـــام والجزيرة بعد مراســـلة تمت بينهم وبينه وهم كربوقا صـــاحب الجزيرة وبوزان صـاحب الرها وقسيم الدولة اقسنقر صـاحب حلب إلاَّ أنَّ هؤلاء تراجعوا عن موقفهم واتفقوا على خلع تتش والوقوف بجانب بركياروق لاعتقادهم انه أحســـن منه في الســـلطنة ورجعوا إلى إماراتهم وراسلوا بركياروق على ذلك[4].

ثم عاد تتش إلى دمشق وأعدَّ العدة، وخرج لمقاتلة الأمراء الذين انفصلوا عنه، فالتقى بهم قرب حلب سنة 486هـ/1093م فهزم عساكرهم وقتل بوزان واقسنقر وقبض على كربوقا[5]، وبعد أن عظم نفوذه في هذه المناطق أرســل إلى المســتظهر بالله يطلب الاعتراف بســلطنته، فأجابه الخليفة وأمر أن يخطب له في مساجد بغداد[6]، وهذا ضـعف الخلافة العباسية وعدم قدرتها على السيطرة على الجوانب السياسية والاقتصادية واخذ الدور الحازم والشديد اتجاه الاحتلال السلجوقي لكون الحروب قد أنهكتها إضـافة إلى توجه الحملات الصـليبية إلى أراضـيها مما أعاق وصـول الإمدادات العسكرية لها.

ثم اســتمر تتش في ملاحقة ابن أخيه بركياروق فتوجه نحو همدان وأذربيجان كي يحســم الأمر مع ابن أخيه فالتقى به في معركة قرب الري في صفر سنة 488هـــ/1095م انتهت هذه المعركة بهزيمة تتش ومقتله فيها[7]، ولما علم الخليفة المســـتظهر بالله أعاد الخطبة للســـلطان بركياروق[1]، إلا أنَّ الأمور لم تستقر لبركياروق بعد قضائه على عمه تتش فقد ثار عليه خصوم آخرون وهم إخوته محمد وسنجر فدامت الحرب بينهم حوالي خمس سنين (492-497 هـــ / 1099-1104م) وتقلبت فيها نتائج المعارك بين الطرفين فتارة تكون لمصـــلحة بركياروق وتارة تكون لمصـلحة إخوته المتحالفين (محمد وسـنجر)، وقد تقلب الخليفة المسـتظهر بالله في موقعه

---

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص171.

(3) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص77.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص166- 167، للتفاصيل ينظر، إرشيد ، سلاجقة الشام والجزيرة، ص219.

(5) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج5، ص139، ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص111-117.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص175، ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص87.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص175-176، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص295، الفارقي، أحمد بن يوسف بن الأزرق، تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف عوض، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1974) ص243.

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص176.

منهم حسـب نتائج المعارك بينهم، فإذا ما رجحت كفة السـلطان بركياروق خطب له في بغداد، وإذا حقق إخوته النصر عليه أمر الخليفة بقطع الخطبة له وخطب لأخيه محمد في جوامع بغداد، بالإضافة إلى انّه كان يمنح تأييده وتفويضه لكل من دخل بغداد من سلاطين السلاجقة[2]، وفي سنة 493هـ/ 1100م دخل السلطان بركياروق إلى بغداد، ونزل بدار الملك، وأعيدت له الخطبة وقطعت خطبه أخيه محمد، وبعث إليه الخليفة هدية كبيرة، وفرح به العوام والنسـاء والتجأ السلطان إلى الخليفة لمصادرة أموال الوزير ابن جهير[3]، ثم استمر النزاع بين السلطان بركياروق وأخيه السلطان محمد، وقد ألحقت هذه الحروب بالفريقين المتنازعين خسائر جسيمه في الأرواح والأموال والممتلكات زيادة عما أصاب الدولة السلجوقية من ضعف وانقسام[4]، ويذكر ابن كثير أنَّ نتيجة هذه الحروب المستمرة إن عم الغلاء وضيق الأرزاق في البلاد، واخذ السلطان محمد أهل أصفهان بالمصادرة والحصار لأصفهان فقد قطعت الخطبة للسلاطين السلاجقة في بغداد في ربيع الاول سنة 496هـ/1103م اقتصر اسم الخليفة فيها والدعاء له[5]، قد فكر بركياروق في سنة 497هـ/ 1104م على وضع حد لهذه المنازعات التي لم يستطيع أي منهما أن يحرز فيها نصـراً حاسـماً، فاتفقا على الصـلح النهائي على أن تكون الخطبة في المناطق الجنوبية للعراق لبركياروق والمناطق الشمالية للشام والجزيرة لمحمد وخراسان يكون واليا عليها أخوهم سنجر[6]، وهكذا تقاسم أبناء السلطان ملكشاه البلاد فيما بينهم. وأصبح للسلاجقة ثلاثة سلاطين بدلا من سـلطان واحد وتقام الخطبة في مناطقهم باسـمهم ويجعل كل منهما لقب السـلطنة[7].

ويوضـح لنا الدكتور إرشـيد يوسـف موقف الخليفة المسـتظهر بالله وطريقة معالجته للمشـاكل مع السـلاجقة في نزاعاتهم المريرة بعد وفاة السـلطان ملكشـاه السـلجوقي سـنة 485هـ/ 1092م فقد وقف موقف المتفرج على هذه الصراعات، ولم يستغل هذه الأحداث ليعيد هيبة الخلافة العباسية[1]، واعتقد انه كان على الخليفة أن يسرع إلى حسم هذه الأمور حتى لا تعود بعواقب وخيمة على الأمة الإسلامية فيما بعد ولو قيل انه كان ينتظر حتى ينهك السلاجقة

---

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص193.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص158.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص193-197، الراوندي، راحة الصدور، ص120-122.

[5] ابن كثير،البداية والنهاية، ج1، ص162-163.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص195، ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص109-117، اليزدي، العراضـة، ص79-82.

[7] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص220.

[1] سلاجقة الشام والجزيرة، ص220.

بعضهم بعضا فيسهل عليه ذلك التخلص منهم لقلنا انه لم يكن هناك متسع من الوقت لمثل هذا الاعتقاد لان الصليبين كانوا قد وصلوا إلى بيت المقدس خلال هذه ألازمات وكان من المفروض على الجميع أن يجمعوا أمرهم ويخرجوا ســوية للجهاد ويكون للحديث عن باقي المســائل وقت آخر[2]، وهذا يجب أن يعمل ويخطط له من قبل الأطراف الســلجوقية والخليفة العباســي أو أن يقوم الخليفة باســتغلال هذه النزاعات فيخطوا خطوة ناجحة تمكنه من اســتعادة هيبة الخلافة ويحجم الوجود السلجوقي في العراق إن لم يتخلص منه نهائياً، وأنَّ الأطراف السلجوقية قد منيت بخسائر كبيرة فيما بينها.

ولكن لم يمتد العمر طويلا بالسلطان بركياروق بعد اتفاقه مع إخوته سنة 497هـ/ 1104م إذ أصيب بمرض وهو في طريقه إلى بغداد وتوفي سنة 498هـــ/ 1105م وكان قبل وفاته قد عين ابنه ملكشاه وليا لعهده بالإضافة إلى أنَّه عين الأمير اياز اتابكا له[3]، وكان عمر بركياروق عند وفاته في الخامسة والعشرين من عمره بعد حكم اثنتي عشرة سنة وبضعة اشهر قضى اغلبها في حروب متواصلة[4]، في سبيل الاحتفاظ بعرش السلطنة[5].

توجه ملكشاه بن بركياروق إلى بغداد إذْ خلع عليه الخليفة المستظهر بالله، وأمر بإقامة الخطبة له، بالإضـــافة إلى انّه لقبه بلقب (جلال الدولة)[6] وقد أغاظ هذا الاعتراف من جانب الخليفة العباسي السلطان السلجوقي محمد الذي أسرع في المسير إلى بغداد إذْ دخلها من جانب الغربي وخطب له في مســاجد هذا الجانب. بينما كان الجانب الشـــرقي من المدينة ما تزال فيه الخطبة تقام باسم السلطان ملكشاه واستمرت الخطبة تقام لسلطانين في بغداد مدة من الوقت[1]، وما ذلك إلاَّ نتيجة لضعف الخليفة واستسلامه لطلب سلاطين السلاجقة.

وأشار إلى هذا الضعف عدد من المؤرخين[2]، مبينين أنَّ في عهد المستظهر بالله عدة تحولات خارجية كانت تعمل عملها لصالح الخلافة العباسية فبينما كانت الصراعات الداخلية بين

---

[2] سلاجقة الشام والجزيرة، ص220-221.

[3] ســبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص12-13، الســيوطي، تاريخ الخلفاء، ص682، ابن القلانســي، ذيل تاريخ دمشق، ص147.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص224.

[5] حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص94.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص225.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص225-226.

[2] البرهاوي: محمد خالد عبد، علاقة العلماء بالخلافة العباسية في عصر السيطرة السلجوقية (447هـ/1055م-552هـ-1157م)، 200م ص39. نقلا عن ابن ميسر، أخبار مصر، ج2، ص65، أحمد بن يوسف بن الأزرق، تاريخ الفارقي، ص267.

السلاجقة تفت في عضد هيمنتهم على الخلافة منها وفاة المستنصر بالله الفاطمي صاحب مصر سنة 478هـ/ 1094م. فنتج عن ذلك جدل وخصام ديني وسياسي أدى إلى شق وحدة الفاطميين ولا يخفى ما في ذلك من آثر على امن الدولة العباسـية، ومع هذا فقد كان تعامل الخليفة المستظهر بالله مع هذه المتغيرات دون مستوى الحدث، إذ اتخذ موقف المتفرج من الصراعات السلجوقية فكان يستجيب لكل غالب منهم فيصدر له الاعتراف بالسلطنة ويخطب له على المنابر[3]، وقد تراضيا السلطان محمد والسلطان ملكشاه علما أنْ تكون السلطة لمحمد في السنة نفسها وهي سنة 498هـ/1104م[4]، وان السلطان محمد كان صادق النية في مواجهة ألازمات التي كانت تعصف بالمسلمين فقد هدأت الخلافات بينه وبين الخليفة المستظهر بالله ونتيجة للعلاقة الطيبة بينهم نجد الخليفة المستظهر بالله قد تزوج من أخت السلطان محمد الخاتون ابنة ملكشاه وزفت إليه سنة 504هـ/1110م[5]، إذْ قدمت العروس إلى بغداد فنزلت في دار أخيها السلطان محمد، ثم حمل جهازها على مائةٍ واثنين وستين جملاً وسبعة وعشرين بغلاً، وزُيّنَتْ بغداد لقدومها ودخلت على الخليفة في الليلة العاشرة من رمضان سنة 504هـ/ 1110م وكان صداقها مائة ألف دينار[6].

وكان هذا الزواج هو زواجاً سياسياً لتتجه العلاقات بين السلطان والخليفة نحو الأحسن وان السلطان محمد كان صغير السن عندما تولى السلطنة إذْ إنَّ عمره لم يتجاوز سبع سنين ويروي أبو الفداء أنَّ عمره كان ستا وثلاثون سنة وأربعة اشهر وأول ما دعا له بالسلطنة ببغداد في سنة 492هـ/1098م وقطعت خطبته عدة مرات في بغداد وتولى السلطنة واجتمع الناس عليه اثنتي عشرة سنة [1]، وفي يوم الثلاثاء 11 محرم 495هـ/ 1101م جلس الخليفة المستظهر بالله بدار الخلافة وعلى كتفيه البردة والقضيب بيده وجاء الملكان الأخوان محمد وسنجر أبناء ملكشاه، فقبلا الأرض، فخلع عليها بالخلع السلطانية فاعطى محمد سيفاً وطوقاً وسوار لؤلؤ وأفراساً من مراكبة، ولسنجر أقّلُ من ذلك، وولّى السلطان محمداً الملك واستنابه في جميع ما يتعلق بأمر الخلافة [2]، ثم توفي السلطان محمد سنة 511هـ/ 1117م بعد أنْ ترك من

---

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص647، ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص134، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص428.

[4] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص197، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص147، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص682.

[5] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص262.

[6] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص262، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص172.

[1] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص347.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ص162.

الأبناء محمود، طغرل، مسعود، سليمان شاه وسلجوق شاه[3]، إلاّ أنَّهُ أوصى بالسلطنة من بعده لإبنه الأكبر محمود فاستقره الأمور له[4].

وفي 16 ربيع الآخر سنة 512هـــ /1118م توفي الخليفة المستظهر بالله وكان عمره إحدى وأربعين سنة وستة اشهر وستة أيام وخلافته أربع وعشرون سنة وثلاثة اشهر وإحدى عشر يوما وخطب في خلافته لثلاثة سلاطين وهم تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان والسلطان بركياروق والسلطان محمد ابنا ملكشاه[5]، ومن الغريب انه لما توفي السلطان ألب أرسلان توفي بعده القائم بأمر الله ولما توفي السلطات ملكشاه توفي المقتدي بأمر الله ولما توفي السلطان محمد توفي الخليفة المستظهر بالله[6]، وهذا ما كتبه الله سبحانه وتعالى لهم من الحياة.

المبحث الثاني

سياسة الخليفة المسترشد بالله وعلاقته بالسلطان محمود والسلطان سنجر

هو أبو المنصور الفضل بن المستظهر بالله أبو العباس أحمد المقتدي أبو القاسم عبدالله الهاشمي العباسي البغدادي أمير المؤمنين ولد في حدود سنة 485هـ/1092م[1].

---

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخن ج8، ص276، للتفاصيل ينظر، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص82.

[4] ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص20-21، ابن شداد، عز الدين محمد بن علي، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (دمشق- 1978) ج3، ص715.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص281، ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص200، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص182. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص347.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص281، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص182.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص281، الديار بكري، تاريخ الخميس، ص361، ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص219.

بويع بالخلافة بعد موت أبيه في شهر ربيع الآخر سنة 512هـ/1118م، وكان ولي عهد أبيه وكان شجاعا ذا نعمه ومعرفة وعقل وكان ديّنا مشتغلا بالعبادة سلك في الخلافة سيرة القادر وقرأ القران وسمع الحديث وقال الشعر[2]، وعند خلافته بايعه أخواه أبو عبد الله محمد وأبو طالب العباس وأبناء عمومته بنو المقتدي بأمر الله وغيرهم من الأمراء والقضـــاة والأئمة والأعيان[3]، مرت الخلافة بدور جديد من الافاقة على عهد الخليفة المسترشد بالله 512هـــ- 523هـــ الذي عرف بعلو الهمة والرغبة في اســـترداد بعض ما كان لآل بيته من هيبة ونفاذ الكلمة[4]، وكان للظروف التي كانت تمر بها دولة السلاجقة دورٌ كبيرٌ في مساعدة الخليفة المسترشد بالله في تحقيق أغراضــه إذْ إنَّ وفاة ملكشاه كانت نهاية واضحة لقوة السلاطين السلاجقة وبداية التفكك لدولتهم وانقســام زعمائهم. وانتهى هذا باستقرار ولده السلطان محمد على العرش ثم ما لبث أنَّ الصراع إنْ تفجر مرة أخرى بعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه سنة 511هــ/ 1116م فقد تنازع على السلطنة كل من السلطان محمود ولي عهد أبيه في السلطنة والسلطان سنجر عمه الذي رأى انه أحق منه بالسلطنة فظفر بالعرش السلجوقي وأبقى محمود وليا للعهد واعترف به سلطانا على سلاجقة العراق، وأصبحت الخلافة تخطب لسلطانين في وقت واحد، وكان أخوه السلطان محمود الثلاثة آنذاك يعملون بتوجيه من أتابكيتهم فيخالفون رغبات الســـلطـان لإثارة الفتن والمشـــاكل والمنازعات ولتحريض أمراء الأطراف عليه[1]، وقد جاء في ظل هذه الظروف دور الخليفة المسترشد بالله الذي أهلته صفاته الشخصية في استثمار التحولات الدولية الجديدة والقيام بالعمل على إعادة اهمية ومكانة مؤســـســـة الخلافة، فقد كان ذا أهمية عالية وإقدام ورأي وهيبة شديدة، وضبط أمور الخلافة ورتّبها أحسن ترتيب، وشيد أركان الشريعة، وباشر الحروب بنفسه منفرداً بالعراق[2]، ولم يكن للســلطان معه في كثير من الأحيان ســوى الخطبة[3]، وإضــافة إلى العوامل المتوفرة في شــخصــية الخليفة آنفة الذكر فانه اهتم بالجوانب المحيطة به من اجل إنقاذ الخلافة فاتجه إلى العلماء وجعلهم قوته التي يستند إليها وبدأ بحشد الرأي العام لصالح الخلافة

---

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص،82.دائرة المعارف الإسلامية، مجلد12، مادة سلجوق، ص171، الديار بكري، تاريخ الخميس، ص361، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص349، الذهبي، كتاب دول الإسلامية، ص39.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص181، ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص219.

[4] عاشور: سعيد عبد الفتاح ، ظل الخلافة العباسية في الحركة الصليبية، بحث مقدم الى مؤتمر التاريخ الدولي، (بغداد- 1973)، ص1-4.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص277- 278.للتفاصيل ينظر، ألجميلي ، أمارة الموصل، ص147.

[2] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص80.

[3] أبو شامة، الروضتين، ج1، ص80.

مروراً بتهيئة السـند الشـرعي لأعمال الخليفة وإنتهاءً بالمسـاهمة الميدانية المباشـرة[4] فقد أدرك الخليفة المسـترشـد بالله ومنذ البداية أهمية الدور الذي يمكن أنْ يقوم به العلماء لصـالحه، فبدا خلافته بجعل العلماء في صـدارة المبايعين له بعد إخوته وعمومته. وقبل بقية أرباب الدولة[5]، وقد عزم الخليفة المسـترشـد بالله إلى كسـب الحنابله والعامة الذين يعاضـدونه في مشـروعه النهضـوي، وانه لم يتبنَّ بهذا سـياسـة التمييز بين المذاهب ولكن هذا لتوحيد الجبهة الداخلية واستثمار ذلك لمقارعة أعدائه، وكذلك خلو عهد المسترشد بالله من الفتن يحمل إلى الاعتقاد بأنَّهُ نجح في تطبيق سياسة أسلافه في الموازنة بين المذاهب الفقهية[6].

وهكذا آلت الظروف للخليفة المسـترشـد بالله للعمل على اسـتعادة نفوذ الخلافة وتدعيم مركزها، فشرع في التدخل في شؤون السلطنة متظاهرا بالدفاع عنها عاملاً على إصلاح شأنها[7].

أمّا أمراء السلاجقة في الموصل، فكانوا يقرون بسلطان الخليفة العباسي ونفوذه الروحي وكانوا يحرصـون على الخطبة له على المنابر في الموصـل وأعمالها وسـاهم بعض هؤلاء الأمراء في القتال لجانب الخلافة تأييدا للخليفة العباسـي ضـدَّ خصـومه، وهذه العلاقة لم تظهر بوضـوح إلاّ في أواخر عصر الأمراء السلاجقة فقد كان لمدينة الموصل دورٌ بارزٌ في الصراع بين الخلفاء العباسيين وأعدائهم فوضـع أُمراؤها مكاناتهم العسكرية في خدمة الخليفة العباسـي[1]، وان الخليفة المسـترشـد بالله قام بتوطيد الجبهة الداخلية ليقود الكفاح من اجل اسـترداد هيبة الخلافة والعمل للتخلص من الحكم السـلجوقي. ويبدو أنَّ اسـتمرار الاضـطرابات وشـدة التدخل السـلجوقي في خلافة العباسيين، وسوء تصـرف السـلاطين السـلاجقة كانت عوامل أساسية في أنْ تحفز الخليفة وليبعث روح الثورة ضد تلك العوامل والعمل على استرداد الحقوق المسلوبه من الخلافة[2].

ويعتقد المؤرخ حسين أمين أنَّ الخليفة المسترشد بالله قد أحسَّ بالظلم والآلام الشديدة التي يعانيها الشـعب الإسـلامي من الحكم المضـطرب القلق المسـتبد، وأحسَّ بانحراف السـلاجقة عن مقاصـدهم الحسـنة حين فوض العباسـيون أمورهم إلى السـلاجقة[3]، ومن مأثور قول الخليفة

---

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص197، للتفاصيل ينظر، البرهاوي، علاقة العلماء بالخلافة العباسية، ص41.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص197،.سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج1، ص52. ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص22.

[6] ابن الكارزوني،مختصر التاريخ، ص120 للتفاصيل ينظر، البرهاوي، علاقة العلماء بالخلافة العباسية، ص41.

[7] القزاز، الحياة السياسية، ص40-41.

[1] ألجميلي، إمارة الموصل ، ص147.

[2] أمين، تاريخ العراق، ص140.

[3] أمين: حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص140-141.

المسترشد بالله، قوله: ((فوضنا أُمورنا إلى آل سلجوق، فبغوا علينا، فطال عليهم الأمر، فقست قلوبهم، وكثير منهم فاسقون))[4]، وأنَّ هذا النص دليل قوي على تفهم عميق وإدراك بالغ لما وصلت إليه الأمور من التحكم الاستبدادي والظلم والفساد.

وهكذا كان الخليفة المسترشد بالله العباسي حريصا كل الحرص على إبعاد كل خطر عن الخلافة والقضاء على كل حالة جديدة تسبب إضعافها أو إحداث المخاطر لها[5].

ومن أهم هذه الأخطار هو الخطر الداخلي الذي تمثل بـ(أمير الحلة) دبيس[*] بن سيف الدولة صدقة بن منصور الازدي، وخروج أخيه الأمير أبو الحسن بن المستظهر إذْ انه في أول يوم بويع فيه المسترشد بالخلافة تسلل وانحدر إلى المدائن، وسار منها إلى دبيس بن صدقة بالحلة[6]، فلما علم الخليفة المسترشد بالله بخروج أخيه، اتخذ موقفاً حازماً ضده خشية أنْ يتفاقم أمره ويسعى إلى إثارة الفتن فأرسل الخليفة نقيب النقباء علي بن مراد الزيني إلى الحلة وأمره أنْ يأخذ البيعة من دبيس ويطلب منه أن يسلم إليه الأمير أبا الحسن، ولكن دبيس بن صدقة كان قد طلب ألامان للأمير أبي الحسن من الخليفة ليبقيه عنده إلاَّ أنَّ الأمير أبا الحسن خرج عن حقوق الجوار وطمع بأملاك الخليفة فغضب عليه دبيس وأرسل إليه من يتعقبه في أراضي واسط حتى تمكن من القبض عليه من قبل أنصار دبيس وتسليمه إليه، وسلمه دبيس بدوره إلى الخليفة المسترشد بالله. وعاش الأمير أبو الحسن بقية حياته محجوزا في أحد دور الخليفة وهو يعيش عيشةً جميلةً[1] إذْ إنَّ الخليفة بذل له عشرين ألف دينار وكان عندما دخل على الخليفة المسترشد بالله قبل قدميه وقبله المسترشد بالله وبكيا وانزله في الدار التي كان يسكنها الخليفة قبل أنْ ولي الخلافة وحمل إليه الخلع والتحف الكثيرة وطيب نفسه وأمَّنَهُ[2].

إلاَّ أنَّ الأخبار ذكرت بأنَّ الأمير توفي في السجن[3] ونفهم من هذه الحادثة وغيرها أنَّ الخليفة كان حذراً وشديد التمسك بأهداب الدين وأصوله وناهياً عن المنكرات وملاحقا دور الخمر

---

[4] السمرقندي، أحمد بن عمر علي نظامي عروضي، جهار مقاله ترجمة عبد الوهاب عزام، يحيى الخشاب ليدن1327 وطهران 1311، ص31. نقلاعن أمين، تاريخ العراق، ص141، نقلا عن السمرقندي، أحمد بن عمر علي نظامي عروضي، جهار مقاله- ترجمة عبد الوهاب عزام، يحيى الخشاب ليدن1327 وطهران 1311، ص31.

[5] ابن الجوزي، المنتظم ، ج9، ص198.

[*] دبيس بن سيف الدولة صدقة بن منصور الازدي.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج9، ص282، ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص198.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص282، ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص222.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص282.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص205.

والســعي إلى نشــر العدل والأمن في ربوع بلاده ومما يؤكد ذلك أنَّ الخليفة لاحق حانات الخمر ففي سنة 514هـ/1120م أمر الخليفة بإراقة الخمور التي بسوق السلطان وهدم بيوتهم[4].

يضاف إلى ذلك أنَّ الخليفة المسترشد بالله أراد التخلص من كل خطر يهدد كيان الخلافة ويزيل كل أنواع القلق والخطر في دولته، فأراد التخلص من دبيس بن صـــدقة الذي كان كثيرا ما يثير المشــاكل والقلاقل للدولة العباســية، فلما كان دبيس بن صـــدقة أمير الحلة فانه قد انتهز فرصــة الخلاف القائم بين السـلطان محمود وأخيه مسـعود وما تبع ذلك من هزيمة أخيه مسـعود أمام السلطان محمود وقام بنهب البلاد، وتوجه إلى بغداد لتهديدها ومضايقتها دون أنْ يعبأ بنداء الســـلطـان محمود، ويبـدو أنْ دبيس كـان يرمي من جراء هذه الحركـة قطع خط الرجعـة أمـام السلطان محمود والسيطرة على بعض المناطق واخضاعها لنفوذه[5]، وحركته هذه انتهت بالفشل، واضـطر دبيس على أثرها إلى اللجوء إلى ايلغازي بن ارتق في سـنة 514هـــ/ 1120م فأرسـل الخليفة المسترشد بالله إلى البلغازي أبا المنصور إبراهيم بن سالم الهيتي حاملاً رسالة من الخليفة والسلطان يطالبا إليه العمل على إبعاد دبيس[6].

إلاّ أنَّ دبيس نجح في الاستيلاء على الحلة، في سنة 515هـــ/1121م وارسل السلطان في الصــلح لكنه فشـل في تحقيق ذلك وأمر السـلطان على محاربته فأنفذ إليه جيشـا كبيرا وبهذا اضـــطر الســـلطان إلى الرحيل عن الحلة، ثم لم يلبث أن توصـــل إلى عقد الصـــلح بينه وبين السلطان محمود وقد أتم هذه المصالحة برنقش الزكوي، وأسفر الصلح على أنْ يرسل دبيس أخاه منصـور إلى السلطان رهينة، وان يتعهد دبيس بطاعة السلطان على أنْ تبقى الحلة بيده، وعادت عساكر السلطان إلى بغداد سنة 516هــــ/1122م[1] لكن هذا الصـلح لم يحظ برضـى الخليفة المسترشد بالله لأنَّه يرى أنَّ وجود دبيس في الحلة يشكل خطراً على بغداد. ويشير ابن الأثير إلى أنَّ المسترشد بالله راسل السلطان محمود على إبعاد دبيس عن العراق إلى النواحي الاخرى[2]، إذْ إنَّ الخليفة طلب من السـلطان محمود إحضــار البرســقي قبل رحيله من بغداد إلى همدان، وأكد هذا الطلب على الســـلطان محمود وحذره من إهمال أمره هذا، وذكر أنَّ دبيس يطالب الناس بحقوق له ومنها قتل أبيه[3]، فاستجاب السلطان هذه المرة للخليفة وأرسل إلى الموصل لإحضار

---

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص218.

[5] ناجي:عبد الجبار ، الإمارة المزيدية، دراســة في وضــعها الاقتصـــادي والاجتماعي، دار الطباعة الحديثة (1970) ص137- 138.

[6] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص227.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص307.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص307.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص307.

اقسنقرالبرسقي فاقبل الى بغداد وخرج وزير السلطان لاستقباله[4]، ففوضه السلطان شحنة بغداد وأمره بقتال دبيس إذا تعرض للبلاد[5]، ثم رحل السلطان عن بغداد سنة 516هـ/1122م وكان مقامه فيها سنة وسبعة اشهر وخمس عشرة يوم[6].

ثم خرج اقسنقرالبرسقي ليلقي دبيس بعد أن اجتمعت له العساكر وكان دبيس قد عبر الفرات وأرسل إلى البرسقي يقول له: ((قد أغنيتك عن العبور وصرت معك على أرض واحدة))[7]، وتم الاشتباك بين الفريقين في ربيع الأول 516هـ/ 1122م، وانتهى القتال بهزيمة البرسقي. ويعلل المؤرخون أسباب الهزيمة بأَن اقسنقرالبرسقي رأى خللا في ميسرة جيشه فأمر بنصب خيمته عندهم تشجيعاً لهم على مواصلة القتال فلما رأوا عمود الخيمة قد سقط لاذوا بالفرار وكان حرٌ شديدٌ فهلكت دوابهم[8]، ولم يحاول دبيس الزحف إلى بغداد أو القيام بأعمال تخريبية كما كان يتوقع منه، بل أرسل إلى الخليفة العباسي يخبره بأنَّه ما زال على الطاعة له بدليل أنَّهُ لم يعمد إلى الفتك بالبرسقي وجميع عساكره وإنما اكتفى بهذا النصر البسيط[1]، وعقد الصلح بين الطرفين على أنْ يقبض الخليفة على وزيره جلال الدين أبي علي بن صدقة، فقبض على الوزير ونهبت داره[2]، ولما بلغ السلطان محمود هزيمة البرسقي، بادر بالقبض على منصورين صدقة أخي دبيس وولده وأمر بوضعهما في قلعة برحين[3]، أمّا دبيس فقد أمر جماعة من أتباعه بالمسير إلى اقطاعهم بمدينة واسط[4]، وهذه الحرب كانت بمثابة احترام لطلب الخليفة واستجابة السلطان له لردع دبيس وأعوانه ووضع حد لتصرفاته الخاطئة تجاه الخلافة.

ولكن لم يستمر أمد الصلح بين دبيس والخليفة المسترشد بالله، فسرعان ما استؤنفت الحرب بين الطرفين في محرم سنة 517هـ/ 1123م، وكان السبب في ذلك أنَّ دبيساً كان قد أرسل مجموعة من أصحابه استاقوا مواشي نهر الملك في رمضان سنة 516هـ/ 1122م فأرسل الخليفة إلى دبيس الخادم عفيفاً ينكر عليه ذلك إلاّ أنَّ دبيس لم يكترث لنداء الخليفة، وأصَّر على موقفه متذرعاً بنقض الخليفة لشروط الاتفاق الذي سبق أن عقده معه[5]، وانه لم ينفذ هذه

---

[4] ابن الجوزي، المنتظم،ج9، ص307.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص308.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص308، ابن الجوزي، المنتظم،ج9، ص232.

[7] ابن الجوزي، المنتظم،ج9، ص233.

[8] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص237.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص307-308.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص233.

[3] تقع هذه القلعة بالقرب من كرج. ابن الأثير، الكامل، ج8، ص308.

[4] ابن الأثير، الكامل ج8، ص308.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص235.

الشروط سوى تنحية الوزير ابن صدقة وكان الوزير ابن صدقة قد اختار المقام في حديثة الفرات عند سليمان بن مهارش[6]، ولكن دبيس أرسل رسالة إلى الخليفة حملها إليه عفيفا الخادم هدد فيها الخليفة وأوعده بنهب بغداد وتخريبها وحقا أرسل في شهر رمضان بعض رجاله فنهبوا نهر الملك وعاثوا فيه الفساد، فعلم الخليفة المسترشد بالله مضمون الرسالة وغضب وأمر البرسقي بالخروج إلى حرب دبيس، ثم استدعى الخليفة العساكر من الأطراف فاحتشدت إليه جموع كبيرة من الجيش وتوزعت عليهم الأموال والسلاح[7]، وقد انظم البرسقي وجيشه إلى جيش الخليفة الذي خرج من بغداد في محرم سنة517هـ/ 1123م حيث نزل الخليفة في حديثة بنهر الملك وأرسل إلى البرسقي واستحلفه على المناصرة في الحرب، ثم تقدم جيش الخليفة، واستعد للقتال، ورتب البرسقي جيش الخليفة صفوفاً ثم وقف موكب الخليفة خلفهم وهو ينظر إليهم وهم ينظرونه. أما دبيس فانه جعل أصحابه صفاً واحداً، ميمنة وميسرة وقلبا[1]، ووعد دبيس اصحابه بنهب بغداد وسبي النساء واصطحب معه البغايا والمخانيث بالملاهي والدفوف يحرضون الجند. في حين لم يسمع في عسكر الخليفة إلاَّ القران والتسبيح والتكبير والدعاء، وكان أهل بغداد يتجمعون في المسجد للدعاء وختم القران والابتهال إلى الله سبحانه وتعالى وطلب النصر [2]، وشرع الفريقان في القتال فدارت رحى المعركة. وانتهز عماد الدين زنكي وكان يتولى قيادة عسكر واسط فافشل هجوم عنترة بن ابي العسكر، على ميمنة البرسقي، فنجح في تمزيق قوته ووقع عنتر في الأسر هو وقوته، ثم خرج الأمير بوري في الكمين وكان في خمسمائة فارس فانقض على عسكر دبيس واشتد القتال بين الطرفين فانهزم عسكر دبيس. وقتل منهم كثيرا، والقوا بأنفسهم في الماء. فغرق كثير منهم، لما رأى الخليفة اشتداد الحرب جرد وكبر وتقدم الى القتال، فلما انهزم دبيس عاد الى بغداد فدخلها يوم عاشوراء عن سنة 517هـ/ 1123م[3]، ان هذا الانتصار الحاسم على دبيس استرجع للخليفة نفوذه، فأخذ يباشر سلطاته الدينية بنفسه، حيث شرع في بناء سور بغداد بالإضافة إلى إقدامه على إعفاء وزيره أحمد بن نظام الملك الذي فرضه عليه السلاجقة واستدعى وزيره عميد الدولة ابن صدقة من حديثه فاسند إليه الوزارة[4].

---

(6) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص309.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص 300.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص242.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ9، ص242، سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، جـ8، ص109.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص243، الذهبي، العبر، ج4، ص39.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص309.

اما دبيس فقد تمكن من الهرب من عسكر البرسقي فعبر الفرات وقيل انه قتل، ثم وصل الخبر بأنَّه قصـــد قبيلة غُزَيَة من عرب نجد وطلب منهم التحالف معه لمهاجمة العراق إلا أنهم رفضـوا ذلك خوفاً من الخليفة والسـلطان ولم يكن من مصـلحة القبيلة ذلك، وفضـلاً عن هذا لا تربطهم بدبيس رابطة قرابة أو نسب وقد عبروا عن ذلك بقولهم : ((ما يمكننا معاداة الملوك ونحن بطريق مكة المكرمة وأنت بعيد النسـب))[5]، وأشـاروا عليه بان يقصـد بني المنتفق، فتوجه إليهم وأقنعهم بمساعدته في الإغارة على البصرة، فساروا معه في ربيع الأول سنة 517هـــ/1123م ونهبوا البلد واجلوا أهله عنه، وقتلوا مقدم عسـكرها[6]، ولما علم الخليفة المسـترشـد بالله ما فعله دبيس بالبصـــرة، أرســل إلى البرســقي وعاتبه على إهماله لما أمر به دبيس، وحمله مســؤولية المحافظة على البلاد وحثه على معالجة الموقف والعمل على إبعاده من البصـــرة ولم يتردد البرسقي عن هذا الأمر وعمل على تنفيذ أمر الخليفة لقتال دبيس، فلما علم دبيس بتوجه البرسقي على مواجهته رحل عن البصـرة إلى قلعة دوسـر (جعبر) [1]، فقد التجأ إلى سـالم بن بدران بعد هزيمته أمام جيش الخليفة بقيادة البرســقي فاســتجار به فأجاره[2] ثم كاتب بعدها قوماً من أهل حلب وبعدها الري وبقي متنقلاً هنا وهناك يثير الفتن والاضطرابات بين السلاطين وأبناء الشعب والخلافة، وفي محرم سنة 523هـ/1129م دخل السلطان محمود إلى بغداد، وتوسط لدى الخليفة ليرضــى عن دبيس وان يسـلم إليه بلاد الموصـل، فامتنع الخليفة من ذلك، هذا وقد تأخر دبيس عن الدخول إلى بغداد، ثم دخلها وركب بين الناس فلعنوه، وشتموه ، وقدم عماد الدين زنكي فبذل للسلطان في كل سنة مائة ألف دينار، وهدايا وتحفا، والتزم للخليفة بمثلها على أنَّ لا يولي دبيس شيئاً، وعلى أنْ يستمر زنكي على عمله بالموصل فأقروه على ذلك وخلع عليه[3].

وبهذا استطاع الخليفة المسترشد بالله ان يوحد الجبهة الداخلية ويحكمها بنفسه دون تدخل الغير فيها، ويوطد الأمن الداخلي بها ويضـــرب بكل قوة وإيمان على يد كل جبار ومتطرف ومتغطرس.

أمَّا عن العلاقات السلجوقية العباسية فإنَّها أخذت طابعاً جديداً في عهد الخليفة المسترشد بالله، ويرجع السبب في ذلك إلى عزم الخليفة المسترشد على التخلص من النفوذ السلجوقي الذي أصـابه الضـعف والفساد بسبب المنازعات التي قامت بين السـلاجقة حول السلطنة، وقد استغل الخليفة العباسـي هذه المنازعات وأخذ يتدخل في شـؤون السـلطنة ويحشـد بعضـهم على الآخر،

---

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص245.

[6] ابن الأثير، الكامل ج8، ص309، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج4، ص157.

[1] ابن الأثير، الكامل ج8، ص 316.

[2] ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص221-222.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية ،ج12، ص199.

يضـــاف إلى ذلك أنَّ الخليفة اخذ يتحين الفرص للإيقاع بهم جميعا رغبة في اســتقلال الخلافة وتحريرها من نفوذ السلطنة السلجوقية[4]، ففي سنة 511هـــ/ 1113م فقد مرض السلطان محمد بن ملكشـاه بن ألب أرسـلان فلما أيَّس من نفسـه احضـر ولده محمود وقبله وبكى الاثنان فأمره والده أنْ يخرج ويجلس على تخت السلطنة وعمره آنذاك اقل من خمسة عشر سنة، فقال لوالده(انه يوم مبارك) فقال والده: ((صـــدقت ولكن ليس على أبيك وأمّا عليك فمبارك بالسـلطنة[5]))، وفي شـعبان سـنة 515-1117م اسـتقبل الخليفة المسـترشـد بالله الأخوين، السـلطان محمود ومسعود فقد جلس في دار الخلافة فقبلوا الأرض بين يديه، فخلع الخليفة على محمود سبع خِلَعٍ وطوق وسوارين وتاجاً وأجلسه على كرسي ثم وَعَظَهُ الخليفة، وتلا عليه قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم **((فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ))**[1]، وأمره بالإحسان إلى الرعايا، وعقد له لواءين بيده وقلده الملك، وخرجا من بين يديه مطاعين معظمين[2]، وفي سنة 520هـ/ 1122م تراسل السلطان محمود الخليفة العباسي المسترشد بالله على السلطان سنجر[3]، وأن يكونا عليه، فلما علم بذلك ســــــنجر كتب إلى ابن أخيه محمود ينهاه ويستميله إليه، ويحذره مما يبيته لهم الخليفة وانه لا تؤمن غائلته، وأنَّهُ متى فرغ حتى دار إليك فأخذك وعليك أنْ ترجع إلى بغداد ومعك العســاكر فتقبض على وزير الخلافة ابن صـــدقة وتقتل الأكراد الذين قدمهم وتأخذ النزل الذي عمله وجميع آلت السفر، وتقول للخليفة ((أنا سيفك وخادمك، وأنت تعود إلى دارك على ما جرت به عادة آبائك... وإلا لم يبق لك ولا لي معه حكم))[4]، ويبدو أنَّ السلطان محمود كان قد تأكد له عزم الخليفة المسـترشـد بالله على إبعاد السـلاجقة عن العراق وخاصـة حين أبلغه شـحنة بغداد برنقش الزكوى أنَّ المسترشد بالله يطمع في السلطة وأنَّهُ من اجل ذلك كاتب أمراء الأطراف وأعدَّ الجيوش فاظهر السـلطان عندئذ عزمه على التوجه والمسـير نحو العراق لإخضـاع الخليفة العباسـي[5]، فقد علم الخليفة المسـترشـد بذلك وأرسـل إلى السـلطان رسـولاً ينهاه عن التوجه الى

---

[4] الخالدي، الحياة السياسية، ص216.

[5] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص347.

[1] سورة الزلزال، الآيات 7-8.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية،ج12، ص188.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية،ج12، ص195.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص254. للتفاصـيل ينظر، ألخالدي: فاضـل، الحياة السـياسـية ونظم الحكم في العراق، ص207.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص254-256.

بغداد بحجه الغلاء وقلة الأقوات في هذه المدينة وما لهذه المدينة وأهلها من الضعف والوهن بسبب دبيس وإفساد عسكره فيها، فضلاً عن انَّه أرسل إلى وزير السلطان كتابا في هذا المعنى نفسه[6].

ولكن السلطان لم يلتفت إلى طلب الخليفة وسار إلى العراق سنة 520هـ/ 1122م وقبل قدومه بغداد خرج الخليفة من داره وأرسل من ينادي في بغداد أنَّ يعبر الناس إلى الجانب الغربي من المدينة، وتأهب الخليفة للقتال، ولكنه عدل رأيه حين بلغه ما يلاقيه الناس من الصعاب، وقرر أنْ يترك الجانب الشرقي من بغداد ويتركه للسلطان حقنا لدماء المسلمين فعبر الخليفة وجيشه إلى الجانب الغربي، الأمر الذي أزعج السلطان محمود فأرسل إلى المسترشد بالله يستعطفه ليعود إلى داره[1].

ويذكر ابن كثير أنَّ ((الخليفة خطب بالناس في عيد الأضحى خطبة عظيمة بليغة، وكبر وراءه خطباء المساجد فكان يوماً مشهوداً ولما نزل الخليفة عن المنبر ذبح بدنة بيده، ودخل السرادق وتباكى الناس ودعوا للخليفة بالتوفيق بالنصر، ثم دخل السلطان محمود إلى بغداد يوم الثلاثاء 18 ذي الحجة فنزلوا في بيوت الناس وجعل للناس منهم أذى كثيراً في حربهم، ثم إنَّ السلطان راسل الخليفة في الصلح فأبى ذلك الخليفة، وركب في جيشه وقاتل الأتراك))[2]، واستمر السلطان محمود يدعو الخليفة العباسي إلى الصلح والعودة إلى داره إلا أنَّ الخليفة المسترشد بالله كان مصرا على رحيل السلطان عن العراق[3] فاستمر القتال بين جند الخليفة والسلاجقة حتى وصل جماعة من جند السلطان إلى دار الخلافة فنهبوا الأموال وخرج الجواري وهن حاسرات يستغثن حتى دخلن دار الخاتون[4].

ويقول ابن الجوزي: ((انا رايتهن كذلك، فلما وقع ذلك ركب الخليفة في جيشه فكسروا جيش السلطان وقتلوا خلقاً من الأمراء، وأسروا آخرين ونهبوا دار السلطان ودار وزيره ودار طبيبه أبي بركات، وأخذ ما كان في داره من الودائع ونالت العامة من السلطان، وجعلوا يقولون له يا

---

[6] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص321.

ابن كثير، البداية والنهاية،ج12، ص195.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص321-322.

[2] البداية والنهاية، ج12، ص195-196.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص2-3، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص752.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية،ج12، ص197.

باطني تترك الفرنج والروم وتقاتل الخليفة))[5]، ثم استمر القتال، وكاد الخليفة المسترشد بالله ينتصر مع جنده على السلطان محمود لولا انحياز احد الأمراء الموالين إلى الخليفة مع جنده إلى السلطان محمود فضلا عن أنَّ وصول عماد الدين زنكي على رأس جيشه إلى بغداد لنجدة السلطان غيَّر نتيجة الحرب وبدل الموقف، فطلب السلطان من الخليفة ألامان والصلح فوافق الخليفة على ذلك وتباشر الناس بالصلح[6]، فأرسل الخليفة إلى السلطان نقيب النقباء وقاضي القضاة، وشيخ الشيوخ، وثلاثين شاهداً فحبسهم السلطان عنده ستة أيام، فساء ذلك على الناس وخافوا من فتنة أخرى أشد من الأولى ثم دخل رسل الخليفة على السلطان في وقت صلاة المغرب وصلى بهم القاضي وقرأوا عليه كتاب الخليفة فقام قائما فأجاب الخليفة إلى جميع ما اقترح عليه ووقع الصلح والتحليف ودخل جيش السلطان وهم في غاية الجهد من قلة الطعام عندهم في المعسكر وقالوا: ((لو لم يصالح لمتنا جوعا))[1]، واعتذر السلطان محمود للخليفة عما بدر منه. وأمر الخليفة برد ما نهب من دور الجند وان من كتم شيئاً أُبيح دمه[2].

ويذكر ابن كثير أنَّ في سنة 522هـ/ 1124م تصالح السلطان محمود مع عمه سنجر وذلك بعد خشونة وجفاءٍ كبيرٍ وسلم سنجر دبيساً إلى السلطان محمود على أن يسترضي عنه الخليفة ويعزل زنكي عن الموصل، ويسلم الموصل إلى دبيس. ودارت الأخبار في بغداد أنَّ دبيساً أقبل إلى بغداد في جيش كثيف، فكتب الخليفة إلى السلطان محمود (إنْ لم تكف دبيسا عن القدوم إلى بغداد وإلاّ خرجنا إليه ونقضنا ما بيننا وبينك من العهود والصلح)[3]، ويستخلص صالح رمضان حسن عدد من الملاحظات تتعلق بمقاومة الخليفة المسترشد بالله للسلطان محمود منها: عمق العلاقة بين الناس وخليفتهم، كما يتضح مدى اعتماد الخليفة على جماهير الشعب في مواجهة خصمه ومن جانب آخر يتبين كره الشعب ونبذهم للحكام الأجانب لما حلَّ بالبلاد من مآسٍ على أيديهم، وبسبب سياستهم البعيدة عن أماني ومصالح الأمة،

---

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ص259.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص2-3، ابن كثير، البداية والنهاية،ج12، ص197، ألبنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص152.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية ،ج12، ص196-.197.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية،ج12، ص197.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية،ج12، ص998-999.

والخليفة المسترشد بالله كان يعلم بما يخطط له السلطان محمود ضده وهذا يدل على وجود متعاطفين مع الخليفة من بين كبار مستشاري السلاجقة[4].

وفي هذا المجال نذكر ما أشار إليه ابن الجوزي إلى أنَّ السلطان محمود اختلف مع وزيره واعتقله بتهمة التعاون مع الخليفة ووزيره. مما أدى إلى فشل تدبير السلطان[5]، ويبدو لي ان هذا التعاون كان نتيجة اعتناق الطرفين للدين الإسلامية والتمسك بمبادئه وبالروح الإسلامية والأيمان بالله تعالى والعقيدة السمحة.

وبعد فشل السلطان محمود في مهمته غادر بغداد في أوائل سنة 525هـ/ 1127م بسبب خروج أخيه محمد على طاعته ومطالبته بالسلطنة وقد انتهز الخليفة المسترشد بالله العباسي هذه الفرصة وطالب السلطان محمود قبيل رحيله لحرب أخيه، أن يكون في حل من التزاماته نحوه، ومما قاله الخليفة للسلطان[1]: ((انك تعلم ما بيني وبينك من اليمين والعهد واني لأخرج ولا أدون عسكرا، وإذا أخرجت عادا العدو (دبيس) وملك الحلة)). وقد رد السلطان محمود على الخليفة قوله[2]: ((متى رحلت عن العراق، ووجد له حركه، وخفت على نفسك وعلى المسلمين وتجدد لي أمر مع أخي فلم أقدر على المجيء، فقد نزلت عن اليمين التي بيننا، فما رأيت من المصلحة فافعله))[3].

وبهذه السياسة التي اتبعها الخليفة المسترشد بالله وبفضل ما عرف عنه من حسن تصرف استطاع أن يتخلص من القيود التي فرضها عليه السلطان محمود ويعود إلى إعداد الجيوش، والخروج بنفسه إلى قتال السلاجقة[4]. وفي سنة 525هـ/ 1127م توفي السلطان محمود

---

[4] حسن، مقاومة الخلافة العباسية ، ص154.

[5] المنتظم، ج10، ص5.

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص20.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص20.

[3] ابن الجوزي، المنتظم ، ج10، ص45.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص45-50، ابن طباطبا، الفخري ، ص220.

بن السلطان محمد بهمدان وكان عمره سبع وعشرون سنة وولايته ثلاثة عشرة سنة[5] وخطب لولده داود بالسلطنة في بلاد الجبل[6].

المبحث الثالث
الخليفة المسترشد بالله وعلاقته بالسلاطين السلاجقة
بعد وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/ 1127م

بعد وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1127م بدأت مرحلة جديدة من التنافس والصراع على السلطة بين السلاجقة أنفسهم فهيّأت للخليفة فرصة على المضي في استرداد السلطنة من السلاجقة وإضعاف دورهم.

فقد تولى داود ابن السلطان محمود السلطنة بعد وفاة والده في بلاد الجبل واذربيجان إلاّ أنَّ ابن عمه السلطان مسعود بن محمد بن ملشكاة، وقف ضده فكان الظفر لمسعود وخطب له بالسلطنة على منابر بغداد إلاّ أنَّ هذا لم يرق لعميد البيت ورئيسه السلطان سنجر فأقبل من خراسان قاصدا دفع مسعود وإبعاده عن السلطنة إلاّ أنَّ مسعود سار إليه فالتقى الجيشان وكانت نتيجة المعركة انهزام مسعود وحل جيشه وتحكم سنجر فيما بقى[1] ثم أرسل وراء ابن أخيه من يعيده فعاد إليه فلما حضر عنده قبله وأكرمه وعاتبه على عصيانه ومخالفته ولم يعده إلى السلطنة بل اجلس الملك طغرل ابن أخيه محمد مكانه وخطب له في جميع البلاد ثم عاد إلى

(5) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص353، الخضري بك، محاضرات، ص447.

(6) الخضري بك، محاضرات، ص447.

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص233. للتفاصيل ينظر، الخضري بك، محاضرات ، ص447.

نيسابور[2]، فلما رأى ذلك مسعود خرج من مكانه وتوجه إلى بغداد ثانيا ومعه جمع من الجيوش فدخلها فقابله الخليفة بالإكرام فخطب له في بغداد وولاه السلطنة[3]، ووعده أن يرسل معه جيشا لمحاربة طغرل وقد وفى بما وعد فسارت الجنود المسعودية صوب طغرل حتى التقوا به عند همدان فكانت بينهما موقعه انهزم فيها طغرل واستقر الأمر ثانية للسلطان (غياث الدين والدنيا أبو الفتح مسعود بن ملكشاه) [4].

وإنَّ هذا الخلاف بين أفراد البيت السلجوقي قد أصبح مصدر قوة للمسترشد إذْ صار صاحب الأمر الذي يجب أن يطاع لا بالقوة المعنوية بل بقوة السيف أيضاً، فقد صار تحت أمره رجال وجيش يلبون دعوته وينفذون كلمته وقد حصل بسبب ذلك خلاف ونفرة بينه وبين السلطان مسعود أدت إلى أن أمر الخليفة بقطع خطبه عن مسعود من منابر بغداد، ولم يقف عند ذلك بل جهز جيشه لحرب مسعود بدار سلطنته[5]، ثم توفي السلطان طغرل بن محمد عام 528هـ/1133م، وأصبحت هناك فرصة لمسعود كي يظهر نواياه الحقيقية اتجاه الخلافة، وبعد ان استقر في همدان وسيطر على ممتلكات أخيه المتوفى وظهرت العداوة على ملامحه إذ تواردت الأنباء عن قيامه بجمع العساكر لقصد بغداد وأخذها من الخليفة[1]، ونتيجة لهذا الموقف ضد الخلافة عزم الخليفة على معاقبة السلطان مسعود وقتاله، وبخاصة بعد علمه بقيام مسعود ودبيس بأعمال استفزازية ووصول تحركاتهم إلى حلوان، وهذا مما جعل الخليفة يرسل قوات لردعهم وتأمين حماية الطريق حتى يلحقهم على رأس قواته[2] وتسارعت الاحداث عام 529هـ/1134م فقد كشف عن خطة رسمها سنجر ضد الخليفة المسترشد بالله وأرسل إلى ابن أخيه مسعود كتاباً لكسب الأمراء الذين كانوا مع طغرل والاستفادة منهم[3]، فقد قام مسعود بالاتفاق معهم للقيام بمهمة ينفذها ضد الخلافة مقابل العفو عنهم واختبار إخلاصهم، فقد خرج هؤلاء الأمراء من طاعة مسعود وأعلنوا إنضمامهم إلى جيش الخليفة وأخذوا يحرضونه على الخروج والاستعجال والحركة في التوجه لقتال السلطان مسعود[4]، وقد أشير على الخليفة في حينها بان

---

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص236.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص204، الذهبي، دول الإسلامية، ص48.

[4] الخضري بك، محاضرات، ص448.

[5] الخضري بك، محاضرات، ص448.

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص43.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص43.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص43.

[4] ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص249.

هذه مكيدة مدبرة لان دبيس معهم[5]، وكما ان الســـرعة التي تم فيها انفصــــال هؤلاء الأمراء السلاجقة عن مسعود ووصولهم بغداد تثير الشك ولا يستبعد أن تكون هذه مكيدة لسحب الخليفة المسترشد بالله وجيشه إلى خارج بغداد للتخلص من موالاة الشعب وإلتفافه حول الخليفة وقبل أن يستكمل استعداداته وحشوده، فقد أرسل الخليفة مقدمة جيشه خارج بغداد تمهيداً لتحرك بقية الجيش لكن هذه المقدمة تعرضت لغارة خاطفة من قبل جيس مسعود بقيادة دبيس فنهبوهم وعادوا إلى بغداد في أسوء حالة[6]، وقد تأثر الخليفة المسترشد بالله من غارة مسعود الغادرة وتأكد له بفساد نية مسعود لذلك أمر بقطع خطبته واستفتى الفقهاء فأفتوا بعزله وقتاله[7]، إلاّ أنَّ هناك شكاً أثاره الوزير بن علي بن طراد الزينبي: (إلى أين نمضــي وبمن نعتضـد والى أين نلتجىء ومقامنا في بغداد أمكن لنا، ولا يقصــدنا احد، والعراق فيه الكفاية لنا. وقد أشــار إلى خروج الحســين بن علي (رضـــي الله عنه) الى العراق وما جرى له ولو اقام بمكه ما اختلف عليه احد من الناس[1]) ولكن هذه النصيحة لم يتعض بها الخليفة لكونه كان متحمسا ومؤمنا بحربه ومندفعا لها كثيرا وقد تجمعت له العساكر فكان جوابه بيت شعر لابي الطيب المتنبي:

اذا لم يكن من الموت بد   فمن العجز ان تموت جبانا[2]

وخرج الخليفة من بغداد على راس جيش بلغ ســـبعة الاف فارس[2] في موكب مهيب، كبار الشــخصــيات والاطباء والشــعراء والفقهاء والصــوفية[4] في يوم الخميس الثامن من شــهر شعبان عام 529هــ/ 1134م كما كاتبه على طاعته امراء الاطراف[5] وعندما ابتعد الخليفة عن بغداد وقصد مسعود في همدان بانت حقيقة مواقف امراء الاطراف السلاجقة حيث خانوا الخليفة وانحازوا الى السلطان مسعود واصبحوا ضمن حيشه، كما انسحب سرا بعض الامراء من جيش الخليفة فبقي مع الخليفة خمســة الاف فارس، كما ان النجدة التي ارســلها عماد الدين رانكي لم

---

(5) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص347.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص43.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص44.

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص59.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ط9، ص59.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص44-45.

(4) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص 44-45.

تصل في حين ارتفع جيش مسعود الى خمسة عشر الف[6] كما يشير ابن الكازروني الى وجود مراسلات سرية واتصالات بين السلطان مسعود وعدد من الامراء في جيش الخليفة فانقلبوا الى مسعود[7] ثم واصل الخليفة سيرة نحو قتال مسعود الى ان وصل الى كرمنشاه، وخطب يوم الجمعة خطبة بليغة، اكد فيها عن ضيق صدره وضعف رجاله شاكيا فيها خيانة الامراء له[8] كما عقد الخليفة اجتماعا ظم كبار مستشاريه وقادة جنده اوضح فيه شعوره بالاسى والالم لموقف الخونة من المتآمرين والامراء الذين اظهروا خلاف ما كان يظن، رغم تعاونه معهم بحسن نيه وثقة عالية.

كما عزم الخليفة على قصد السلطان وعندما اقترب من مكان المعركة اشرف بنفسه على توزيع جيشه بشكل صفوف ووقف هو في القلب استعداد للمعركة التي وقعت في يوم الاثنين عاشر رمضان عام 529هـ/ 1134م[1] في منطقة يقال لها (وادي مرك)وهو موضع مجاور لجبل بهستون بالقرب من همدان[2] وقد تعزز مسعود وجيشه بجيش كبير ارسله سنجر[3] وقبل ان يلتحم الجيشان كانت الخيانة الكبرى بانحياز ما تبقى من الامراء الترك الى جانب مسعود[4] وبقي الخليفة المسترشد بالله في ساحة المعركة وحيداً يقاتل مع عدد قليل من اتباعه والمخلصين له دون تراجع او تخاذل، وحينما اشير عليه بالانسحاب قال: ((مثلي لايهرب اما لحد ضيق او ملك الدنيا[5])) وظل يقاتل بشجاعة فائقة الى ان طوق به عسكر السلطان مسعود من كل جانب وقادوا فرسه مع عدد من كبار اصحابه الذين اسروا معه الى خيمة اعدت له ووضعوه تحت الحراسة[6]. ونهب عسكر الخليفة واموالهم وسيطروا على كل ما

---

[6] ابن الجوزي،المنتظم، ج12، ص 42-45.

[7] ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص221.

[8] السمرقندي، جهار مقالة، ص30-31.

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص45.46، ابن الأثير، الكامل ، ج8، ص347، ابن العمراني، الانباء، ص219-220.

[2] الفارقي، هاش ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي، ص250، للتفاصيل ينظر، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص163-165.

[3] الفارقي، هامش ذيل تاريخ دمشق للقلانسي، ص250.

[4] ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص249.للتفاصيل ينظر، الجويني: علاء الدين، تاريخ جهالكشاري، تحقيق محمد عبد الوهاب القزويني، (لندن- 1977)، ج3، ص218.

[5] ابن العمراني، الانباء، ص220.

[6] ابن القلانسي،ذيل تاريخ دمشق، ص 249، ابن العمراني الانباء، ص220.

كان مع الخليفة. ثم سـجن كبار اصـحابه في احد القلاع[7] وحين وصـل خبر اسـر الخليفة المسترشد بالله الى بغداد في ايام عيد الفطر المبارك عام 529هـ/ 1134م، وثب اهل بغداد على الخطيب وكسروا المنبر والشباك وخرجوا الى الاسواق يبكون ويحثون على رؤوسهم الثراب[8]. وقد ارسل السلطان سنجر وفدا حاملا رسالة الى السلطان مسعود لاصلاح الحال بين الخليفة والسلطان فخرج السلطان لاستقبالهم[9] .

حيث عقد صلحا مع الخليفة كان من شروطه اعادة الخليفة الى بغداد[1]. ولكن السلطان مسـعود لم ينفذ ما اتفقا عليه، واصـطحب معه الخليفة الى مراغه[*] وقد عزم على قتال داود بن اخيه محمود،[2] واتخذ له خيمة منفرده باطرف المكان الذي نزَّلَت فيه قواته. ولما خرج مسـعود مع جيشه لاستقبال رسول سنجر، خرج معهم بعض الجند المنسبين لحماية الخليفة[3] فتسللت مجموعة من الباطنية[*] وهجمت على الخليفة المسترشد بالله، فضربوه بالسكاكين ومثلوا بجثته وقطعوا رأسه وشوهوا جسده ومزقوا ثيابه فمات رحمه الله في السابع عشر من ذي القعدة سنة

[7] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص348، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص45-46.

[8] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص348.

[9] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص43، السيوطي، تاريخ الحلفاء، ص688.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص348.

[*] مراغة: من قواعد اذربيجان غربي تبريز ابو الفداء تقويم البلدان، ص399. بلدة مشـهورة باذربيجان. البغدادي، عبد المؤمن عبد الحق، مراصـد الاطلاع على اسـماء الامكنة والبقاع، ج3: تحقيق على محمد البخاري، دار احياء الكتب العربية (1374هـ) ، ص125.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص348. للتفاصيل ينظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص433.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص348. ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص49. الذهبي، تاريخ الإسلامية، مخطوط، ق1، ج9، ص120.

[*] الباطنية: سميت كذلك لان معتقيدها يعتقدون بان لكل تنزيل تأويل ولكل ظاهر باطن ولا تعدها بعض المصـادر فرقة اسـلامية بل مجوسـية، بن الظاهر: عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، مطبعة الهلال، (القاهر- 19240)، ص170-174. الشهر ستاني: محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، دار المعرفة (ب ت) ج1، ص192.

529هـــ/1134م[4] بعد عمر بلغ 45 سنة وخلافة دامت سبع عشرة سنة، ومن مواقف مسعود تجاه الخليفة انه حضر مراسيم العزاء واحرق الباطنية الذين قتلوا الخليفة[5].

ويرى بعض المؤرخين ان المحرض على قتل الخليفة هم الباطنية الذين قتلوه وكانوا ضمن رسل الملك سنجر الى السلطان مسعود الذي يعتبر محرض لهم كذلك[6].وذكر بعضهم ان فعل السلطان سنجركان من خدع السياسة الماكرة ولو كان يريد القيام بحق الخليفة المسترشد بالله لامر ابن اخيه مسعود بالتساهل معه والمطاولة له قبل ان يؤول الامر الى الحرب، ثم ان السلجوقيين في ذلك العصر كانوا قد تحالفوا مع الباطنية وتعاهدوا على التآمر على من يريدون ان يزيلوا ويهلكوه، وكان المسترشد بالله قد قاوم الباطنية بحكم خلافته السنية، وفضح زوجة ابيه اخت السلطان سنجر عندما علم بان لها علاقة مع احد الشباب بعد وفاة ابيه وهتك ناموس البيت السلجوقي، يضاف الى ذلك مطالبته بالاستقلال مطالبه حربية لانه اعاد سيرة الخلفاء المباشرين للحرب بانفسهم فساعد السلجوقيين الباطنية على اغتياله وقتله. عقابا له على هتكه عرضهم[1] وهذا ما اكده البنداري[2] وقد يكون هو الاقرب الى هذه الاحداث المرتبطة والمتشابكة. فان سنجر ارسل الى السلطان مسعود يستنكر عليه ما فعله مع الخليفة مذكره بظهور نوائب واحداث تدل على غضب الله سبحانه وتعالى بسبب عمله حيث كثرت العواصف والزلازل وانقلبت البلدان ورجاه اعادة الخليفة الى بلده[3] والبعض الاخر يذكران مسعود هو الذي دفع الباطنية الى قتل الخليفة ويسندون الى اراء وحقائق منها يقول ابن العبري ((بقي الخليفة المسترشد بالله حتى دفنه اهل مراغه))[4] بعد ان بقي على حالة عدة ايام فاين كان مسعود وامرائه عن ذلك.

وما ذلك الا دليل على التشفي بقتله والدس عليه من قبل رجاله او الباطنية كما قيل انهم جاءوا ضمن رسل سنجر[5].

---

[4] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص348، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص49، القرماني، أخبار الدول واثار الاول، ص174، ابن كثير، البداية والنهاية، ص208.

[5] ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص22.

[6] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص43، الاصفهاني، تاريخ دولة ال سلجوق، ص55.

[1] ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص22.

[2] البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص265.

[3] السيوطي، تاريخ الخلفاء 688، ص-689. للتفاصيل ينظر، سرور، سياسة الفاطميين، ص215.

[4] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص204.

[5] يوسف، سلاجقة الشام، ص223.

وبذكر بعض المؤرخين ان السلطان مسعود امر بقتل دبيس بن صدفة المزيدي صاحب الحلة لكي يوقع الظن به وان هو الذي دبر مقتل الخليفة اذ كان معاديا له وكان مع

جيش السلطان خلال مدة انتزاع التي جعلت[6] وبعض المؤرخين يقول ان دبيس بن صدفة قتل في المعركة التي حدثت بين مســعود والخليفة قرب مراغه[7] ويبدو ان الراي الاول هو اقرب الى الصواب وذلك لاتفاق المؤرخين وقرب عهدهم من الحدث.

المبحث الرابع
الخليفة الراشد بالله وعلاقته مع السلطان مسعود
529 هـ-1134 م

هو منصور ابو جعفر ابن المسترشد الفصل بن المستنصر أحمد الهاشمي العباسي البغدادي [1]. ولد في سنة 502هـ/1108م[2].

بويع بالخلافة بعد مقتل والده في 25 ذي القعدة سنة 529هــ/1134م. فخطب له على المنابر ببغداد ولقب (بالراشد)[3] وكان سمحا وحسن السيرة جوادا وشاعرا[4]. ويذكر انه كان ميالا

---

(6) الذهبي، العبر، ج4، ص18، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص251. ابن قاضي، شبه، الكواكب الدرية، ص102، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص196.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص348-349، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص212.

(1) ابن الأثير، الكامل، في التاريخ ج8، ص349ا،بن كثير، البداية والنهاية ج12، ص209، ابن الجوزي، المنتظم ج10، ص50، الديار بكري، تاريخ الخميس ، ص363.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص50، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج8، ص349، الديار بكري، تاريخ الخميس، ص363.

(3) دائرة المعارف الإسلامية، مادة سلجوق، ص175، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص50، الذهبي، تاريخ الإسلامية، ج8، ص2.

(4) الكتي، فوات الوفيات، ج4، ص168-169، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص436.

الى اسعاد الشعب واستقرار البلاد حيث يذكر ابن الكازروني عن سياسته كما جاء على لسانه ((انا نكره الفتن اشفاقا على الرعية، ونؤثر العدل والامن في البرية. ويابى المقدور الا تُصعّب الامور واختلاط الجمهور، فنسال الله تعالى العون على لم شعث الناس لاطفاء ثائرة الباس))[6] وبهذا يمكن ان نستنتج ان شخصية الخليفة الراشد كانت واضحة المعالم قوية مؤثرة تمتاز بالعدل والامن مع حرص كبير على جعل علاقته مع الشعب حميمة. جاهدا على رفع المعاناة ومتاعب ابناء شعبه مقدما السلم على الحروب وويلاتها لولا الحكم الاجنبي والاحتلال لبلاده وما حل بها من الخراب والدمار.

اما مبايعته فقد عهد اليه بالخلافة في عهد والده. وجلس لتجديد البيعة بعد وفاة والده فتوافد على بيعته العلماء والقضاة والجند والجماهير كما حضر البيعة نواب السلطان مسعود (الشحنة والعميد) بناء على توجيهات السلطان مسعود[1]. وحضر بيعته احد وعشرون رجلا من اولاد الخلفاء[2].

استلم الخليفة الراشد الخلافة وكانت بغداد منهكة القوى بسبب ما اصابها من سلب ونهب على ايدي عساكر السلطان وشحنته [3].

بدات العلاقات بين الخليفة العباسي الراشد بالله والسلطان السلجوقي مسعود سيئة جدا اذا ان السلطان مسعود قد ارسل الى الخليفة احد اعوانه (برنقش الزكوي) يطلب منه تسديد مال كتبه له والده المسترشد حين اسره حيث التزم له باربعة الاف دينار وقد اجابه بان المال كان مع والده المسترشد ولم يبق منه شيء وامتنع عن تادية ذلك اذ قال ((ليس بيننا وبينكم الا السيف))[4] ثم بلغ الراشد ان برنقس يريد الهجوم على دار الخلافة وتفتيشها لياخذ المال فادى ذلك الى جمع العساكر الى جانب الخليفة حيث ساعد العامة في بغداد الخليفة على قتاال عسكر السلطان واخراجهم ومهاجمة دار السلطان نفسها[5] ولم يتوقف الخليفة الراشد عن تعزيز قوة الخلافة حيث استنهض الخليفة الامراء وتجمعوا حوله لشن الحرب ضد السلطان مسعود[6] وارسل الخليفة الى عماد الدين زنكي فجاء لمساندة الخليفة، وفي اثناء

---

[6] ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص224-225. للتفاصيل ينظر، حسن، مقاومة الخلافة العباسية، 185.

[1] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص349، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص50.

[2] ابن الأثير، الكامل ، ج8، ص349، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص355.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص49، للتفاصيل ينظر السامرائي واخرون، تاريخ الدولة، ص295.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص352، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص210، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص50-54،51.

[5] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص352.

[6] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص210.

ذلك جاء السلطان داؤود بن محمود بن محمد بن ملكشاه، فخطب له الخليفة ببغداد، وخلع عليه وبايعه على الملك[7] فساءت العلاقة مابين الخليفة والسلطان، وبرز الخليفة في بغداد وتحرك الجيش ين يديه كما كانوا يعاملون ابوه وخرج السلطان داؤود الى جانب اخر، فلما بلغهم كثر جيوش السلطان مسعود اقترح عماد الدين زنكي للخليفة ان يذهب معه الى الموصل واعتقد ان هذا المقترح من قبل عماد الدين زنكي وهو لاجل حقن دماء المسلمين وعدم رغبته في الحرب مع العلم انه قائد محنك ورجل عسكري[8] ولما علم الخليفة بتوجه مسعود على راس جيشه الى بغداد خرج بنفسه مع الامراء لملاقاته في 23 شعبان 530هـ/ 1135م وقد عبر ابناء الشعب عن حبهم للخليفة من خلال خروجهم معه للقتال حيث ساروا معه حتى نزل السرادق الا ان الخليفة لم يبتعد كثيرا فنزل عند جامع السلطان[1]، وانه كان مقتنعا عدم مفارقة بغداد، لانه اراد التحصن بها والدفاع عنها، ووردت معلومات تؤكد اقتراب مسعود من بغداد وعزمه على الهجوم، فقرر الخليفة تغيير خططه القتالية فدخل الى بغداد وفي الخامس من رمضان ارسل الى داؤود وسائر الامراء يامرهم بالعودة اليها والقتال فيها[2] وقد حاول مسعود تفتيت التحالف القائم ضده فراسل الامراء رغبة في استمالتهم، فنجح بكسب شحنة بغداد الا ان هذا اكتشف امره واغرق بامر من الخليفة بعد ذلك[3] كما ان مسعود قام بمراسلة الخليفة متظاهرا بالطاعة والولاء له، وضمن رسالته تهديدا للامراء الذين تجمعوا عند الخليفة الا ان الخليفة قد عرضها عليهم سرا لتوثيق تحالفه معهم، فاكدوا تحالفهم معه لقتال مسعود[4] ولما وصل مسعود الى بغداد ضرب الحصار عليها، وارسل قواته لمهاجمة السور والقوات المتمركزة حوله، الا انها لم تحقق أي نتيجة واندحرت شر اندحار[5]، فمع حصاره الا انه لم يحقق الهدف الذي جاء من اجله فرحل الى النهروان عازما الرجوع الى همدان[6]، ولكن وصول طرنطاي صاحب واسط بسفن كثيرة[7] غير الموقف لصالح مسعود فعاد الى بغداد وعبر الى غربي دجلة دون ان تتمكن القوات المتحالفة معه من منعه[8]

---

[7] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص352-354. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص210، المقريزي، السلوك، ج1، قسم1، ص36، ابن العبري، تاريخ مخصر الدول، ص22.

[8] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص211.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص352، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص57.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص352.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص57.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص352، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص58.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص57.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص354.

[7] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص356، ابن الأثير، الكامل، ج8، ص354.

[8] ابو الفداء المختصر، ج3، ص11.

لتخاذل امرائها وقادتها الذين دبت الفرقة في صفوفهم وتنصلوا –كالعادة- عن الايفاء وبالتزامهم بقتال مسعود فغادروا بغداد[9]، مما اجبر الخليفة الذي نفي لوحده على الخروج مع مجموعة صغيرة من اصحابه وبرفقة عماد الدين زنكي الى الموصل[10] فدخل السلطان مسعود بغداد في 15 ذي القعدةسنة 530هـ /1135م، وامر مسعود بجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرضوا عليهم اليمين الذي حلف بها الراشد لمسعود، وفيها بخط يده (اني متى جندت او خرجت او لقيت احدا من اصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر) [1] فافتوا بخروجه من الخلافة وخلعه وتوليه المقتفي لامر الله مكانه[2] وكانت خلافته ستة سنين واحدى عشر شهر واحد وعشرة يوم كان خروج الخليفة الراشد من بغداد الى الموصل في ذي الحجة سنة 530هـ/1135م كانت بداية مرحلة جديدة في مقاومته للسلاجقة وجعل الموصل قاعدة انطلاق نحو بغداد، بعد ان يتمكن من لم شمل مؤيديه وكان مسعود قد علم بذلك[3] فاسرع في مراسله عملد الدين زنكي يطالبه بالقبض على الخليفة الراشد وتسليمه اليه واقرار خلعه مقابل بعض الامتيازات[4] فاستجاب زنكي لمطالبه مسعود فقطع خطبته للخليفة الراشد في بلاده[5] وحاول ان يقبض على الخليفة الراشد لولا المعارضة الحادة التي ابداها زين الدين بن علي صاحب اربل[6] فاضطر عماد الدين زنكي الى مطالبة الخليفة بمغادرة الموصل. باعتذار بعدم قدرته على مخالفة مسعود[7] وارسل الى مسعود قائلا (اني اخرجته من ولايتنا، فارسل اليه انت عسكرا يقبض عليه من غير جهتنا[8].

---

[9] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3،8ص54 ، البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص67.

[10] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص354، ابن الجوزي، المنتظم، ج5،10ص9-60، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص108.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص354، ابن الجوزي، المنتظم، 10، ص60.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية ج12، ص210، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص57.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص356.

[4] ابن دحية، ابو الخطاب عمر بن ابي علي حسن بن علي، النبراس، في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيقي: عباس العزاوي، مطبعة المعارف (بغداد، 1946) ص155.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص67.

[6] ابن دحية، النبراس، ص155.

[7] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص67

[8] ابن دحية، والنبراس، ص155.

حيث غادر الخليفة الراشد الموصل في محرم سنة 531هـ/ 1136م[9] وتمكن من التخلص من القوة التي ارسلها السلطان مسعود للقبض عليه في الطريق الذي سلكه الى مراغه[10].

بعد ان وصل الخليفة الراشد الى مراغه حاول جمع شمل اعوانه فبدء نشاطه الاول مع الملك داود بن سلطان محمود ومن معه من الامراء على قتال مسعود[11] ولما علم مسعود بذلك توجه نحوهم في شعبان سنة 531هـ/1136م فالتقى الطرفان ودارت بينهما معارك

[9] ابن الأثير، الكامل ج8، ص356.

[10] ابن الجوزي، المنتظم ج8، ص67-68.

[11] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص361.

قتل منهم عدد كبير [1] وانتهت هذه المعركة باندحار مسـعود وهزيمته الى اذربيجان وبتراجع داود ومن معه من الامراء الى همدان[2] حيث وصل اليهم الخليفة الراشد للاتفاق معهم على مواصلة قتال مسعود والتخلص منه الا ان اراءهم اختلفت فتفرقوا[3].

لم يثن ذلك الاختلاف والتفرق الخليفة عن عزمه، فسار مع داود ومعه خوارزم شاه الى الاحواز للتوجه نحو العراق، فسار السلطان مسعود ليمنعهم من ذلك فتفرق حلفاء الخليفة. فعاد داود الى بلاد فارس وعاد خوارزم شـاه الى بلاده[4] فبقى الخليفة الراشـد وحيدا فاضـطر الى المسير الى اصفهان مقررا الاعتماد على جهوده بعد ان يئس من وفاء الاجانب[5].

فدخل اصـفهان فقتله رجل ممن كان يخدمه في الخراسانية، وقيل انه قتل باصـفهان بعد مرض اصابه، وقيل انه مات مسموما، وقيل قتلته الباطنية وقيل قتله الفراشون الذين كانوا قوامون بخدمته بعد خلافة استمرت سنة واحدى عشر شهر [6]. ويبدو ان العلماء لم ياسفواعلى قتله وذلك لفسقه مما جعل كثيرا منهم لم يواصل مجلس عزائه [7].

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص67-68.
ابن الأثير، الكامل، ج8، ص361.
ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص212.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج8، ص361.ابن الجوزي، المنتظم ج8، ص67.

[3] ابن الأثير، الكلمل في التاريخ، ج8، ص361.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص362.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص362.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص362، بن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص121.

[7] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص76. للتفاصيل ينظر، البرهاوي، علاقة العلماء بالخلافة العباسية ، ص46.

المبحث الخامس
الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله وعلاقته بالسلاطين السلاجقة
531 هـ- 555 هـ

هو أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله عبدالله بن الأمير محمد الذخير، بن الخليفة القائم بالله عبد الله الهاشمي العباسي البغدادي[1]، ولد في الثامن والعشرون من شهر ربيع الأول عام 489هـ/1095م[2]، وكان إماماً عالماً فاضلاً جميلاً أديباً شجاعاً ومن الأخلاق كامل السؤدد خليقا للخلافة قليل المثل[3]، لقب بالمقتفي لأمر الله قيل انه رأى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في منامه قبل أن يلي الخلافة بستة أيام وهو يقول له إنَّ هذا الأمر يصير إليك فاقتف بي فلقب بذلك[4]، فصار إليه هذا الأمر بعد ستة أيام[5]، ويلاحظ أنَّ المقتفي لأمر الله قد نشأ نشأة دينية وتفقه في أمور الدين[6]، وان هذه النشأة هي التي ميزت اتجاهه الديني وأثرت تأثيراً كبيراً في تحديد معالم شخصيته وخاصة سلوكه الذي اتسم باللين والتواضع والرأفة تجاه الناس وعلماء الدين وبعد أن قام السلطان مسعود بتدبير خلع الخليفة الراشد سنة 530هـ/1135م ولي السلطان مسعود أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله وعقد له البيعة ببغداد في سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة[7]، وكان عمره آنذاك أربعين عاما[8]، وان هذا الاختبار هو العلاقة الأولى مع السلاطين السلاجقة حيث انه لم يكن اختباره عشوائيا قدرا من غير سابقه بل انه جاء من خلال المشاورات بين السلطان سنجر وابن أخيه السلطان مسعود

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص60-61. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص210، الديار بكري، تاريخ الخميس، ص362. الخضري بك، محاضرات ، ص450.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص61.

(3) الديار بكري، تاريخ الخميس، ص362.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص355، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص210.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص355.

(6) ابن الكازروني، مختصر، ص228-29.

(7) الحسيني: صدر الدين علي بن ناصر (زبدة التواريخ) أخبار الامراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد نور الدين، دار إقرأ (بيروت، 1986) ص212.

(8) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج8، ص355.

حول مواصــفات الخليفة الذي يريدونه إذْ أتم الخطة على بيعة المرشــح للخلافة[1]، فحينها يذكر السلطان مسعود الصفات التي يلزم توفرها في الشخص الذي يرشح لتولي منصب الخلافة فقد قال: ((ولا أريد أن يلي الأمر إلا رجل لا يدخل نفســـه في غير أمور الدين، ولا يجند، ولا يجمع ولا يخرج من داره لحربنا، ولا يجمع العســـاكر ويعمل بأمرنا، وان ينحصــــر أمره في الأمور الدينية))[2]، وبهذا كان يريد الســلطان مســعود في الرجل الذي يلي منصــب الخلافة، أن يكون رجلا ســلمياً يرضــى أن يكون مجرد رمز للســلطنة الروحية. وقد وجد مســعود هذه المواصــفات متوفرة في شـــخص المقتفي لأمر الله[3]، إنَّ المقتفي لأمر الله حينما جاء للخلافة، اســـتفاد من أخطاء ســابقيه، فبالرغم من أن الســلاجقة هم الذين اختاروه إلا أنَّهم لم يخطر ببالهم بان نهايتهم ســـوف تكون على يديه، وانه أذكى منهم وانه تحاشـــى التصـــادم معهم ورأى بان الموقف لا يخدمه[4]، إذ انه لم ينس ما فعل بالخلفاء الذين ســـبقوه[5]، حيث جاء إلى الخلافة في ظروف صعبة ومعقدة، عقب حركة مقاومة خاضها الخليفة المسترشد بالله ضد السلاجقة وكذلك ما فعله الخليفة الراشـــد من بعده حتى خروجه من بغداد وقد أثرت هذه المقاومة ونتائجها في نفوس الســلاجقة وســمعتهم[6]، لذلك حاول الســلطان مســعود أن يقوم باســتفزاز الخليفة وبمنعه من أن تكون هناك أي قوة عسكرية وينهك الخلافة بالفقر والضـعف وبمنعهم من شـراء الغلمان[7]، وهذا ما حدد نوعية العلاقة بمصـــادرة جميع ما كان في دار الخلافة من دواب وأثاث وذهب وســـتور وســـرادق، ولم يترك في اصـــطبل الخلافة غير أربعة خيول وثلاثة أبغال لنقل ماء[8]، غير أن مجيء أبو بركات بن مسلمة وزير السلطان مسعود وقبضه على أبي الفتوح بن طلحة وقرر عليه مائة ألف دينار يحصـلها من ماله ومن الناس ومن دار الخلافة. فقال له المقتفي لأمر الله: ((ما رأينا أعجب من أمرك أنت تعلم أن المسترشد سار إليك بأمواله فجرى له ما جرى وعاد أصحابه

---

[1] ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص67-68.

[2] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص437.

[3] غنيم: حامد أبو سعيد، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، ط2، دار الثقافة للطباعة والنشر، (القاهرة- 1440هـ-1984م)، ص228.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص66.

[5] ابن الجوزي، المنتظم ج10، ص66.

[6] حسن، المقاومة العربية ، ص210.

[7] غنيم، الجبهة الإسلامية، ص228.

[8] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص61.

عراة وولي الراشد ففعل ما فعل ثم رحل واخذ ما بقي من الأموال ولم يبق من الدار سوى الأثاث فأخذته جميعه وتصرفت في دار الضرب ودار الذهب وأخذت التركات والجوالي فمن أي وجه نقيم لك هذا المال؟ وما بقي إلاّ أن نخرج من الدار ونسلمها لك واني قد عاهدت الله تعالى أن لا أخذ من المسلمين حبة واحدة ظلما))[1]، فلما سمع الخليفة بهذه الرسالة اسقط ستين وطالب بأربعين[2]، وهذا ما كان عليه وضع الخليفة المقتفي لأمر الله مع السلطان مسعود، وإن الخليفة وأنصاره قد لجأوا إلى أسلوب الضعفاء في مواجهة القوة التي كان يفرضها عليهم السلطان السلجوقي ورجاله ويذكر السيوطي هذا الأسلوب بقوله على لسان ابن هبيرة وزير المقتفي: ((لما تطاول على المقتفي اصحاب مسعود، وأساءوا الأدب، لم يمكن لهم المجاهرة بمحاربته، فاتفق الرأي على الدعاء عليه شهراً))[3].

وفي عام 534هـ/ 1139م دخل الخليفة المقتفي لأمر الله على الخاتون فاطمة بنت السلطان مسعود[4]، وكان هذا الزواج السياسي من اجل توطيد العلاقة بين الخليفة والسلطان مسعود وفي شهر رجب عام 541هـ/ 1146م أقام السلطان دار لضرب النقود في بغداد وقد أمر الخليفة بالقبض عن المسؤول عن ضرب النقود، وقابله السلطان مسعود بسجن حاجبه، فأمر الخليفة بإغلاق المساجد ثلاثة أيام إلى أن أطلق سراح الحاجب دون أن يطلق هو سراح المسؤول عن ضرب النقود[5]، وهكذا تصرف الخليفة بذكاء، إذ لجأ إلى استخدام سلطته الدينية لإجبار السلاجقة على الإذعان لأمره من اجل إثارة الرأي العام ضدهم[6]، ونتيجة لانعدام التكافؤ في الامكانات بين الخليفة المقتفي لأمر الله والسلاجقة فانه لم يكن أمامه سوى تحين الفرص للتخلص من القيود التي فرضت عليه، وتأكد له انه لا يمكن أن يحقق أمانيه في التحرر من السلاجقة دون إنشاء جيش – ونتيجة للنزاعات القائمة بين أبناء البيت السلجوقي وأعوانهم في عام 543هـ/ 1148م فقد قصد بغداد مجموعة من الأمراء السلاجقة الخارجين على طاعة

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص66.

[2] ابن الجوزي، المنتظم ج10، ص66.

[3] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص439.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص216.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص119، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص220، الذهبي، تاريخ الإسلامية، ص133.

[6] فوزي: أ. د. فاروق عمر، حكام بلاد فارس والعدوان على العراق خلال العصر العباسي، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، 1988)، ص51. والنهوض العربي في العراق والاقاليم المجاورة في العصور العباسية الاخيرة، ص137.

السلطان مسعود، ومعهم ابن أخيه محمد بن السلطان محمود، بهدف السيطرة عليها[1]، فلما وصلوا إلى مشارف بغداد وسلبوا ونهبوا ما كان أمامهم، قام الخليفة بإصلاح السوروترميمه من إحدى الجهات[2]، ثم أرسل إلى السلطان مسعود يقول له: ((أمّا الشحنة مسعود بن بلال الذي من قبلك فقد هرب هو وأمير الحاج إلى تكريت، وقد أحاط العسكر بالبلد وما يمكنني أن أخذ عسكراً لأجل العهد الذي بيننا فدبر الآن))[3]، فكتب إليه السلطان مسعود (قد برئت ذمة أمير المؤمنين من العهد الذي بيننا وقد أذنت أن تجد عسكراً وتحتاط لنفسك وللمسلمين فجند)[4]، وقد نجح الخليفة في هذا الجانب إذ أراد أخذ الاختيارين، إما تكوين الجيش، أو يفقد سيطرته على بغداد، فسارع الخليفة المقتفي لأمر الله باتخاذ الخطوات اللازمة للتصدي لهذا الخطر الجديد، فجند واظهر السرادق والخيم وحفر الخنادق[5]، وقد تجاوب العامة في هذا الأمر مع الخليفة من اجل إنقاذ خلافتهم من حكم السيطرة السلجوقية، وقد سمح السلطان مسعود للخليفة بتكوين جيش لان مجيئه للعراق صعب ومستحيل؛ لانشغاله بمشاكل مع عمه سنجر[6]، يضاف إلى ذلك أنَّ الخليفة قام بسد الباب الحديدي في عقد السور الذي عن طريقه يتمكن الغزاة من التمون[7]، مما دفعهم إلى مهاجمة السور لإحداث ثغرات فيه إلا أنَّ أبناء الشعب قاتلوهم بضراوة ومنعوهم من تحقيق أهدافهم العدوانية بعدما قدموا (500) شهيد[8]، وبهذا رأى السلاجقة استعماله تحقيقا ما خططوا له فطلبوا من الخليفة الاسترضاء والعفو عنهم. فعفى عنهم، وغادروا بغداد[9]، إلا أنَّ مجموعة منهم توجهت نحو بغداد في سنة544هـ- 1149م ومعهم هذه المرة ملكشاه بن السلطان محمود، فلما اقتربوا من بغداد راسلوا الخليفة المقتفي في الخطبة لملكشاه، فلم يستجب الخليفة

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص21، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص131.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص21.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص132.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص21.

[5] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص22، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص133.

[6] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص22.

[7] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص133.

[8] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص133.

[9] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص22.ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص133.

لمطلبه بل شـــرع بجمع الجيش وإجراء التحصـــينات الدفاعية لبغداد[1]، وقام الخليفة بمراســـلة السـلطان يخبره بمجيء هؤلاء ومطلبهم بالخطبة، وامتناعه عن ذلك ويسـتعجله على المجيء[2]، وهذا يدل على ذكاء الخليفة في دفع السـلاجقة للقتال فيما بينهم، وتامين البلاد من شـرهم على الرغم من اتخاذ الإجراءات الاحترازية منهم[3]، فضـــلاً عن أنه أراد تجنب قوته الفتية من منازلةٍ بالامكان تلافيها فنجح فيما أراد. ومع هذا لم يصطدم الخليفة بالسلطان السلجوقي مسعود صداماً عسكرياً رغم ضـعفه ، كما انه ابتعد عن الأمراء الذين عادوا مسـعود، زيادة على ذلك فانه أدرك أنَّ مســعود ليس هو القوة الحقيقية للسـلاجقة بل هو سـنجر، الذي لا زال حيا لذلك حافظ على صــداقته مع السـلطان مسـعود ليجعله في وجه أطماع السـلاجقة الآخرين المتنافسـين[4]، وقد استخدم الخليفة المقتفي بأمر الله سياسته الذكية والمكانة الدينية التي بقيت الخلافة تتمتع بها، في الخلافات التي وقعت بينهم خلال مدة سلطنة محمود مع خلافة المقتفي بأمر الله[5]، حيث استمر السلطان مسعود في سلطانه على الرغم من كثرة المخالفين والخارجين عليه من أهل بيته وأمرائه إلى أن توفي سـنة 547هـــ- 1152م بهمدان وبهذا ظلت الخطبة تقام مئة عام إلى حين وفاة السلطان مسعود وماتت سعادة البيت السلجوقي بموته، فلم تقم لهم بعده راية يعتدون بها[6].

وكان مسعود قد عهد بالسلطنة لابن أخيه ملكشاه ابن السلطان محمود[7]، غير أنَّ وفاة السـلطان مسـعود كانت الفرصـة الكبيرة التي انتظرها الخليفة المقتفي بامر الله ليتخلص من كافة القيود والمواثيق التي ارتبط بها معهم إذ بدأ المقتفي بأمر الله عام 547هـ/ 1152م لتحرير معظم مدن العراق وعودة حكم البلاد إليه مباشـر وقد ظهر عزم الخليفة على ضـرب النفوذ السـلجوقي بقوله: ((لاصبر على الضيم، بعد اليوم. ولا قوام من هول هؤلاء القوم))[8].

ونتيجة لاختلاف السلاجقة فيما بينهم على السلطنة بعد وفاة السلطان مسعود وضعفهم وضـعف نوابهم في العراق من جانب آخر وازدياد قوة الخلاف وهروب الشـحنة مسـعود بلال من

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص25، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص138، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص225.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص138.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص 138. للتفاصيل ينظر، امين، العراق في العصر السلجوقي، ص153.

(4) القزاز، العصر العباسي، ص58-59.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص119.

(6) الخضري بك، محاضرات، ص450.

(7) الخضري بك،محاضرات ، ص450.

(8) البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص216.

بغداد إلى تكريت فاسترجع الخليفة المقتفي بأمر الله على داره ودور أصحاب السلطان في بغداد وصـــادر كل ما كان لهم فيها، (كل من كان عنده وديعة لاحد منهم احضـــرها بالديوان)[1]، يضاف إلى ذلك انه أمر بإراقة الخمور في مساكن أصحاب السلطان، ووجد في دار شحنة بغداد كثير من الخمور فأريقت، ولم يكن الناس يظنون أنَّه شرب الخمر بعد الحج[2].

ثم قام الخليفة بجمع الجيوش الكبيرة، وقام بتقوية أسوار بغداد التي كان المسترشد بالله قد بناها سنة 517هـ/ 1123م وكذلك قام ببسط نفوذه الفعلي والعسكري على كافة مناطق العراق. فقد أرسل جيشاً إلى الكوفة وبسط نفوذه عليها ، ثم سار على راس جيش إلى واسط فأخذها من السلاجقة وقام في سنة 549هـ/ 1154م بمحاصرة تكريت بنفسه إلا انه لم يستطع فتحها إلا في الحملة الثانية التي قام بها عام550هـ/ 1155م.

المبحث السادس

[1] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص33.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص147.

الخليفة العباسي المقتفي بأمر الله وعلاقته بالسلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان مسعود

بعد وفاة السلطان مسعود تولى عرش السلاجقة السلطان ملكشاه بن السلطان محمود ولي عهده، فتسلم ملكشاه السلطنة عام 547هـ/ 1152م إلاَّ انَّه سرعان ما قبض عليه من قبل احد أمراء أبيه في السنة نفسها واستُبدل بأخيه الملك محمد بن السلطان محمود أملاً من هذا الأمير في أن يفرض سلطانه على ملكشاه ويخضعه لمشيئته لكن محمد ما أن تسلَّم السلطنة حتى قتله وتخلص منه[1]، وأصبح هو سلطان السلاجقة في العراق دون منازع، وقد حاول استكمال سلطته الرسمية فبعث إلى الخليفة المقتفي لأمر الله مطالباً إياه بالخطبة له في بغداد والعراق فامتنع الخليفة[2]، فسار محمد إلى العراق باتجاه بغداد بعساكره وبمعونة بعض الاتابكيات في نهاية سنة 551هـ/ 1146م [3]، إلاّ أنَّ سليمان شاه بن السلطان محمد كان مقيما مع عمه السلطان سنجر في خراسان، وقد جعله ولي عهده[4]، إلا أنَّ وقوع سنجر أسيراً بأيدي الغز سنة548هـ/ 1153م[5]، اضعف أمر سليمان شاه فاخذ يتنقل من مدينة إلى أخرى مطروداً من قبل منافسيه على السلطة[6]، حتى توجه إلى بغداد سنة 550هـ/ 1145م طالباً حماية الخليفة المقتفي لأمر الله فأرسل رسولاً إلى الخليفة المقتفي يعلمه بوصوله، واستمرت الرسل بينهما إلى أن استقر الأمر على أن يرسل زوجته لتكون رهينة فأرسلها ومعها كثير من الجواري والأتباع وقال: ((قد أرسلنا هؤلاء رهائن فإن أذِنَ أمير المؤمنين دخول بغداد فعلت وإلاّ رجعت))[7]، فوافق الخليفة على دخوله بغداد فدخلها في شوال سنة550هـ/1155م، ولم يستقبل بالحفاوة التي كان السلاطين السلاجقة يستقبلون بها[8]، وبعد ثلاثة شهور من دخوله بغداد حظي بمقابلة الخليفة استدعاه الخليفة المقتفي لأمر الله وادخله عليه وزير الخليفة ابن هبيرة، فقبل الأرض واستحلفه

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص47.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص51.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج8، ص51.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص48.

[5] البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص252-259.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص48، البنداري، المصدر السابق، ص259.

[7] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص48.

[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص48، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص161.

الخليفة على الطاعة وصفاء النية والمناصحة والمودة وعدم التعرض للعراق فلما حلف خطب له الخليفة في بغداد. وخلع عليه خلع الملوك واتفق على أن يكون العراق للخليفة ولسليمان شاه ما يفتحه من خراسان[1]، وقام الخليفة بتحريضه ودفعه لقتال السلطان محمد بن محمود مجهز بثلاثة آلاف فارس وأمده بالأموال، وسار سليمان شاه نحو بلاد الجبل في ربيع الأول سنة 550هـ/ 1155م، وقد ودعه الخليفة عند خروجه إلى مدينة حلوان بهدف رفع معنوياته وتقويته[2]، ثم كتب الخليفة إلى ملكشاه بن محمود أخي السلطان محمد صاحب همدان يدعوه إلى موافقة سليمان والانضمام إليه، فوافق على ذلك وحلف كل منهما لصاحبه واتفقا على أن يكون ملكشاه ولي عهد سليمان شاه، ويعززهما الخليفة بالمال والسلاح[3]، إلاّ أنَّهما توجها بعد ذلك إلى أذربيجان وانضم اليهما أمير سلجوقي آخر إسمه ايلدكز[*] [4]، فعلم السلطان محمد بهذه التحالفات، فتوجه لملاقاتهم بجيش كبير ثم دارت بينهم معركة كبيرة في جمادى الأولى 551هـ/ 1156م انتهت بانتصار السلطان محمد، وهزيمة السلطان سليمان شاه إذ وقع أسيراً بأيدي زين الدين علي كوجك أمير الموصل فأخذه معه إليها[5].

المبحث السابع

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص48-49، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص161، الذهبي، دول الإسلامية، ص67، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص233.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص164-165، الذهبي، دول الإسلامية، ص67.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص49.

[*] ايلدكز: هو صاحب اران التي هي اقليم متاخم لاذربيجان، ابو الفداء، تقويم البلدان، ص386.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص49.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص49، ابن الجوزي، المنتظم، ج1، ص165.

محاولة السلطان محمد دخول بغداد وحربه على الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله

بعد أن هزم السلطان محمد حلفاء الخليفة سليمان شاه وملكشاه عام 551هـ/ 1156م رأى أنَّ الفرصة قد أصبحت مواتيه له للتقدم نحو بغداد واحتلالها وإخضاع الخليفة المقتفي لأمر الله[1]، الذي كان قد رفض طلبه بالخطبة له عندما سار نحو بغداد للحصول عليها[2]، وإعادة التسلط السلجوقي على العراق من جديد وتحجيم دور الخليفة العباسي، فتحالف مع حاكم الموصل السلجوقي وتحرك نحو بغداد ووصل بعقوبة سنة 551هـ/ 1156م[3]، من جانب آخر تحرك الخليفة بسرعة كبيرة وقام بتحشيد الجيوش وتعبئتها واستنفر الأمراء للتوجه إليه[4]، يضاف إلى ذلك انّه قام بتامين وسائط النقل النهرية لخدمة المعركة، وأصدر أوامره في 16 محرم سنة 552هـ/ 1157م بأن لا يقيم احد بالجانب الغربي، مما أربك الناس وأهل السواد، ونقلوا أموالهم إلى دار الخلافة[5]، يضاف إلى ذلك أنَّ الخليفة قام بالاستعدادات الكاملة للحرب فوزع السلاح على الجند وأبناء الشعب مع مبالغ من المال[6]، وفي العشرين من محرم بدأ الأعداء عملياتهم الحربية، فتقدمت قواتهم من عند الرقة[*]، وبدأ رمي النشاب، فعبر لهم أهل بغداد بشيوخهم وأطفالهم وقاتلوهم ورموهم بالنفط وغيره[7]، وبهذه الروحية قاتل أبناء شعبنا في بغداد مجسدين رفضهم للاحتلال، وحبهم للدفاع عن مدينتهم والتضحية من اجلها. واستمر القتال لعدة أيام وعبر الأعداء إلى الجانب الشرقي وامتد القتال في الجانبين الغربي والشرقي[8]، وقد اتخذ الخليفة ووزيره قراراً لتشجيع المقاتلين والناس على قتال المعتدين، فقام بمنح كل من يجرح أثناء القتال خمسة

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص50. للتفاصيل ينظر، حسن ، مقاومة الخلافة العباسية، ص250.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص51.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص51.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص51، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص165-168.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص168-169.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص51.

[*] الرقة: تقع مقابل دار الخلافة في الضفة الغربية وبها بساتين كان من عادة الخلفاء التنزه بها، جواد وأحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص157.

[7] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص51.

[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص51. للتفاصيل ينظر، البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص229.

دنانير، فاندفع المقاتلون، بالغزاة قتلاً وتجريحاً[1] يضــاف إلى ذلك أنَّ الوزير ابن هريرة قد شــق الصف المعادي إذ كاتب الأمير ايلدكز وحثه على الحركة مع احد الملكين، ملكشاه أو أرسلان شـاه إلى همدان، فوصـلهم الخبر بأَّن ملكشـاه هجم على البلاد واسـتولى على بعض المناطق، فأضـعف ذلك من عضـد عسكر السـلطان محمد[2] على تأليب الأمراء الذين كانوا يقاتلون مع السلطان، فكاتبهم سراً قائلاً لهم:((واذا تم لهذا يعني النصـر للسلطان وما يريده من الاستيلاء على بغداد والعراق لا تبقي له حاجة إلى مسـاعد ولا مؤازر ويكون آخر اسـتغناءه عنكم فتبقون عنده يعين الاســتغناء عنكم ملحوظين.... وتفوتكم صــلات أمير المؤمنين وحياره في كل أوان ويعمكم من الله البلاء والخذلان))[3]، فاثر ذلك بالأمراء مع وصــول المنح والهدايا منه إليهم- فكان هؤلاء الأمراء كلما اتخذ السلطان قرارا حاولوا تراجعه عن اتخاذه[4].

أمَّا السلطان محمد فقد بقي مصراً على دخول بغداد والاستيلاء عليها فاستمرت هجماته، غير انه لم يتمكن من تحقيق أي نصــر بفعل التصــدي الكبير له من قبل قوات الخلافة وإباء الشعب الذي كبد قواته خسائر فادحة أربكت أوضاعهم[5]، ثم تواصلت محاولات السلطان محمد البائسة بمهاجمة بغداد وسورها لتحقيق أي نصر ومنها ما قام به إذ عمل (400) سلم ليعبر بها مقاتلوه السـور[6]، في محاولة لرفع معنويات جنوده، فعندما نصــب الجنود الســلالم، فتح أبناء الشعب أبواب البلد، وخاطبوهم قائلين:((أي حاجة بكم الى السـلالم، هذه الابواب مفتحه فادخلوا منها. ولكن لم يقدر الأعداء حتى على الاقتراب من الأبواب))[7]، فقد بدأ النفور والتعب فيهم والضيق في صدورهم والعجز عن تحقيق أي نصر، ونفذت مؤونتهم إذ فارق كثير منهم السلطان محمد، وأدرك السـلطان محمد خسـارته هذه وان بعض أمراء الجيش السـلجوقي لجأوا إلى قوات الخلافة[8]، وأنَّ ملكشــاه قد اســتولى على بلاده (همدان)، فاتفق مع علي كوجك على مهاجمة

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص51، البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص229.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص52، البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص233.

[3] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص135-136.

[4] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص136.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص169-170.

[6] ابن الجوزي، المنتظم، ص171-172.

[7] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص52.

[8] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص173-174.

بغداد[1]، ولكن علي كوجك ظهرت عليه علامات الفتور والتراجع في تأييد السلطان محمد بفضل ما رآه من قوة الخلافة وبأسها، فلما حان وقت تنفيذ الهجوم في 23 ربيع الآخر من 552هـ/ 1157م عبر محمد شاه وأصحابه[2]، وفي وقت العشاء قطع علي كوجك الجسر وقلع الخيم وبعث رحلهُ وخيمةُ وماله طول الليل ورحل، تاركا السلطان وقواته يواجهون مصيرهم الأسود على أيدي أبناء بغداد الذين ما إن رأوا ذلك حتى هاجموا القوات السلجوقية وهزموها[3]، فقرر السلطان الرحيل، فقلع خيمه ورحل هو وعسكره عن بغداد تاركين كل ما يثقل حمله في 24 ربيع الآخر 552هـ/ 1157م[4]، أما أهل بغداد فقد عبروا عن كرههم للسلاجقة ورموزهم، فهاجموا دار السلطان واستولوا على ما فيها[5]، وقد عمت الفرحة جميع أهالي بغداد[6]، وقام الخليفة المقتفي لأمر الله بترحيل الأمراء الذين يشك في ولائهم وإخلاصهم، إذ أعطاهم الأموال وأمرهم بالمضي إلى همدان لنصرة السلطان ملكشاه، محققاً في إجرائه هذا مكسبين في وقت واحد، فقد أمِنَ شرهم من جهة، فضلاً عن انَّه ساهم في تغذية الصراعات القائمة بين السلاجقة من خلال تعزيز قوة ملكشاه للوقوف بوجه السلطان محمد من جهة أخرى ومن ثم بقي الخليفة المقتفي لأمر الله يواصل عملية القضاء على مظاهر الاحتلال والتسلط السلجوقي، ففي جمادى الآخرة سنة 552هـ/ 1157م وصل الخبر بوفاة سنجر، فقطع الخليفة الخطبة له ولم يُقِم له مجلس عزاء[7]، وفي سة 553هـ/ 1158م هاجم الأمير السلجوقي سنقر الهمداني سواد العراق، فجهز الخليفة جيشاً قاده بنفسه للقضاء على سنقر، ثم أوكل المهمة إلى احد قواده فعالج الموقف دون قتال وعاد إلى بغداد، وأصلح حال سنقر مع الخليفة إلاّ انه قد خرج عن أمر الخليفة فأخرجه وهزمه ثم رحل إلى همدان[8]، أما السلطان محمد بعد رجوعه من بغداد إلى همدان فقد أصابه مرض السل فلم ينج منه فقبل وفاته بأيام أمر أن يُعرض عليه جميع ما يملكه وهو جالس في المنظره، فركب الجيش بكما له وأمواله كلها ومماليكه حتى جواريه وحظاياه فاخذ يبكي ويقول : ((هذه العساكر لا يدفعون عني مثقال ذرة من أمر ربي، ولا يزيدون في عمري لحظة))[1]، ثم ندم

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص174.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج1، 174-175.

(3) البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص234.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص175، البنداري، المصدر السابق، ص234.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص175، البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص234.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج1، ص175.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص176-177.

(8) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص57-58.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص241.

وتأســـف كثيراً على ما بدر منه اتجاه الخليفة المقتفي وما ألحق من أذى ببغداد وأهلها وتوفي السلطان محمد سنة 554هـــ/ 1159م وله ولد صغير، فاجتمعت العساكر والأمراء على عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه، الذي كان مسجونا بالموصل فأفرج عنه وانعقدت له السلطنة وخطب له على منابر تلك البلاد سوى بغداد [2]، وان أيامه في السلطنة كانت قصيرة حيث مات مسموما في ربيع الأول عام 554هــ/ 1159م[3]، غير ان الخليفة المقتفي لأمر الله توفي في 2 ربيع الأول من سنة 555هـ/ 1160م [4]، بعد أن حكم أربعةً وعشرين عاماً، كان له فيها الفضل الكبير في تقويض الكثير من مظاهر الاحتلال السلجوقي في العراق وتدبير الملك وتوحيد الصف وبعث الهمة والعزيمة في نفوس المسلمين ووقف بإصرار وعناد أمام السلاطين السلاجقة.

فضـلاً عن انّه كان أول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه منذ بداية توليه الخلافة وتكوين الجيش. إضـــافة إلى انَّه ســـهل كثيراً على الذين أتوا من بعده في مهمة القضاء على الاحتلال السلجوقي البغيض[5].

المبحث الثامن

الخليفة العباسي المستنجد بالله وعلاقته مع السلاطين السلاجقة

---

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص241.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص192-196، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص243، البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص264-271، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص363.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص197.

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص14، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص363.

555هـ-1160م/ 566هـ- 1170م

الخليفة المستنجد بالله هو يوسف أبو المظفر ابن المقتفي محمد بن المستظهر بن أحمد الهاشمي العباسي البغدادي أمير المؤمنين[1]، ولد سنة 508هـــ /1114م[2]، فقد كان المستنجد بالله شجاعا مهابا في الرعية أديباً[3]، وكان المستنجد بالله قد ولاه أبيه المقتفي ولاية العهد، ولما إشـــتد المرض بالخليفة المقتفي لأمر الله أرادت إحدى أزواجه الخلافة لابنها فخططت لقتل ولي العهد المستنجد بالله إلاّ أنَّ تلك المخطط باء بالفشل[4]، ويذكر ان المستنجد بالله قد رأى في منامه في حياة أبيه أنَّ ملكاً نزل من الســـماء فكتب في كفه أربع خاءات معجمات فلما أصـــبح أولّه له بعض المعبرين بأنَّه يلي الخلافة في ســـنة خمس وخمســـين وخمسمائة[5]، حيث بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه في ربيع الأول سنة 555هـ/ 1160م ولقب بالمستنجد بالله وخطب له في بغداد كخليفة للمسلمين[6]، ونقش حاتم المستنجد بالله بعبارة جميلة تدل على تقواه (من أحب نفســـه عمل لها)[7]، وبايعه على الخلافة كل القائمين عليها[8]، أستمر الخليفة المستنجد بالله في الخلافة وسار على سياسة والده في الحفاظ على إستقلال الخلافة في بغداد والعراق وعزز هيبتها وحافظ على ما أنجزه المقتفي بإبقاء بغداد والعراق خاضعين للخلافة، وتشذيب نفوذ السلاجقة وأعوانهم ولم يلب ما طلب منه بعض ملوك السلاجقة أو أمراؤهم بالخطبة لهم في بغداد[1]، فقد واصـــل التصـــدي للأطماع الســـلجوقية، ففي ســـنة 555هـــ/1160م تعامل مع ملكشاه بن محمود بحزم لطمعه بالسلطنة بعد وفاة اخيه السلطان

---

[1] الديار بكري، تاريخ الخميس، ص36، القرماني، أخبار الدول، ص179.

[2] الديار بكري، تاريخ الخميس، ص63، القرماني، أخبار الدول، ص179.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص109، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص194، الديار بكري، تاريخ الخميس، ص36.

[4] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص246.

[5] الديار البكري، تاريخ الخميس، ص363.

[6] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص368.

[7] الديار البكري، تاريخ الخميس، ص363.

[8] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص243.ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص192.

[1] ابن الأثير، الكلمل في التاريخ، ج9، ص71-73. للتفاصـــيل ينظر، فوزي، الخلافة العباســـية، ص90، الســـامرائي وآخرون، تاريخ الدولة العربية ، ص302.

محمد[2]، حيث جمع أتباعه وجيوشه وتصور ان باستطاعته فرض إرادته على الخلافة العباسية، فأرسل إلى بغداد طالباً الخطبة له وان تعاد الامتيازات السابقة التي كان يتمتع بها السلاطين السلاجقة في العراق إلى ما كانت عليه من قبل. وهدد بالتوجه إلى العراق إن لم تنفذ مطالبه[3]، فرفض الخليفة ذلك دون أن يأبه لتهديد ملكشاه[4]، وكان رد الخلافة عليه قويا حيث وضعت له خطة لقتله من قبل الوزير عون الدين بن هبيرة، ونفذت هذه الخطة بدقة ونجاح[5]، حيث مات ملكشاه مسموما سنة 555هـ/1160م في أصفهان[6]، وبذلك قد تخلصت الخلافة من احد الطامعين الكبار في إعادة التسلط السلجوقي، أما السلطان (سليمان شاه) فقد كان ميالا للهو، وقد ترك أمور دولته وشؤونها، وكان عنده استهزاء وقلة مبالاة بالدين مدمن يشرب الخمر في رمضان، حيث ثار عليه مدير مملكته يزديار الخادم فقتله في سنة 556هـ/1160م[7]، وفي السنة نفسها بويع للسلطان ارسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه سلطانا للسلاجقة[8].

وقد اتخذ الأمير (ايلدكز) اتابكاً له فسيطر ايلدكز على جميع مرافق الدولة وأصبح صاحب قوة ونفوذ وأطماع كبيرة بعد أن جعل أرسلان سلطانا بعد أن تخلص من منافسيه ملكشاه، وسليمان شاه بن السلطان محمد بن ملكشاه الذي قتل بتدبير احد الأمراء السلاجقة في همدان. حيث خطب بها لارسلان بالسلطنة[9]، فقد أرسل الاتابك ايلدكز إلى بغداد رسل يطلب الخطبة لأرسلان شاه وان تعاد القواعد إلى ما كانت عليه أيام السلطان مسعود[1]، مكرراً الهدف نفسه الذي قد سعى إليه السلاطين السلاجقة بالسيطرة على الخلافة ومقدرتها. فلما وصل رسول ايلدكز اهين ورجع على أقبح حالة[2]، وفي سنة 557هـ/1161م استولى الخليفة المستنجد بالله

---

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص68-67، البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص262.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص71.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص71، المقريزي السلوك، ج1، ق1، ص39.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص71.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص71، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص198، الراوندي، راحة الصدور، ص399.

[7] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص71، ابن الجوزي، المنتظم. ج10، ص198، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص243، الراوندي، راحة الصدور، ص399.

[8] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص243. للتفاصيل ينظر، أمين، تاريخ العراق، ص161. حمد الله المستوفي، تاريخ كزيده، ص470.

[9] حمد الله المستوفي، تاريخ كزيده، ص470. الحسيني، تاريخ الدولة السلجوقية، ص145.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص73.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص73.

على قلعه الماهكي من أيدي الســـلاجقة[3]، وهي قربية من بلدة البندنيجين[*]، ولم يكتف الخليفة بمغادرة السلاجقة بل قام بملاحقة أعوانهم ومن يقوم بمساعدتهم. ففي سنة 558هـــ/1162م امر الخليفة بقتال بني أسد من أهل الحلة لمساعدتهم التي قدموها للسلطان محمد عند حصاره لبغداد، حيث ظهر فسادهم وأحداثهم القلاقل للدولة العباسي. فشن عليهم الحرب وقتل منهم أعداداً كثيرة وتفرق الباقون في أنحاء مختلفة، وبذلك تخلصت الخلافة العباسية من مصدر كان كثيرا ما يثير الفتن والمشاكل لها[4].

وفي سنة 562هـــ/1166م، توجه شمله السلجوقي صاحب الاحواز إلى قلعة الماهكي وأرسل إلى الخليفة يطالبه بإقطاعه مناطق من العراق بالإضافة إلى شروط أخرى، متصوراً انَّه بذلك يمكن أن يفرض رغبته على الخليفة إلا أن الخليفة المستنجد بالله، رفض ذلك بقوة وأرسل إليه قوات كبيرة لردعه، مما دفع بشمله إلى أن يعود خائباً إلى بلاده[5]، وهكذا تميز عهد الخليفة المستنجد بالله باستقرار الأوضاع الداخلية في بغداد وغيرها من مناطق العراق الأخرى، وما ذلك إلا بسبب السياسة الحازمة للخليفة المستنجد في الضرب على يدي المعتدين[6]، وإلغاء الكثير من الضرائب التي كانت مفروضة على أبناء الشعب من قبل السلاطين السلاجقة ونوابهم في العراق[7]، وهذا ما يدل على قوة الخلافة وضعف السلاجقة وانقسامهم وكان هذا ثمرة الجهود الكبيرة التي قطعها الخلفاء المسترشد والراشد والمقتفي لأمر الله إذْ أتتْ ثمارها في عهد المستنجد، وأصبحت الدولة العباسية ذات مركز مرموق وصار ينظر إلى الخليفة نظرة هيبة وتقدير ومن الشخصيات التي كان لها اثرٌ كبيرٌ في إسناد الخليفة وتقديم المشورة الصادقة والمعونة السديدة، الوزير العباسي (يحيى بن هبيرة) الذي وزره الخليفة المقتفي لأمر الله والخليفة المستنجد بالله فقد كان لهذا الرجل يد قوية وحيل مرضية في قمع الدولة السلجوقية[1]، وهكذا يظهر لنا أنَّ الخليفة المستنجد بالله حاول استعادة نفوذ الخلافة ومقاومة أعدائها، وإكمال ما بدآه الخلفاء السابقون من

---

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص79.

[*] البندنيجين: تعرف اليوم باسم مندلي على نحو 93كم عن بعقوبة، د. مصطفى جواد، تكملة إكمال الإكمال، ص373.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص83.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص200.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص69.ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص233-234.

[7] أبو شامه، الروضتين في أخبار الدولتين، ص484.

[1] ابن طباطبا، الفخري، ص229.

الاهتمام بالحياة الاجتماعية[2]، وفي اليوم التاسع من ربيع الآخر سنة 566هـ/1170م توفي الخليفة المستنجد بالله العباسي أبو المظفر بعد مرض اشتد به[3]، ويعتقد بعض المؤرخين أن (قطب الدين قيماز) وبعض الأمراء قد تآمروا على الخليفة فادخلوه كرها إلى الحمام أغلقوا عليه الباب فخنقوه[4]، وقد عرف عن الخليفة المستنجد بأنَّه من أحسن الخلفاء العباسيين سيرة.

المبحث التاسع
الخليفة العباسي المستضي وعلاقته بالسلاطين السلاجقة
566هـ-575هـ/1170م-1179م

الخليفة المستضي هو أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر ولد في 6 شعبان سنة 536هـ/ 1157م بويع بالخلافة بعد وفاة والده سنة

---

[2] ابن طباطبا، الفخري، ص316.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص233.الديار البكري، تاريخ الخميس، ج2، ص363. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص371-372.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص74. الديار البكري، تاريخ الخميس، ج2، ص363، ابن طباطبا، الفخري، ص232-233. سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج8، ص284.

566هـــ/1170م[1] فقد بايعه القائمون على الخلافة كافتهم، ولقب بالمستضي بأمر الله إذْ انَّه اظهر العدل وكان إماماً عادلاً شريف النفس حسن السيرة كريماً ليس للمال عنده قدر حليماً شفوقاً على الرعية[2]، وكان قليل المعاقبة على الذنوب محبا للعفو والصفح عن المذنبين، وقد خُطِبَ له على منابر بغداد يوم الجمعة رابع عشر ربيع الاخر ونثرت الدنانير كما جرت العادة[3].

ومن أهم الحوادث المهمة في خلافته هي قتل الوزير ابن البلدي[*] في أثناء حضوره لمبايعة الخليفة جزاء لما اقترفه من عمل إذْ قام بقطع انف امرأة ويد رجل في ولايته فاستؤثر منه وقطع انفه ويده، ثم ضرب بالسيوف وأُلقي في دجلة[4]، فضلاً عن أنَّ الأمور لم تستقر في بغداد خلال هذه الفترة فقد أحدث قائد الجيش (قطب الدين قايماز) حركة ضد الخليفة مما دفع الخليفة إلى الاستعانة بعامة الناس في بغداد فقد هاجموا دار القائد ونهبوها، ومات قطب الدين وهو في طريقه الى الموصل[1].

وان أهم تطور سياسي وديني حصل في عهد الخليفة المستضي بالله 566هـ- 575هـ/ 1170م- 1179م هو إقامة الخطبة لدولة العباسية في مصر سنة 567هـــ/ 1171م فقد تمكن صلاح الدين يوسف من إسقاط دولة الفاطميين في عام 567هـــ/ 1171م فأمر بقطع الخطبة للعاضد آخر الخلفاء الفاطميين، وخطب للخليفة العباسي المستضيء[2]، وبعد أن سيطر على بلاد الشام ومصر وبلغ نفوذه إلى الحجاز واليمن اقره الخليفة المستضيء بالله على حكم مصر والمغرب والنوبة وغربي الجزيرة العربية وفلسطين وبلاد الشام[3]، وبذلك إزدادت هيبة الخلافة

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص262، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص79، الخضري بك، محاضرات، ص465.

الذهبي، دول الإسلامية، ص109، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص232-233، القرماني، أخبار الدول، ص177.

[2] الديار البكري، تاريخ الخميس، ج2، ص366، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص372، القرماني، أخبار الدول، ص177.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص233.

[*] ابن البلدي: هو شرف الدين ابو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدي، كان تاجرا بواسط فاظهر كفاءة عالية في ولايته لها فاحضره الخليفة المستنجد بالله واستوزره، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص233.

[4] ابن الجوزي، المنتظمة، ج10، ص233.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص108.

[2] أبو الفداء،المختصر في أخبار البشر ،ج2، ص53.

[3] أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر،ج2، ص53.

العباسية واتسع نفوذها إلاّ أنَّ العلاقة لم تكن حسنة بين الخلافة والسلاجقة وان الخليفة المستضي بالله لم يكن يختلف عن أبيه المستنجد أو جده المقتفي لأمر الله فانَّه أراد الحفاظ على ما أنجزه أولئك الخلفاء السابقين له فسار على خطاهم وخطى والده فلم يلب ما طلب منه بعض ملوك السلاجقة أو أمراؤهم بالخطبة لهم في بغداد[4]، وهذا ما نراه عندما تعرضت أملاك الخلافة لهجوم الملك السلجوقي محمود بن ملكشاه بن محمود سنة 572هـ/1176م حيث هجم من الاحواز على البندنيجين ونهبها، إلاّ أنَّ الخليفة المستضي بالله جمع قواته وواجه الملك السلجوقي بكل قوة وحماس واجبره على الرجوع[5]، وبهذا سارت العلاقات بين الخلافة والسلاجقة بالصدود وبذلك كانت الخلافة عازمة على عدم الاعتراف بأي امتياز للسلاجقة في بغداد فعندما أرسل البهلوان رسوله إلى الخليفة يطلب الخطبة للسلطان السلجوقي طغرل بن أرسلان بن طغرل محمد سنة 572هـ/1176م. والاعتراف بسلطنته فان الخلافة طردت رسول البهلوان، إلا إنها غيرت سياستها فيما بعد واعترفت بسلطنة طغرل فخطبت له سنة 573هـ/1177م[6]، ويرجح حربي رمضان الحديدي، أنَّ هذا الاعتراف من الخلافة لتحقيق أهداف منها: إبقاء حالة الفرقة والانقسام بين السلاجقة عن طريق الاعتراف بأحد ملوكهم وعدم الاعتراف بالآخرين، وتحديد تطلعات السلاجقة بجعل طغرل واتابكه محمد جهان بهلوان سنة 582هـ / 1186م قوة ضغط عسكرية ضد بقية ملوك السلاجقة لكبح طموحاتهم، وان إقامة الخطبة لطغرل وهو صغير السن ومتحكم فيه وبعيد عن الموقع الجغرافي للخلافة أفضل من الاعتراف بأي ملك سلجوقي طموح وقريب من مركز الخلافة[1].

وبذلك تكون الخلافة هي صاحب القرار السياسي والديني ولا يكون للسلطان سوى الاسم بهدا الاعتراف، وبهذا الاسلوب السياسي عزز الخليفة مكانة الخلافة ووفرها بان جعلها بعيدة عن مظاهر التسلط السلجوقي واعز هيبتها، إلاّ أنَّ الخليفة المستضي بأمر الله قد مرض في أواخر شوال سنة 575هـ/ 1179م فأرادت زوجته أن تكتم ذلك فلم يمكنها واستمر مرضه شهر شوال بأكمله، فقد توفي في 2 ذي القعدة وله من العمر تسع وثلاثون سنة ومدة خلافته تسع سنين

---

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص71-73، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر،ج2، ص53.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص147، ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص264.

[6] أبو الفداء، المختصر،ج2، ص60، ابن الوردي، تتمة المختصر، ج2، ص134.

[1] الحديدي: حربي رمضان هلال، علاقة الخلافة العباسية مع دويلات المشرق الإسلامية في عهد الخليفة الناصر لدين الله 575هـ-622هـ/ 1179م-1225م، رسالة ماجستير جامعة الموصل، (الموصل 1412هـ-1991م)، ص19.

وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما، فغسل وصلّي عليه ودفن بدار النصر التي بناها حسب وصيته التي أوصاها[2].

المبحث العاشر

الخليفة العباسي الناصر لدين الله وعلاقته مع السلاطين السلاجقة

575هـ-590هـ/ 1179م- 1193م

هو أبو العباس أحمد بن المستضيء حسن بن المستنجد يوسف الهاشمي العباسي أمير المؤمنين، ولقب بالناصر لدين الله[1]، ولد في يوم الاثنين عشرة رجب سنة 553هـ/ 1156م[2]، بويع بالخلافة في بغداد بعد وفاة والده الخليفة المستضيء في ذي القعدة سنة خمس وسبعين

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص157، ابن الطقطقي: الفخري، ص236، المقريزي، السلوك، ج1، ص217، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص377، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص304، الديار البكري، تاريخ الخميس، ص366.

[1] الديار البكري، تاريخ الخميس، ص366. القرماني، أخبار الدول، ص178، الخضري بك، محاضرات، 466.

[2] الديار البكري، تاريخ الخميس، ص366. القرماني، أخبار الدول، ص178.

وخمسمائة[3]، وكان عمره عند توليه الخلافة اثنان وعشرون سنة[4]، كان الناصر ذو كفاءة عالية وسياسة قوية في إدارة شؤون الخلافة[5]، استفاد الخليفة الناصر لدين الله من أعمال وجهود الخلفاء الذين سبقوه في بناء الدولة ورسم سياستها الداخلية والخارجية إذْ أنَّهُ جابه السلاجقة ولم يمنحهم أية فرصة لتحقيق طموحاتهم في السيطرة على بغداد أو منحهم أية امتيازات تفرط في هيبة الخلافة[6]، اهتم الخليفة الناصر لدبن الله بترتيب الاوضاع الداخلية وتأمين الجبهة الداخلية، فقد فرض الاحترام لشخص الخليفة، ومكانته وتوسيع هيمنة الخلافة جغرافياً ومنع أيَّة قوة من تكرار فرض نفوذها والهيمنة على الخلافة مهما كانت هذه القوة، داخلية أم خارجية، وكل هذا من أجل الاستعداد لمجابهة السلاجقة[7]، وكذلك فان السلطان طغرل بن أرسلان لم يظهر أي تحد من اتجاه الخلافة وممتلكاتها خلال هذه الفترة لكونه واقعا تحت حكم وسيطرة عمه الاتابك محمد بن ايلدكز ولم يكن له غير الاسم فقط[8]، من جانب آخر فإنَّ العلاقة بين الخلافة العباسية والاتابك محمد بن أيلدكز كانت جيدة، فقد أظهر طاعته واحترامه للخليفة العباسي الناصر لدين الله[1]، وهذه العلاقة تدل على أنَّ كلاًّمن الاتابك محمد والخليفة الناصر لدين الله كانا مستفيدين من ضعف السلطان طغرل بن أرسلان.

إلاّ أنَّ الاتابك محمد بن ايلدكز توفي سنة 581هـ/ 1186م، وخلفه في الحكم أخيه قزل أرسلان بن ايلدكز 581هـ- 587هـ/1185م- 1191م[2] ولكن بعده وفاة الاتابك محمد حاول السلطان طغرل ان يستبد بالأمور وتكون كلمته هي العليا في الحكم. فساءت العلاقة بينه وبين الاتابك قزل أرسلان فلم يستطيع السلطان، التحكم في الأمور والتغلب على قزل فهرب السلطان بعد أن انضّم إليه جماعة من الأمراء البهلوانية[3]، إلاّ أنَّ السلطان أدرك انَّهُ مخطيء بمعاداة حكم قزل ارسلان وانه ليس من مصلحته، فإنَّ الأمراء يميلون إلى الاتابك محمد أكثر وذلك لكثرة

---

[3] الديار البكري، تاريخ الخميس، ص366، للتفاصيل ينظر، السامرائي وآخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، ص333. مجموعة مؤلفين، العراق في التاريخ، ص457.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص361.

[5] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص451، ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص244.

[6] الحديدي، علاقة الخلافة العباسية ، ص20.

[7] الجومرد، عبد القادر، اثر الخلافة العباسية في تكوين العلاقات ، ص444.

[8] ابن الأثير، ج9، ص361. للتفاصيل ينظر،97، اثر الخلافة في تكوين العلاقات، ص448.

[1] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص172.

[2] أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج3، ص70.

[3] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص174.

أتباعه وهيبته وميل قلوب الناس إليه لتقديمه العطاءات لهم[4]، فلذلك غير السلطان طغرل سياسته وأدرك إنها ليس من مصلحته على هذا النحو لما يتعرض إليه من زعزعته على منصبه في تعيين احد السلاطين المحبوسين[5]، في احد القلاع محله كسلطان، فبادر بالاتفاق مع معاونيه على أن يدعو قزل أرسلان ويعينه اتابكا له، فكلف (شرف الدين ألب أراغون) ابن أمير البلاط للقيام بهذه المهمة ويتولى عقد الاتفاق مع قزل، وأرسل معه هدايا تشمل على خيل وسلاح وقباء وقلنسوه إلى أذربيجان حيث مقر قزل أرسلان[6]، إذْ إنَّ هذا التنازل من قبل السلطان قد أوقع الارتياح والسرور في نفس قزل أرسلان، وأنَّ منصب الاتابك يتيح له فرصة سيطرته ونفوذه على البلاد، ولتأكيد قوته وهيبته فقد توجه بجيش جرار إلى دار الملك بهمدان فقد قبل يد السلطان في جوسقة، فوطد حكمه أكثر من ذي قبل[7]، إلاّ أنَّ السلطان طغرل بقيت نفسه تواقه للتفرد في السلطة وينتظر الفرصة المناسبة، ففي إحدى المرات خرج مع أتابيكه إلى الري، إذْ استغل الفرصة وهرب إلى (أي هيه) و(روس) [*] الذين كان في منطقة دامغان[*] عاد الاتابك قزل ارسلان من دولاب[*] إلى همدان بعد هروب السلطان[1] أمّا السلطان طغرل فاخذ يجمع قواته فانضَّم إليه صاحب ابهر[*]، وأصحاب زنجان[*]، وصاحب مراغه فلما سمع قزل بذلك هام على وجهه فخرج من همدان وتوجه إلى أذربيجان[2]، ثم توجه السلطان طغرل إلى همدان فدخلها، ثم حدث خلاف بين الاتابك قزل وأرسلان وأرملة أخيه اينانج خاتون واولادها حيث فارقا الاتابك قزل واتجها نحو السلطان طغرل فالتحقا في خدمته[3]، وهذا عزز موقف السلطان وقوته ثم أقبل الأمراء لتقديم فروض الطاعة للسلطان وبقي في همدان شتاء سنة 583هـ/1187م[4]، خشي الاتابك قزل من تناهي قوة السلطان طغرل فأرسل إلى الخليفة الناصر لدين الله يستنجده

---

[4] الراوندي، راحة الصدور، ص471.

[5] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقي، ص174.

[6] الراوندي، راحة الصدور، ص471.

[7] الراوندي، راحة الصدور، ص472-473.

[*] هما جمال الدين (أي ايه) وسيف الدين (روس) كما انها من المماليك الاتابك محمد بن ايلدكز ومقدمين على عساكره ينظر: الراوندي، راحة الصدور، ص474.

[*] دامغان: مدينة كبيرة بين الري، ونيسابور وهي قصبة قومس، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص433.

[*] دولاب: من قرى الري. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص485.

[1] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص175-176.

[*] ابهر مدينة مشهورة بين قزوين وزنوهمدان من نواحي الجبل. ياقوت الحموي، معجم البلدان.

[*] زنجان، مدينة كبيرة ومشهورة في نواحي الجبال وهي قريبة من ابهر وقزوين. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص152.

[2] الراوندي، راحة الصدور، ص476.

[3] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقي، ص176.

[4] الراوندي، راحة الصدور، ص477-479.

لتخلص من السلطان طغرل وبذل ما في نفسه لخدمة الخلافة وموالاته لها[5]، حيث تبين للخلافة نوايا السلطان طغرل وطموحاته. حيث أرسل رسولا[6]، سنة 583هـــ/1187م. إلى بغداد يطلب تعمير بيت السـلطنة ليسـكنها عند وصـوله إلى بغداد[7]، إلاّ أنَّ رد الخليفة كان حازما فقد أمر بطرد رسول السلطان دون جواب وأمر بهدم دار السلطنة، فهدمت وأزيلت آثارها تماما [8]، وكان هدمها هذا هو تحدٍّ لطلب السـلطان طغرل باعمارها وكذلك تحدٍّ لطلب السـلطان طغرل بذكر اسمه في الخطبة في مساجد بغداد إلى جانب اسم الخليفة والخطبة للسلجوقيين في بغداد فرفض الخليفة ذلك وان هذا الإجراء يدل على عزم الخلافة لقضـاء على آخر رمز للسـلاجقة في بغداد وهو دار السـلطنة[9]، وبذلك فان إجراءات الخليفة هذه هي أكثر قوة وصـمود بوجه السـلاجقة. والوقوف بوجه طموحاتهم فقد أرسل الخليفة جيشاً كبيراً جهزه من بغداد لمحاربة طغرل بن أرسلان والوقوف بجانب السـلطان قزل أرسـلان في حين يتقدم هو من أذربيجان،وأنَّ الخلافة كانت استعدت عسكرياً لمجابهة السلاطين السلاجقة عسكرياً للقضاء عليهم إلاّ إنَّ الفرصة التي انتهزها الخليفة قد أتت برسول قزل أرسلان إليه السابق الذكر وبإرسال الخليفة الجيش لذلك ودفعه مبلغ ستمائة ألف دينار لنفقات الجيش[1]،ثم عين الوزير علي جلال الدين بن يونس قائدا للحملة التي أصـبح تعدادها خمسـة عشـرة ألف فارس، فجرت بينهم معركة[2]،ويذكر الحسـيني بقوله:((إنَّها حرب شابت منها الذوائب وتهدمت صفوف الاطلاب والمقانب))[3]،وعلى الرغم من ثبات الجيش وقائده وانتصـاره في بداية الأمر إلاّ انه قد خسـر نهاية المعركة وعاد جيش الخلافة إلى بغداد متفرقين ووقع الوزير أسيراً بيد السلطان الذي جاء إليه وقال له((إنَّ عسكرك قد انهزم ولم يتخلف عندك سـوى الغلمان فلا تقتل نفسـك ومن معك وأمر جماعة من الأمراء جاءوا إليه وحملوه إلى خيمة قد نصبت له))[4] وعلل المؤرخون أسباب خسارة هذه المعركة واختلفوا في تفسيراتهم لهذه الخسارة إلا انه يمكن اعتبار جميع التفسيرات هي التي أدت إلى خسارة المعركة لكونها متشابهة

---

(5) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص188.

(6) الرسول: هو صاحب تبريز، الذهبي، دول الإسلامية، ج2، ص93.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص189. اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص226.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص189.

(9) العبود، د. نافع توفيق، جهود الخلافة للتحرر من النفوذ السلجوقي خلال القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير على الالة الكاتبة مقدمة الى جامعة بغداد (بغداد، ب ت)، ص19.

(1) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص177.

(2) الحديدي، علاقة الخلافة العباسية مع دويلات المشرق الإسلاميةي، ص127.

(3) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص177.

(4) ابن خلدون، العبر، ج3، ص529، ابو الفداء، مختصر، ص76.

في بعض الأحيان ومكمل أحدهما للآخر[5]،وبهذا الانتصــــار الذي حققه الســـلطان طغرل ارتفع شانه ومكانته بعد رجوعه إلى همدان سنة 584هـ/1188م[6]حيث توافد إليه الأمراء لتقديم فروض الطاعة له[7]، أمَّا الخليفة فانه اخذ بتجهيز الجيش مرة ثانية، وزوده بالأســـلحة ومعدات القتال، وعين مجاهد الدين خالص قائدا للجيش، فخرج الجيش من بغداد في نهايةسنة 583هـــ/1188م متوجهاً إلى همدان وفي الوقت نفسه استعد الاتابك قزل أرسلان لمحاربة السلطان طغرل، حيث توجه على راس جيش إلى همدان أيضـــاً ولما علم الســـلطان طغرل بذلك غادر همدان واتجه صـــوب أصـــفهان[*]، حيث اســـتطاع جيش الخليفة من دخول همدان والاقامة بها عدة ايام[8]ثم التقى جيش الخلافة مع جيش الاتابك قزل أرســـلان فقد تم إكرامه وتســـليم الولاية إليه نيابة عن الخليفة الناصــر لدين الله وخاطبوه بالملك نصــير أمير المؤمنين وإنهم مأمورون بمعاضــدته وأنَّ العساكر تنقاد إلى مشورته وحكمه وطاعته،وكلما أوصل إليه الحجاب شئنا قَبَّلَ الأرض إلى أن قَبَّلَها مراراً وانزلوه في خيمة مجاهد الدين خالص وخلعوا عليه خلعاً دينيه[1]، وهكذا يظهر لنا بأنَّ الخليفة الناصر لدين الله وجد قزل أرسلان اكبر حليف له ليضرب به السلاجقة ويتحدى طموحهم ويسترجع نفوذ الخلافة[2]، فقد جرت عدة معارك بين الاتابك قزل أرسلان والسلطان طغرل خلال عام 584هـ/1188م[3].

وفي نهاية هذه المعارك دَبَّ الضـعف والانحلال في جبهة السـلطان طغرل نتيجة تحكم الأمراء وتعرض طغرل لمؤامرة كادت تؤدي بحياته[4]، فقد اســـتغل الاتابك قزل أرســـلان هذه الفرصــة فتحرك لمحاربة طغرل، ولكن لم يكن للسـلطان طغرل على مقاومته فترك عاصـمة ملكة همدان، بعد أن ثار عليه عمه محمد بن طغرل[5]، وأولاد عمه وطمع أعداءه في الاســتيلاء على

---

[5] للاطلاع على اهم التفسيرات ينظر الحديدي، علاقة الخلافة العباسية ، ص28.

[6] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص178.

[7] الراوندي، راحة الصدور، ص483.

[*] اصفهان: مدينة مشهورة في بلاد فارسوهي من نواحي الجبل، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص206.

[8] الراوندي، راحة الصدور، ص483.

[1] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص178.

[2] الحديدي ، علاقة الخلافة العباسية بدويلات المشرق الإسلامية، ص30.

[3] الراوندي، راحة الصدور، ص483.

[4] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج6، ص135. البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص275-276.
اليزدي، العراضة ، ص158-159، الراوندي، راحة الصدور، ص483.

[5] الراوندي، راحة الصدور، هامش2، ص492.

ملكه[6]، فهاجمه قزل أرســـلان واســـتولى على أمواله، في حين هرب الســـلطان طغرل الى القفجاق[7]، قاستقبل من قبل الأمير حسن قفجاق سنة 585هـــ/1189م وزوجه بأخته[8]، حيث استطاع قزل أرسلان من الاستيلاء على همدان عاصمة السلاجقة، فإزدادت قوته وامواله فادركت الخلافة ضرورة دعم قوته فأرسل إليه الخِلَع وأصبح أمر المملكة مقرراً له[9].

اتصـل السلطان طغرل بصـلاح الدين الأيوبي[*]، فقد أرسل إليه رسولاً للحصـول على العون منه لاسـترجاع ملكه سـنة 585هــــ/1189م إلا أنَّ صــلاح الدين اعتذر عن ذلك لكونه مشغولاً في حرب الصـليبين[1]، إلا انه كتب إلى زين الدين يوسف صـاحب إربل وإلى حسن بن قفجاق في شهرزور[*]، للقيام باعانته وخدمته. ثم كلف جمال الدين أبو الفتح إسماعيل بن محمد للقيام بمهمة الصلح بين قزل أرسلان والسلطان طغرل[2]، (إلا أنَّ هذا الصـلح لم يتم). وخاطب السلطان طغرل الخلافة العباسية من اجل إصـلاح علاقته معها فقد اتفق مع أمرائه على إرسال رسول إلى الخلافة سنة 585هـــ/1189م وحمل الرسول هدايا وتحف، وطلب المعذرة والعفو من ديوان الخلافة[3]، في مقاتلته الوزير جلال الدين بن يونس، مبرراً عمله هذا بأنَّه كان مضـــطراً إليه (وهو الآن مملوك الدولة وعبد الطاعة...الخ)[4]، ولغرض التأكيد وإيضاح نية السلطان اتجاه تحســين علاقته بالخلافة فقد أرســل ابنه ألب أرســلان كرهينة لدى الخلافة بعد ان طلبت منه الخلافة ذلك، فدخلها في السـابع من محرم سـنة 586هــــ/1190م وكان صـبياً صـغيراً فأكرمه الخليفة الناصـــر وعفى عن جرائم أبيه وما فعل بابن يونس، وخلع عليه الســلطنة وطوقه بطوق

---

[6] الراوندي، راحة الصدور، ص492.

[7] الراوندي، راحة الصدور، ص492.

[8]) الراوندي،راحة الصدور، ص492، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص275- 276.

[9] اليزدي، العراضة، ص162.

الراوندي، راحة الصدور، ص493.

[*] صلاح الدين الايوبي: هو صلاح الدين ، نجم الدين بن أيوب بن شادي وسمي بالأيوبيين نسبة إلى والد صلاح الدين، ولد صلاح الدين في تكريت سنة 532هـ/ 1137م وانتقل مع والده نجم الدين وعمه أسد الدين شيركوه إلى الموصل فقد عمل في خدمة أتابكها المشهور عماد الدين زنكي ومن بعده ابنه نور الدين محمود وكلف بالذهاب إلى مصر في معية أسد الدين شيركو لمساعدته ضد الصليبيين. ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص108.

[1] أبو شامه الروضتين، ج2، ص149. ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص306.

[*] شهرزور: منطقة في الجبال، بين اربل وهمدان وأهلها كلهم أكراد. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص375.

[2] الاصفهاني، الفتح القسي، ص174.

[3] الحديدي، 0علاقة الخلافة العباسية مع دويلات المشرق، ص320. الذهبي، تاريخ الإسلامية، ص15.

[4] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص176-180.

ذهب[5]، ثم كتب الخليفة إلى والده السلطان طغرل بان يقيم في موضعه حتى يدبروا أمره فأقام هناك إلى أيام الربيع إلاّ أنَّ السلطان طغرل خالف أوامر الخلافة فاتجه إلى أذربيجان[6]، فقصده الاتابك قزل أرسلان فاتجه إلى همدان فلم يستطيع الدخول فيها لوجود جيش كبير لقزل أرسلان فتبعه الاتابك قزل أرسلان فأوقع بالسلطان طغرل فتغلب عليهم واربك جيشهم واسر بعض كبارهم[7]، ثم رسم الاتابك قزل أرسلان خطة لالقاء القبض عليه بالاتفاق مع الامراء الذين كانوا بخدمته إذْ اظهروا له الخضوع والطاعة بأقوالهم فانخدع السلطان بأقوالهم[8]، فقد خرج والتف الأمراء حوله وقالوا له ((ان الاتابك قد أمر بوجوب أسرك)) ثم ضربوا مظلة السلطان[9]، وأسره في رمضان سنة 586هـ/1190م إلاّ أنَّ السلطان طغرل اعتقد أنَّ الاتابك سوف يعفو عنه ويغفر له زلاته ويقبل أن يكون معه مثلما كان مع أخيه الاتابك محمد بن ايلدكز. إلا أنَّ الاتابك قزل أرسلان أراد التخلص نهائياً من السلطان طغرل فاعتقله بإحدى القلاع بأذربيجان بالقرب من تبريز[1]، ثم أخرج الاتابك قزل أرسلان، سنجر بن سلمان من القلعة وأجلسه على عرش السلطنة محل السلطان طغرل[2]، بعد استقرار الأوضاع في همدان لصالح الاتابك قزل أرسلان، حاولت الخلافة تجريد السلاجقة من امتياز السلطنة حيث منح هذا الامتياز للاتابك قزل، فقد أرسلت الخلافة رسالة له تقول فيها: ((ينبغي أن تجلس أنت بنفسك على عرش السلطنة)) ففرح الاتابك قزل بهذه البشارة سنة 587هـ/1191م[3]، وسك اسمه على الدراهم والدنانير ورفع علم الاستغلال على المدينة إلا أنَّ الاتابك قزل أرسلان لم يطل به العمر فقتل في شوال سنة 587هـ/ 1191م، فقد تولى الحكم بعده نصر الدين أبي بكر 587هـ-607هـ/ 1191م-1210م[4]، فقد مكن مقتل الاتابك قزل أرسلان السلطان طغرل من الهرب من سجن القلعة واستعادة نفوذه في همدان والري[5].

---

[5] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص400-401.

[6] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص180.

[7] الراوندي، راحة الصدور، ص449.

[8] الراوندي، راحة الصدور، ص500.

[9] الراوندي، راحة الصدور، ص500. اليزدي، العراضة ، ص163.

[1] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص180.

[2] الراوندي، راحة الصدور، ص501.اليزدي، العراضة، ص163- 164.

[3] الراوندي، راحة الصدور، ص501.

[4] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص180.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص230، العبود، الدولة الخوارزمية، ص80.

بعد هذا التطور الخطير قرر الخليفة الناصر لدين الله الاستعانة بالدولة الخوارزمية التي علا شأنها خلال هذه الفترة والتي كان لها حروب عديدة مع السلاجقة[6]، فقد أرسل الخليفة سنة 590هـ/ 1193م إلى خوارزم شاه علاء الدين تكش ملك الدولة الخوارزمية يحرضه على طغرل ويطلب قتاله مقابل البلاد التي تحت سيطرته[7]، فاستجاب علاء الدين تكش لطلب الخليفة، فسار خوارزم شاه على رأس جيش كبير من نيسابور إلى الري لتنفيذ هذه المهمة ولقد التقى الطرفان بالقرب من الري بمعركة ضارية جرت من 24 ربيع الاول انتهت بمقتل السلطان السلجوقي طغرل، وقد وصل الخبر إلى الخليفة الناصر لدين الله[8]، الذي لم يكتف بتحرض علاء الدين تكش على القتال، بل أرسل قوات لمؤازرته بقيادة وزيره مؤيد الدين بن القصاب، وهذه القوات لم تشارك لقصر المعركة وانتهائها قبل وصولها، وبمقتل طغرل بن أرسلان آخر السلاطين السلاجقة[9]، لكون الخليفة الناصر لدين الله قد أنهى وجود السلاجقة وأطماعهم من العراق والمنطقة العربية مكللاً بذلك الجهود العظيمة التي بذلت في التصدي لهم وفي مقاومته من قبل أبناء العروبة والعراق وأسلافه من الخلفاء، وبذلك جرد عزيمته في قطع دابرسلاطين السلاجقة وغيرهم عن بغداد ومَحو آثارهم وملك بلاد خوارزم بجيوشه التي أرسلها إليها وملك بلاد داقوقا وقلعة تكريت وقلعة حديثة.. وعند مقتل طغرل

السلجوقي سنة 590هـ/ 1193م حُمِلَ رأسه إلى بغداد ولما وصل رأسه تمثله الوزير محمد بن القصاب[1]، فقال بيت شعر:

سهم أصاب وراميه بذي سلم　　　من بالعرات لقد بعدت مرماك[2]

وكان لهذا الحدث نتائج مهمة زادت من هيبة الخلافة وقوتها ونفوذها وامتداد سيطرتها إلى العديد من الأقاليم الشرقية وتتضح أهمية هذا النصر من خلال ما وصفت به شخصية الخليفة الناصر لدين الله بأنَّهُ كان باقة زمانه ورجل عصره وفي أيامه انقرضت دولة آل سلجوق

---

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص230.العبود، الدولة الخوارزمية، ص80.

[7] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص230.

[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص230، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص109.

[9] الصياد فؤاد عبد المعطي، مؤرخ المغول الكبير، دار الكتاب العرب للطباعة والنشر، ط1، (1967)، ص680. نقلا عن كريمة المقاومة العربية، ص170.

[1] ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص245.

[2] البيت للشريف الرضي وإنما أراد الوزير ان الناصر لدين الله أمر السلطان محمد بن تكس المعروف بخوارزم شاه بمحاربة السلطان طغرل السلجوق فقتله وبعث برأسه إلى بغداد.

بالكلية[3]، وآخر يقول انه حمى حريم الدولة باهتمامه وكثرة جنوده، وله آثار جميلة ثم جدد عزيمته في إزالة السلاطين السلجوقية وقطع آثارهم من العراق وامتد نفوذه إلى العديد من المدن والأقاليم الشرقية واسقط ما كان بها من ملوك[4].

---

[3] ابن طباطبا، الفخري، ص260.

[4] الاربلي، خلاصة الذهب، ص281.

الخاتمــة ونتائج البحث

الحمد لله على نعمه الفضيلة والصلاة والسلام على خير البشر سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحابته البررة الكرام)

1. كانت هذه الرسالة هي استخلاص للحقائق والعلاقات للمدة التي حكم فيها السلاجقة العراق والممتدة من سنة 447- 590هـــ/ 1055-1193م فبحثت فيها بعض المساويء التي كانت سائدة في العصر البويهي ومساويء الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية فضعفت السلطة المركزية، وهذا ما ادى الى ان تواجه الخلافة العباسية تحد آخر هو التحدي السلجوقي، فقد تقدم السلاجقة نحو العراق فدخلوا بغداد سنة 447هـ/ 1055م فاحتلوا العراق بعد سلسلة من الاتصالات والمراسلة بين السلطان السلجوقي طغرلبك والخليفة القائم بامر الله وبعدها أصبحت العلاقات أكثر اتصالا ونمت وتطورت حسب إرادة السلاطين السلاجقة ونواياهم من أجل الحصول على التفويض الديني والشرعي في السلطة وحكم البلاد من أجل مصالحهم الخاصة وأهدافهم المنشودة.
2. تبين من خلال البحث ان عصرهم لم يختلف عن عصر البويهيين فكله فتن واضطرا بات كثيرة إلا أنّ كل واحد منهم قد ناصر طائفة دينية مختلفة وحسب ما تتطلبه مصالحهم الخاصة من أجل شق وحدة المسلمين وتناحرهم ليسهل عليهم احتلالهم والسيطرة على ثروات بلادهم ولكن الطرفين قد استغلوا النظام الإقطاعي لمؤيديهم وأنصارهم ولكنه أصبح أوسع خلال حكم السلاجقة وتسبب في ضعف الدولة السلجوقية بحيث انه أصبح عبء عليها فانهكها وادى الى انهيارها وسقوطها.
3. وكشف البحث عن تناقض واختلاف في أهداف ونوايا الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية فأصبحت العلاقة غير مستقرة ومتزنة بين قوى تطلب الاستقلال وتولد قيام الحرية والمساواة وقوى ظالمة متعسفة تعمل على استعباد الناس وكبت حرياتهم وهدم اقتصادهم وهذا من خلال تجاوز السلاطين السلاجقة على الخلافة وشاركوا الخلفاء العباسيين في شارات الخلافة واستأثروا بالسلطة لحسابهم الخاص. فضلا عن تجاوزهم على أبناء الشعب، فقد تدهورت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في ظل تسلطهم فكثرت الأمراض وتكررت المجاعات، وفقد الأمن والاستقرار إلا أنّهُ في هذه الفترة ظهر النشاط السياسي والعسكري الذي أبداه الخلفاء العباسيين في الجهاد في سبيل إنقاذ الخلافة من الحكم السلجوقي، وقد بدأت هذه المحاولات من قبل الخليفة المسترشد بالله 512هـ-529هـ/ 1118- 1134م، وانتهت تلك المحاولات باستقلال الخلافة نهائياً سنة 590هـ/ 1193م، في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله. فقد دَبَّ الضعف في صفوف السلاجقة نتيجة المنافسات الشديدة والحروب المستمرة والمتقطعة من أجل الوصول إلى العرش .
4. كانت للسياسة الإقطاعية التي اتبعها السلاجقة آثار بعيدة في تجزئة العالم السلجوقي، وقيام الاتابكيات التي انتقلت وصارت تنافس الدولة المركزية نفسها وقد استغلت الخلافة ضعف السلاجقة وخصوماتهم، فعملت على الإطاحة بذلك النظام والتخلص من النفوذ السلجوقي إلا أنَّ هذه الحقبة

شهدت علاقات وثيقة في بعض الأحيان ما بين السلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين فأصبحت المصاهرات السياسية من أهم سماتها هذه الفترة لتزوج بعض الخلفاء من بنات أو أخوات السلاطين السلاجقة والشيء الذي حدث ولم يحدث من قبل هو زواج السلاطين من بنات أو أخوات الخلفاء العباسيين مشاركة السلاطين السلاجقة بإشاراتهم والختم على النقود والتمثل بالخلفاء وتحديد الأعمال المهمة وتسيير الجيوش ودفع الرواتب وغيرها ، كما أصبح السلاطين السلاجقة في بعض الأحيان يأمرون الخلفاء العباسيين وما على الخلفاء إلا أنّ ينفذوا هذه الأوامر إذ كانوا ضعفاء أو يقاوموهم ويقفون بوجوههم في حالة القوة وعدم الرضا والقبول لهذه الأعمال الانتهازية.

5. إن هذه الحقبة ميزت قوة بعض الخلفاء العباسيين الذين هددوا كيان الدولة السلجوقية وضربوها في الصميم وذلك عن طريق تأجيج التناحر والاختلافات والتنافس على السلطنة والوصول إليها فوقفوا بجانب طرف واحد وتركوا هذه الأطراف تتحارب مع بعضها البعض من اجل مطامعها الشخصية فأنهكتها بالحروب المحلية المستمرة وإنّ عملهم هذا بمساعدة احد الأطراف المتنازعة على السلطة يظهر لنا عندما تكون الخلافة ضعيفة ومنهكة ولا تستطيع أن تقوم بدور عسكري وان هذا واجب سياسي لكي تنهض وتعيد قواها من جديد لمحاربة المحتل وتحرير الخلافة وبلادها وإرادتها وان هذا العمل السياسي عمل كبير ويعد في بعض الأحيان بمثابة انتصار كبير في معركة كبيرة يمكن ان تخرج الخلافة والبلاد من دوامة الاحتلال.

6. وكذلك انه عد من اهم اسباب انتصار الخلفاء العباسيين على السلاجقة لانه كان جانب قوي وكبير في تهيئة الفرصة لاعداد الجيوش للحرب وانهاء التسلط السلجوقي وتحرير الخلافة العربية الاسلامية من رموز الاحتلال وهذا ما يتطلب ان يعمله كل اصحاب العقول لتحرير بلادهم من الاحتلال فيجب ان نحارب المحتل بالسياسة والفتن لاعداد مستلزمات الحرب والسيف لانقاذ الشعوب وحضارتها وخيراتها.وهذا يعد من الجوانب المهمة التي أدت إلى انهيار دولة السلاجقة وزادت من عزم الخلفاء العباسيين من تحرير بلادهم وتخلصهم من السيطرة ومن كل مظاهر الاحتلال السلجوقي وإعادة هيبة الخلافة العباسية.

ومن الله تعالى التوفيق

المصــادر والمراجع

القران الكريم:

المصادر:

ابن الأثير: أبي الحســن علي بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشــيباني (ت630هـ)

1. الكامل في التاريخ، دار الفكر (بيروت- 1978م)
2. الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق: عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة .

الاصطخري: إبراهيم بن محمد (1346هـ)

3. المسالك والممالك. تحقيق: محمد صابر، مطبعة (ج، ع.م- 1961م)

الاصفهاني:

4. الفتح القسي من الفتح القدسي ، (القاهرة- ب ت)

باريزي، يعقوبي بني الليث.

5. عن كتاب تاريخ سبيستان، مؤلف مجهول (ب ت).

البغدادي: عبد القادر بن الطاهر

6. الفرق بين الفرق ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، 1924م.

البغدادي: عبد المؤمن عبد الحق

7. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . تحقيق علي محمد البجاري، دار أحياء الكتب العربية 1374هـ / 1954م

البيروني: أبو أريحان محمد بن احمد.

8. الآثار الباقية عن القرون الخالية. مطبعة ليبزيج (1878م) دار الطباعة الحديثة، (مصر- 1956م).

البيهقي: أبو الفضل محمد بن حسين، (ت470هـ/ 1077م)

9. تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار الطباعة الحديثة (مصر- 1956).

ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن الاتابكي (ت874هـ/ 1469م)

10. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة العربية للتأليف والنشر والطباعة، (القاهرة، ب ت)

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد (ت 597هـ/ 1200م)

11. المنتظم في تاريخ الرسل والملوك والأمم، الدار الوطنية، (بغداد- 1990).

الجويني، علاء الدين عطاء الملك بن بهاء الدين محمد بن محمد (ت 658هـ)

12. تاريخ جهاكشاري، تحقيق: محمد عبد الوهاب قزويني، مطبعة بيرل در (لندن-1329هـ/ 1911م).

الحلبي: احمد بن محمد بن علي بن احمد.

13. ملخص تاريخ الإسلام للذهبي. مكتبة الأوقاف، بغداد مخطوطة رقم 5885، ج6، حوادث سنة 456هـ.

الحسيني: صدر الدين أبو الحسن علي بن ابي الفوارس

14. اخبار الدولة السلجوقية، نشر محمد اقبال (لاهور- 1933م، بيروت- 1984).

15. زبدة التواريخ، اخبار الامراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد نور الدين، دار إقرأ (بيروت – 1986).

الحميري: محمد بن عبد المنعم.

16. الروض المعطار في خبر الأقطار.
تحقيق: احسان عباس، مطبعة هيدلبرغ (بيروت- 1984م)

ابن حوقل: محمد النصيبي (ت367هـ/ 977م)

17. صورة الأرض، مكتبة الحياة (بيروت، ب ت)

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت808هـ/ 1405م)

18. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر (بيروت- 1958م)

19. مقدمة ابن خلدون، المطبعة الأزهرية (مصر-1348هـ/ 1930م).

ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشامي (ت681هـ/ 1271م)

20. وفيات الأعيان، ج2، مطبعة الوطن (القاهرة- 1299م)

الخطيب البغدادي: الحافظ ابو بكر احمد بن علي.

21. تاريخ بغداد مدينة السلام.

ابن دحية: أبو الخطاب عمر بن أبي علي حسن بن علي (633هـ/ 1235م)

22. النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق: عباس العزاوي، مطبعة المعارف (بغداد- 1946م)

الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن المالكي (ت 982هـ/ 1574م)

23.تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس.
مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع (بيروت- ب ت)

الدينوري: أحمد بن داؤود

24. الأخبار الطوال، تحقيق: جمال الدين الشيال، عبد المنعم عامر، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة، 1960).

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، (ت 748هـ/ 1347م)

25. تاريخ الاسلام ومشاهير الاعلام. مخطوطة دار الكتب المصرية برقم (42، تاريخ)

26. دول الإسلام في التاريخ، حيدر اباد الدكن، (1364هـ/ 1944م)، ط2.

27.العبر في خبر من غبر، تحقيق: فؤاد سيد، وصلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات في الكويت، (الكويت-1960).

الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت 660هـ).

28. مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، لبنان (بيروت- 1401هـ/ 1981م)

الراوندي: محمد بن علي بن سليمان، (ت599هـ/ 1202م)

29.راحة الصدور وآية السرور. نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواري، وعبد المنعم حسنين وفؤاد عبد المعطي الصياد، راجعه ونشر مقدماته إبراهيم أمين الشواربي ، مطبعة دار القلم (القاهرة- 1960).

الزبيدي: محمد مرتضى

30. تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر ، (بيروت- 1969)، (بغداد - ب ، ت).

سبط ابن الجوزي: يوسف بن قره اوغلي، (ت654هـ/ 1657م)

31. مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، (الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة)
تحقيق: علي سويم، (انقرة- 1968)

السبكي: أبو نصر عبد الوهاب، (ت771هـ/ 1369م).

32.طبقات الشـــافعية الكبرى. تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو.مطبعة عيسى البابي، (مصر- ب ت).
السمرقندي: أحمد بن عمر نظامي عروضي
33.جهار مقاله، ترجمة عبد الوهاب عزام، يحيى الخشاب، (ليدن، 1327م وطهران، 1311م)
سيد: أمير علي
34.مختصـــر تاريخ العرب، ترجمة: عفيف البعلبكي. دار العلم للملايين، ط2 ، (بيروت- 1967).
السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت911هـ/ 1505م)
35.تـاريخ الخلفـاء ، تحقيق: محمـد محي الـدين، مطبعـة الســعـادة، (مصر- 1952م).
البنداري: الفتح بن علي بن محمد الاصفهاني البنداري (ت 643هـ/ 1245م)
36.تاريخ دولة ال سلجوق. دار الافاق الحديثة، ط2 (بيروت- 1978م).
أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي
37. الروضــتين في اخبار الدولتين النورية والصــلاحية. تحقيق: محمد حلمي محمد احمد، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة- 1956م).
ابن شداد: علاء الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت 684هـ)
38.الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشـــام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبارة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دمشق- 1978م)
الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم، (ت548هـ/ 1153م)
39.الملل والنمل ، تحقيق: محمد ســيد كيلاني، دار المعرفة، (بيروت- 1975م)، ط2.
الشيرازي: هبة الله
40 . ســيرة المؤيـد في الـدين ، تحقيق: محمـد كـامـل، دار الكتـاب العربي، (القاهرة- 1949).
ابن طباطبا: محمد بن علي ابن الطقطقي (ت709هـ/ 1309م)
41.الفخري في الاداب الســلطـانيـة والـدول الاســلاميـة، دار صـــادر (بيروت- 1966م)
ابن العبري: أبو القاسم علي بن بهجت.

42.الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: عبد الله مخلص، (القاهرة- 1924م)
ابن العبري: غريغورريوس، ابو الفرج بن هرون (ت685هـ/ 1286م)
43.تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية (بيروت- 1958)
ابن العديم: كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت 660هـ/ 1267م)
44. زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان، سوريا (دمشق- 1954)
النسخة الثانية، تحقيق: علي سميسم، التراجم الخاصة بتاريخ السلاجقة
ابن العماد الحنبلي: أبي الفلاح عبد الحي ولد سنة (483هـ/ 1090م)
45 . شذران الذهب في أخبار من ذهب. مكتبة القدس، (القاهرة-1350م)
ابن العمراني: محمد بن محمد
46. الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق: جاسم السامرائي، (لندن- 1973م)
ابن العميد: جرجيس ايق الياس (ت672هـ/ 1273م)
47.تاريخ المسلمين (لندن، 1625م).
الغساني: إسماعيل بن العباس
48.العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في أخبار الخلفاء والملوك، مخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراقي برقم 586، ج2، ق1،
الفارقي: احمد بن يوسف بن الازرق (ت 590هـ/ 1193م).
49.تاريخ الفارقي: تحقيق: بدوي عبد اللطيف عوض.
دار الكتاب اللبناني، (بيروت- 1974)
50.هامش ذيل تاريخ دمشق للقلانسي. مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت- 1908م)
أبو الفداء: إسماعيل بن محمد (ت732هـ/ 1331م)
51. المختصر في أخبار البشر
دار البحار للترجمة والتأليف (مصر- ب ت) (استنبول- 1286هـ)
52.تقويم البلدان. اعتناء وتصحيح رينولت البارون ماك كوكين ديسلان.
دار الطباعة السلطانية، (باريس- 1840م).
الفيروز ابادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت823هـ/ 1420م)
53.المعجم الوسيط، أخرجه إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، احمد حسن الزيان، محمد علي النجار، اشرف على طبعه: عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران، (ب ت).
ابن قاضي شبه: بدر الدين (ت 851هـ/ 1247م)

54.الكواكب الدرية في السـيرة النورية، تحقيق: محمود زايد، دار الكتاب الجديد، (بيروت، 1970).
القرماني: العالم الفاضل أبي العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي (ت 1019هـ/ 1610م) .
55. أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ. عالم الكتب، (بيروت، القاهرة- ب ت)
ابن القلانسي: أبو يعلى، حمزة بن اسد بن علي (ت555هـ/ 1160م)
56.ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الاباء اليسوعيين (بيروت-1908)
القلقشندي: أحمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م).
57. مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، ط2، (بيروت- 1980).
ابن كثير: أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت774هـ/ 1372م)
58.البداية والنهاية في التاريخ، ط2،مطبعة السعادة، مصر، ب ت (بيروت- 1977).
ابن الكازروني: ظهر الدين بن علي بن محمد البغدادي
59. مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباسي، تحقيق: مصطفى جواد، (بغداد- 1970م).
الكتبي: محمد بن شاكر (ت762هـ/ 1360م)
60.عيون التواريخ ، تحقيق: فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم داؤود. مطبوعات وزارة الإعلام سلسلة كتب التراث (بغداد- 1397هـ/ 1977م)
61. فوات الوفيات والذيل عليه ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت- 1973م)
62.الكواكب الدرية في السـيرة النورية. تحقيق: محمود زايد، دار الكتاب الجديد، (بيروت- 1970م).
الكرديزي: أبي سعيد عبد الحي (ت في وسط القرن الخامس الهجري)
63. زين الأخبار، تعريب محمد بن تاوبت، (ب ت).
الماوردي: علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ/ 1058م).
64.الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة المكتبة التوفيقية، (مصر- ب ت)

مسكوية: احمد بن محمد، (ت421هـ/ 1030م)

65.تجارب الأمم، امدروز، مطبعة شركة التمدن الطباعية، (مصر – 1914م).
المستوفي حمد الله ابو بكر بن أحمد بن نصر المستوفي القزويني
66.تاريخ كزيدة ، نشر بروان ، (ليدن– 1328هـ – 1910م).
المقريزي: أحمد بن علي (ت845هـ/ 1241م)
67.اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء. نشـــره جمال الدين الشـــيال، (القاهرة– 1948م)
68. السـلوك لمعرفة دول الملوك. صـححه وضـبط حواشـيه: مصـطفى زيادة، دار الكتب المصرية، (القاهرة– 1956م)
69.النقود الإسـلامية (المشـهور) شـذور العقود في ذكر النقود. تحقيق: محمد بحر العلوم. المطبعة الحيدرية، ط2، (النجف– 1967م).
70.المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، (المعروف بالخطط المقريزية)
ابن منظور: محمد بن مكرم (711هـ/ 1311م)
71. لسان العرب، ج4. دار صادر (بيروت– 1955م) ،
ابن ميسر: محمد بن علي بن يوسف بن حلب.
72 .أخبار مصـر، ج2، صـححه هنري ماسـيه، مطبعة المعهد العالي الفرنسـي الخاص بالعاديات الشرقية (القاهرة– 1919م).
نظام الملك: حسن بن علي بن إسحاق، (ت485هـ)
73.سياسة نامة، مستنسخة من نسخة سيفر، (باريس– 1891م).
النويري: احمد بن عبد الوهاب، (ت732هـ/ 1334م)
74.نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد فوزي ومحمد طه. مطبعة الهيئة المصرية العامة للمكتبات، (مصر– 1985).
هنتس، فالتر:
75.المكائيل والأوزان الإسلامية. ترجمة كامل العسلي، (عمان– 1971) .
ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/ 1297م)
76 . مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق: جمال الدين الشـــيال، مطبعة جامعة فواد الأول (مصر، القاهرة– 1953م).
ابن الوردي: زين الدين عمر (ت749هـ/ 1348م)
77.تاريخ ابن الوردي (تتمه المختصر في أخبار البشر) النجف– 1969.

اليافعي: ابو محمد عبد الله بن سعيد بن علي (768هـ/ 1366م)

78.مرآة الجنان وعبرة اليقضان، ط2 (حيدر اباد الدكن، 1932م) .
اليزدي: محمد بن محمد بن النظام الحسيني (ت 743هـ/ 1342م).
79.العراضـــة في الحكاية الســـلجوقية، ترجمة وتعليق: عبد المنعم محمد حســـنين وحسين أمين، مطبعة الجامعة، (بغداد- 1979م).

المراجع

أرنولد، توماس

1. (الخلافة) ترجمة: جميل معلى (دمشق- 1964).

إدريس : محمد محمود

2. تاريخ العراق والشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي خلال العصر السلجوقي الأول الناشر. مكتبة نهضة الشرق المطبعة التجارية الحديثة (القاهرة- 1985)

الأنبا ري : عبد الرزاق علي

3. منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية منذ إنشائه حتى نهاية العصر السلجوقي. الدار العربية للموسوعات (بغداد- 1987م)

بارتولد : فاسيلي ويج

4. تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر، مطبعة المعارف، (مصر- 1958) .

5. تاريخ الترك في اسيا الوسطى. ترجمة احمد السعيد، راجعه ابراهيم هنري (القاهرة – 1958)

ألجميلي: رشيد عبد الله

6. إمارة الموصل في العصر السلجوقي 489هـ، 521 هـ، جامعة بغداد 1980.

ألجميلي : رشيد وخاشع المعاضيدي

7. تاريخ الدويلات العربية الإسلامية في العصر العباسي (في الشرق والمغرب) (بغداد-1979).

جرجي: زيدان

8. تاريخ التمدن الإسلامي ج4 (بيروت 1967).

جواد : مصطفى وأحمد سوسة

9. دليل خارطة بغداد ، (خطط بغداد قديماً وحديثاً)، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد- 1958)

حامد غنيم: أبو سعيد

10. الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط2 (القاهرة- 1440هـ- 1984م) .

حسنين: عبد المنعم محمد

11. دولة السلاجقة ، مكتبة الأنجلو المصرية (مصر– 1975) .

12. سلاجقة إيران والعراق ، مطبعة السعادة، ط2، (القاهرة– 1380هـ – 1970م).

حسن : حسن إبراهيم (ت 1968/5/29م)

13. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (القاهرة 1967).

حسن : حسن وعلي إبراهيم حسن

14. التاريخ الإسلامي العام، مطبعة الرسالة، ط2، (مصر 1959) .

حسن: الباشا

15.الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة– 1957).

حتي : فيليب، وآخرون

16.تاريخ العرب ، (بيروت– 1950).

حلمي: أحمد كمال الدين

17.السلاجقة في التاريخ والحضارة. دار البحوث العلمية (الكويت– 1975).

حمادة: محمد ماهر

18. المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصادرها، مؤسسة الرسالة (بيروت– 1970)

حمدي : حافظ احمد

19.الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، مطبعة الاعتماد (القاهرة– 1950).

ألخالدي: فاضل عبد اللطيف

20.الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، مطبعة الإمام (القاهرة– 1388هـ/ 1965م).

الخضري بك: محمد

21.محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، المكتبة التجارية الكبرى ، (القاهرة– 1970).

د. الدوري: عبد العزيز

22.مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر ط2 (بيروت 1978).

الدجيلي: خولة

23.بيت المال نشأته وتطوره ، (بغداد- 1976).

رايس: تمارا تالبوت

24.السلاجقة تاريخهم حضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري ، إبراهيم الداقوقي مطبعة الإرشاد (بغداد- 1968).

زامباور: ادوارد فون

25.معجم الانساب والاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة زكي محمد حسن وحسن احمد حمود وسيده اسماعيل كاشف وحافظ حمدي

السامرائي خليل إبراهيم ، جزيل عبد الجبار، طارق فتحي سلطان

26.تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، (132هـ –656هـ)، (الموصل- 1988).

سرور: محمد جمال الدين

27.سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربي ، ط3 ، (القاهرة- 1973) .

سليمان: أحمد السعيد

28.تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف المصرية (القاهرة- 1969) .

ألشريفي: إبراهيم

29.التاريخ الإسلامي ، ط2 (السعودية- 1977).

الشلبي : أحمد

30.التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ط3 (القاهرة- 1969).

طرخان: إبراهيم علي

31.النظم الإقطاعية في العصور الوسطى ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (القاهرة- 1968).

العبادي: أحمد مختار

32.في التاريخ العباسي والاندلسي ، دار النهضة (بيروت- 1972).

قيام دولة المماليك في مصر والشام ، (بيروت- 1966).

عبد الرؤوف: عصام

33.تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، دار الفكر العربي، (القاهرة- ب ت).

ألعلي: أ. د. صالح أحمد وآخرون

34.العراق في التاريخ . دار الحرية للطباعة (بغداد- 1983).
علي: محمد كرد
35.خطط الشام، (دمشق- 1925).

فامبري: ارمينيوس
36. تاريخ بخارى منذ اقدم العصــور حتى العصــر الحاضــر، ترجمة احمد محمود الساداتي، مراجعة : يحيى الخشاب، (1872م)
فوزي: أ.د. فاروق عمر
37.تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الإسلامية، (1هـ –656هـ/ 622م–1258م) مكتبة النهضة (بغداد- 1988).
38.حكام بلاد فارس والعدوان على العراق خلال العصــر العباســي ، دار الشــؤون الثقافية (بغداد- 1988).
39.الخلافة العباسية ، مطابع الخليج (الشارقة- 1983) .
40.النهوض العربي في العراق والأقاليم المجاورة في العصـــور، العباســـية الأخيرة (247هـ–656هـ/861م–1258م). سلسلة بيت الحكمة م8 مطابع التعليم العالي (الموصل- 1989).
القزاز: محمد صالح
41.الحياة الســياســية في العراق في العصــر العباســي الأخير، مطبعة القضــاء ، (النجف- 1971).
الكرملي: انستاس ماري
42.النقود العربية وعلم الكميات، تحقيق محمد أمين، (بيروت- دمشق- 1939).
لين بول ستانلي
43.الدولة الإســلامية يبحث عن 181 دولة إســلامية، ترجمة محمد صــبحي مردان القسم الثامن ، السلاجقة (1393هـ/ 1973م).
المعاضيدي: خاشع
44.تاريخ الدويلات العربية الإسلامية في العصر العباسي (بغداد- 1979).
45.الحياة السياسية في بلاد الشام ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد- 1975).
46.دولة بني عقيل في الموصل ، مطبعة شفيق ، (بغداد- 1968).

المعاضيدي: عبد القادر سلمان

47.واسط في العصر العباسي ، دار الحرية للطباعة، (بغداد– 1983).

محمود: حسن أحمد، واحمد إبراهيم الشريف

48.العالم الإسلامي في العصر العباسي ، (القاهرة– 1966).

ناجي: عبد الجبار

49.الإمارة المزيدية ، دراسة في وضعها الاقتصادي والاجتماعي، دار الطباعة الحديثة ، (بغداد– 1970).

يوسف: ارشيد

50. سلاجقة الشام والجزيرة من الفترة (435 – 570هـ)، المؤسسة الصحفية الاردنية ، الرأي، (عمان – ب.ت).

الرسائل والأطاريح الجامعية

أمين : فوزي أمين

1. نظام السلطنة في الدولة العباسية ، رسالة ماجستير، إشراف د. هاشم يحيى الملاح (الموصل – 1984).

البر هاوي: محمد خالد عبد

2. علاقة العلماء بالخلافة العباسية قي عصر السيطرة السلجوقية (447 هـ – 552هـ/ 1055-1157م)، رسالة ماجستير،إشراف د.عبد المنعم رشاد (جامعة الموصل، 2002م) .

حسن : صالح رمضان

3. الفتوة في عهد الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/ 1179-1225م) الدوافع والأهداف ، أطروحة دكتوراه، إشراف د. عبد المنعم رشاد، جامعة الموصل (الموصل- 1421هـ- 2000م).

4. مقاومة الخلافة العباسية للنفوذ السلجوقي والعراق (512هـ – 555هـ/ 1118-1160م)، رسالة ماجستير جامعة الموصل (الموصل- 1978).

الحديدي: حربي رمضان هلال

5. علاقة الخلافة العباسية مع دويلات المشرق الإسلامي في عهد الخليفة الناصر لدين الله (575هـ –622هـ/ 1179 – 1225م) رسالة ماجستير، إشراف د. عبد المنعم رشاد، (الموصل- 1412هـ – 1991م).

خليل: د.عماد الدين

6. الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام (465هـ –812هـ/ 1072- 1409م)، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس ، (القاهرة – 1961)، مؤسسة الرسالة (بيروت 1980) .

الدوري: غامس خضير حسن

7. الكوارث الطبيعية وآثارها في العراق حتى نهاية الدولة العباسية، أطروحة دكتوراه، إشراف د. صالح أحمد ألعلي، جامعة بغداد (بغداد- 1999م).

صدقي: مهدي

8. النزاع بين الأمين والمأمون، رسالة ماجستير، (لندن- ب ت).

العبود: نافع توفيق

9. الدولة الخوارزمية ، أطروحة دكتوراه، مطبعة الجامعة، (بغداد – 1978).

قادر: نزار محمد

10. الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة العربية الإسلامية منذ تأسيسها حتى سقوط بغداد (1هـ- 656هـ/ 622- 1258م) رسالة ماجستير، إشراف د. عبد المنعم رشاد (ب ت).

مجيد: ميسون هاشم

11. علاقة الخلافة العباســية بدويلات المشــرق، من القرن الثالث الهجري وحتى نهاية القرن الخامس الهجري، رســالة ماجســتير، إشــراف د. عبد المنعم رشــاد، جامعة الموصــل (الموصل- 1403هـ- 1983).

محمد: كريمة سلمان

12. المقاومة العربية للاحتلال السلجوقي (447هــ - 590 هــ/ 1055- 1193م) رسالة ماجستير، إشراف د. عبد القادر سلمان المعاضيدي، (جامعة بغداد 1989م).

البحوث والمقالات

الجومرد: جزيل عبد الجبار، قادر، نزار محمد

1. "اثر الخلافة العباسية في تكوين العلاقات السياسية بين قوى الأطراف الإسلامية" ، مجلة درســت الأردنية م 24 العلوم الإنســانية والاجتماعية العدد/ 2 آب ، 1997م ربيع الثاني 1418هـ.

عاشور، سعيد عبد الفتاح

2. ظل الخلافة العباسية في الحركة الصليبية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التاريخ الدولي بغداد 1973.

العبود ، نافع توفيق

3.جهود الخلافة للتحرر من النفوذ السلجوقي خلال القرن السادس الهجري مجلة المورد، مج 19، العدد الأول، 1990، ص53.

المراجع الأجنبية

Saunders JJ

1.A history of medival Islam, London, 1965.

2.Ahistory of medival, Iran, London, 1970.

Barhold.A. D.

3. Four studies on the history of control Asia, VOL,ndon 1977.